

المجلد الثاني

في علوم الاجتماع

محمد فاضل حسنة

دار الفکر





Princeton University Library



32101 055469876

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.*

--	--





# التفهيم

دراسات بنط عن مختلف شؤون القرآن الكريم عرفت باسم  
«علوم القرآن»

تأليف

محمد هادي معرفتي

مطبعة مهر - قم

١٣٩٦ هـ

(RECAP)

BP130

.M38

JUZ 1

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين .  
وبعد .. فان دراسة شؤون القرآن الكريم في مختلف جوانبه المتنوعة ، دراسة  
ممتعة هي في نفس الوقت ضرورة اسلامية ملحة ، يستجيبها كل مسلم واع وجد من هذا  
الكتاب السماوي الخالد حقيقة ناصعة و برهاننا من الله صادقا ، فيه تبيان كل شيء و  
هدى ورحمة للعالمين :

\* اولاً ، هو سند الاسلام الحى ، ومعجزته الباقية ، الذى لا يزال الاسلام يتحدى به  
جموع البشرية - فى نداء صارخ - : لو تستطيع ان تأتى بمثله ! لكنها - بكل صراحة  
وضراعة - تعترف بعجزها المستمر مع كرام المصور .

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله  
ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . الاسراء : ٨٨ .

\* ثم ، هو دستور الاسلام الجامع ، و الكافل لاسعاد البشرية فى كافة ميادين  
الحياة : الاجتماعية والادارية والسياسية وغيرها اجمع ، وقد تحققت هذه الواقعة



المشرقة ، يوم سارت ركب البشرية في ضوء هذا المشعل المضيء .

يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذ دعاكم لما يحييكم . الانفال : ٢٤ .

\* وايضاً ، تجاوبه الوثيق مع فطرة الانسان الاصيله ، انسجاماً متشابكاً مع جبلته الاولى التي فطر عليها . وهذا التجاوب يبدو - بكل وضوح - على محيى كافة تشريعاته وتنظيماته وجميع احكامه الشاملة . الامر الذى يجعل من هذا القانون السماوى الجامع ، نظاماً منبثقاً من صميم الانسانية ، جاء ليؤمن عليه جميع حاجاته التزهيبة فى مختلف شؤون الحياة .

فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله .

ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون . الروم : ٣٠ .

\* كما وانه اتحف للبشرية بجمعاء بمعارف وتعاليم جليلة ، كان المستوى البشرى

- ولايزال - يقصر عن البلوغ اليها ، لولا سماح القرآن بمثلها - بكل سخاء - وجعلها

فى متناولها القريب ، فى ابلغ بيان وابدع اسلوب حكيم .

وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم . النساء : ١١٣ . علم

الانسان ما لم يعلم . العلق : ٥ . ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل . هود : ٤٩ .

و اخيراً : هيمنته الخارقة على نفوس بشرية كبيرة ، كانت تأبى الرضوخ لغير

الحق الصريح ، فاشرف بهاعلى واقعية مشهودة كانت دلائل الصدق لائحة على محياها

بوضوح ، ومن ثم استسلمت لقيادته الحكيمة مذ تعرفت الى حقيقته الصارخة .

لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك . النساء : ١٦٢ .

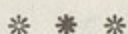
تلك خصائص وميزات جليلة امتاز بها هذا الكتاب الالهى العظيم ، الذى لم

يكذ يعض من انبثاق نوره اللثاء اكثر من نصف قرن ، حتى ملك رقاب امم كبيرة ،

و سيطر على رقعة واسعة من الارض كانت مهد الحضارة الانسانية منذ زمن سحيق .

فدوخ صداه الاجواء ، وهزت لهيمنته العادلة ارجاء العالم المعمور .

الامر الذى جعل من هذا القرآن موضع اهتمام العلماء ومنصرف عناية الباحثين



ومنذ الصدر الاول قد بذل كبار الصحابة و فضلاء التابعين عنايتهم البالغة في البحث عن شتى جوانب القرآن الكريم ، واهتموا بالتكلم عن ناسخه و منسوخه ، و محكمه و متشابهه ، و تنزيله و تأويله ، و عامه و خاصه ، و اطلاقه و تقييده و ترتيبه و تجويده و عن كافة شؤونه المترامية . وهكذا لم يزل يطرد و يتوسع دائرة الدراسات القرآنية عبر القرون و الاعصار . كما طفحت من نتائج تلكم البحوث و الدراسات جوامع الحديث و التفسير في مختلف الادوار .

اما عهد الندوين فيرجع الى مؤخرة القرن الاول ، فكان اول من صنف في القراءة هو يحيى بن يعمر ( توفي سنة ٨٩ هـ ) احد تلاميذ ابي الاسود الدؤلي . الف كتابه في « القراءة » في قرية واسط ، و يضم الاختلافات التي لوحظت في نسخ القرآن المشهورة . كما في « تاريخ التراث العربي » لفؤاد سزكين .

\* وفي القرن الثاني ، صنف الحسن بن ابي الحسن يسار البصرى ( ت ١١٠ ) كتابه في « عدد آي القرآن » .

و عبدالله بن عامر اليحصبي ( ت ١١٨ ) كتابه في اختلاف مصاحف الشام و الحجاز و العراق ، و « المقطوع و الموصول » في الوقف و الوصل .  
وشيبه بن نصاح المدني ( ت ١٣٠ ) : « كتاب الوقوف » .

و ابان بن تغلب ( ت ١٤١ ) صاحب الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام هو اول من صنف في « القراءات » بعد ابن يعمر . وله كتاب « معاني القرآن » ايضاً .

و محمد بن السائب الكلبى ( ت ١٤٦ ) . اول من صنف في « احكام القرآن » .  
و مقاتل بن سليمان المفسر ( ت ١٥٠ ) . له كتاب « الايات المتشابهات » .

و ابو عمرو و ابن العلاء بن عمار التميمي ( ت ١٥٤ ) : « الوقف و الابتداء » و كتاب « القراءات » .



وحمزة بن حبيب ، احد القراء السبعة (ت ١٥٦) صاحب الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام له كتاب في «القراءة» .  
ويحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧) : «معانى القرآن» و «اختلاف اهل الكوفة والبصرة والشام فى المصاحف» و «الجمع والتثنية فى القرآن» .  
ومحمد بن عمر الواقدي ، الكاتب العلامة والمؤرخ الشهير (ت ٢٠٧) . له كتاب «الرغيب» فى علوم القرآن وغلط الرجال .  
وابوعبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩) : «اعجاز القرآن» فى جزئين . و «معانى القرآن» .

\* وفى القرن الثالث ، صنف ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) «فضائل القرآن» و «المقصود والممدود» فى القراءات ، و «غريب القرآن» ، و «الناسخ والمنسوخ» .  
وعلى بن المدينى (ت ٢٣٤) صنف فى اسباب النزول .  
واحمد بن محمد بن عيسى الاشعري شيخ القميين ووجههم (توفى حدود ٢٥٠) له كتاب «الناسخ والمنسوخ» .

والامام ابو زرعة الرازى (ت ٢٦٤) نظم الفيته فى تفسير غريب القرآن .  
وابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦) : «تأويل مشكل القرآن» . و «تفسير غريب القرآن» . و «اعراب القرآن» . و كتابه فى القراءات .

وابو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوى (ت ٢٨٦) : «اعراب القرآن» .  
وابو عبد الله محمد بن ايوب بن ضريس (ت ٢٩٤) كتب فيما نزل بمكة وما نزل بالمدينة ، و كتاب «فضائل القرآن» .

وابو القاسم سعد بن عبد الله الاشعري القمى (ت ٢٩٩) صنف رسالة جامعة فى صنوف آيات القرآن ، عثر عليها العلامة المجلسى ، ونقلها متقطعة فى موسوعته الكبرى «بحار الانوار» راجع : ج ٩٣ ص ٩٧ .

ومحمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٠٩) «الحاوى فى علوم القرآن» ٢٧ جزء .  
وابو محمد الحسن بن موسى النوبختى (ت ح ٣١٠) . له كتاب «التنزيه وذكر

## متشابه القرآن .

- وابوبكر بن ابي داود، عبدالله بن سليمان السجستاني (٢٣٠ - ٣١٦) . له كتاب «المصاحف» و«الناسخ والمنسوخ» . ورسالة في القراءات .
- \* وفي القرن الرابع، صنف ابوبكر محمد بن الحسن الازدي - المعروف بابن دريد - (ت ٣٢١) كتابه في غريب القرآن . وهو من كبار ادباء الشيعة الامامية، نحوي لغوي معروف .
- وابو البركات عبد الرحمان بن ابي سعيد الانباري (ت ٣٢٨) : « البيان في اعراب القرآن » . و« عجائب علوم القرآن » .
- وثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩) : « فضائل القرآن » .
- وابوبكر محمد بن العزيز السجستاني (ت ٣٣٠) الذي اشتهر بكتابه « غريب القرآن » رتبته على حروف المعجم ، واكمله في ١٥ عاماً .
- وابو جعفر احمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨) : « اعراب القرآن » و« الناسخ والمنسوخ » و« معاني القرآن » .
- وابو عبدالله محمد بن ابراهيم - المعروف بابن ابي زينب - الكاتب النعماني (ت ح ٣٥٠) صنف رسالة جامعة في صنوف آيات القرآن . نقلها برمتها العلامة المجلسي في بحار الانوار ج ٩٣ . كان خصيصاً بالكليني ، يكتب له كتاب الكافي .
- وابو محمد القصاب محمد بن علي الكرخي (ت ح ٣٦٠) . له « نكت القرآن » .
- وابو عبدالله احمد بن محمد بن سيار (ت ٣٦٨) كاتب آل طاهر وصاحب الامامين الهادي والعسكري - عليهما السلام - . له كتاب « ثواب القرآن » و« التنزيل والتحرير » وابوبكر احمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠) صنف في احكام القرآن ، وهو كتاب كبير طبع في ثلاث مجلدات .
- وابو الحسن عباد بن عباس الطالقاني (ت ٣٨٥) - ايضاً - صنف في احكام القرآن . وهو والد الوزير صاحب بن عباد .
- ومحمد بن علي الادفوي (ت ٣٨٨) : « الاستغناء » في علوم القرآن ، مئة جزء رأى منها صاحب الطالع السعيد عشرين مجلداً .



والقاضي ابوبكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣) : «اعجاز القرآن» .  
وابوالحسن محمد بن الحسين الشريف الرضى (ت ٤٠٤) : « تلخيص  
البيان» فى مجازات القرآن ، و «حقائق التأويل» فى مشابه التنزيل ، عثرت مؤسسة  
منتدى النشر بالنجف الاشرف على الجزء الخامس من هذا الكتاب عام ١٣٥٥ هـ  
فقامت بتحقيقه ونشره ، فطبع اولاً فى النجف ثم فى بيروت .  
وهبة الله بن سلامة (ت ٤١٠) : «الناسخ والمنسوخ» .  
\* وفى القرن الخامس ، صنف الشيخ المفيد ابو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان  
(ت ٤١٣) كتابه فى اعجاز القرآن ، و كتاب «البيان» فى انواع علوم القرآن .  
وابوالقاسم الحسين بن على الوزير المغربى الشيعى (ت ٤١٨) هو سبط ابن  
ابى زينب النعمانى ، من اصل فارسى ، كتب «خصائص القرآن» .  
وابوالحسن على بن ابراهيم بن سعيد الحوفى (ت ٤٣٠) : «البرهان فى علوم  
القرآن» .  
وذوالمجددين ابوالقاسم على بن الحسين علم الهدى السيد المرتضى (ت ٤٣٦)  
صنف «المحكم والمتشابه فى القرآن» .  
وابو محمد مكى بن ابيطالب (ت ٤٣٧) : «الكشف عن وجوه القراءات السبع»  
فى جزئين ، يذكر علل اختلاف القراءات وحججها ، وهواثر لطيف .  
وابوعمر والدانى (ت ٤٤٤) : «التيسير» فى القراءات السبع . و«المحكم» فى  
النقط . و«المقنع» فى رسم مصاحف الامصار .  
وابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهرى (ت ٤٥٦) : «الناسخ والمنسوخ» .  
وشيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (ت ٤٦٠) . فى مقدمة تفسيره  
«التبيان» تكلم فى مزعومة التحريف فزيفها ، وعن النهى عن التفسير بالرأى ، وعن  
حجية ظواهر القرآن ، وعن صنوف معانى القرآن ، وعن ظهر القرآن وبطنه ، وعن  
محكمه ومتشابهه ، وعن اقسام النسخ الجائز والممتنع ، وعن اسامى القرآن واسامى سورته

وآياته ... ومالى ذلك .

وابوالحسن على بن احمد الواحدى (ت ٤٦٨) : « اسباب النزول » و« فضائل

القرآن » .

وابوالقاسم الحسين بن محمد الراغب الاصبهاني (ت ٥٠٢) : « المفردات »

فى غريب القرآن . وهو اثر جرد لطيف ، وعبر عنه بعض اساتذة الفن : انه معجزة من معاجز الفن القرآنى .

\* وفى القرن السادس ، كتب امين الاسلام ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

(ت ٥٤٨) تفسيره الخالد « مجمع البيان » وجعل فى مقدمته فنوناً سبعة ، بحثاً عن جوانب خطيرة من شؤون القرآن ، على غرار مقدمة التبيان ، مع تنقيح وزيادة .

وابو الفضل حبيش بن ابراهيم بن محمد التفلسى (ت ٥٥٨) : « وجوه القرآن » بالفارسية .

وقطب الدين ابو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندى (ت ٥٧٣) صنف « فقه

القرآن » . قيل : هو اول من صنف فى تفسير آيات الاحكام من علمائنا الامامية . لكن سبقه الى ذلك محمد بن السائب الكلبي ، وعباد بن عباس الطالقاني ، تقدم ذكرهما .

وابوالقاسم عبد الرحمان ، المعروف بالسهلى (ت ٥٨١) الف فى مبهمات

القرآن : « التعريف والاعلام بما ايهم فى القرآن من الاسماء والاعلام » .

ورشيد الدين ابو جعفر محمد بن على بن شهر آشوب (ت ٥٨٨) تلميذ القطب

الراوندى صنف رسالته الخالدة « متشابهات القرآن ومختلفه » فى جزئين .

وابو محمد القاسم بن فيره الشاطبي امام القراء (ت ٥٩٠) : « حرز الامانى و

وجه التهانى » القصيدة المشهورة فى القراءات تعرف بالشاطبية .

وابوالفرج عبد الرحمان بن على ، المعروف بابن الجوزى (ت ٥٩٧) صنف

« فنون الافنان فى عجائب علوم القرآن » و « المجتبى فى علوم تتعلق بالقرآن » .

\* وفى القرن السابع ، صنف ابو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى (ت ٦١٦)

« املاء ما من به الرحمن » فى وجوه الاعراب والقراءات .

و علم الدين على بن محمد السخاوى ( ت ٦٤٣ ) : « جمال القراء وكمال  
الاقراء » فى القراءات .

و ابوالقاسم تلميذ شرف الدين ابى الحسن على بن المفضل المقدسى ( ت ح  
٦٥٠ ) الف رسالة وجيزة تتضمن ماورد فى القرآن من لغات القبائل . وهو اثر لطيف .  
طبعت على هامش الجلالين . و لخصها جلال الدين السيوطى فى النوع السابع و  
الثلاثين من كتابه « الاتقان » .

وزعم طابع الرسالة انها لابي القاسم بن سلام ، ومن ثم اشتبته فى موضعين ،  
الاول : ان ابن سلام هو ابو عبيد القاسم بن سلام . والثانى : ان ابن سلام توفى ٢٢٤ .  
مع أن المؤلف يذكر استجازته من على بن المفضل المتوفى ٦١١ . فلا يتقدم عليه  
باربعة قرون !

وابن ابى الاصبغ ، عبد العظيم بن عبد الواحد ( ت ٦٥٤ ) : « بديع القرآن » .  
اثر لطيف يشرح انواع البديع الوارد فى آيات القرآن .  
وابو محمد عبد العزيز بن عبد السلام - المشهور بالعزيز - ( ت ٦٦٠ ) كتب فى  
مجاز القرآن .

وقدوة العارفين ، رضى الدين ، ابو القاسم على بن موسى بن جعفر بن طاووس  
( ت ٦٦٤ ) صنف كتابه الجامع « سعد السعود » فى مختلف شؤون القرآن وتاريخه  
وتفسير مشكله .

وابوشامة شمس الدين عبد الرحمان بن اسماعيل ( ت ٦٦٥ ) : « المرشد الوجيز  
فيما يتعلق بالقرآن العزيز » .

ومحمد بن ابى بكر الرازى ( ت ٦٦٦ ) : « اسئلة القرآن المجيد واجوبتها » ،  
تحتوى على ١٢٠٠ سؤال وجواب فى غرائب آى التنزيل .

\* \* \*

هذا .. واما التأليف فى علوم القرآن ، بما تحويه هذه الكلمة من معنى شامل ،



فلم يحظ به سوى القرنين : الثامن والتاسع .

\*ففى القرن الثامن ، الف الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ( ت ٧٩٤ ) كتابه القيم « البرهان فى علوم القرآن » . جعله على سبع واربعين نوعاً ، استوعب فيها فنون هذا العلم .

وفى هذا القرن - ايضاً - الف بدر الدين محمد بن ابراهيم ، المعروف بابن جماعة ( ت ٧٣٣ ) كتابه « كشف المعانى عن متشابهات المثانى » .

وكمال الدين عبد الرحمن بن محمد الحلبي ، المعروف بابن العتائقي ( ت ح ٧٧٠ ) : « الناسخ والمنسوخ » .

و ابوالفداء اسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير ( ت ٧٧٤ ) : « فضائل القرآن » .

\*و فى القرن التاسع ، صنف جلال الدين البلقيني ( ت ٨٢٤ ) كتابه « مواقع العلوم فى مواقع النجوم » على ستة امور ، كل امر يحتوى على انواع تختلف عدداً . ومجموع الانواع خمسون نوعاً .

وفى بدء الامر اخذ جلال الدين السيوطي ( ت ٩١١ ) من هذا الكتاب اصلاً جامعاً لفنون هذا العلم ، فنقحه و هذبه فى كتاب اسماء « التحبير فى علوم التفسير » فى ٢٠٢ نوعاً . فرغ منه سنة ٨٧٢ هـ .

ثم عشر على كتاب « البرهان » للامام الزركشى فاستحسنه ووجده احسن ما صنف فى هذا الباب ، فصوب اهتمامه الى تنقيحه وتحريره ، فألف عليه كتابه الخالد الحافل بفنون هذا العلم « الاتقان » فى ٨٠ نوعاً ، فكان خاتمة المؤلفات على هذا النمط البديع الجامع ، و لم تسمح القرون المتأخرة بسوى رسائل مختصرة تعالج طرفاً من شؤون القرآن .

وفى هذا القرن - ايضاً - قام الفاضل السيورى ابو عبد الله المقداد بن عبد الله الحلبي الاسدي ( ت ٨٢٦ ) بتأليف « كنز العرفان فى فقه القرآن » .

وابوالخير شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزري (ت ٨٣٣) :  
«النشرفى القراءات العشر» . و « غاية النهاية » فى طبقات القراء . و « فضائل القرآن » .  
و ابوالفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢) : « الاتقان فى  
فضائل القرآن » .

❖ وفى القرن العاشر ، صنف القاضى زكريا بن محمد الانصارى (ت ٩٢٦)  
كتابه « فتح الرحمان بكشف ما يلبس فى القرآن » .  
وابوعبد الله جمال الدين محمد بن احمد بن سعيد المكي (ت ٩٣٠)  
« الاحسان فى علوم القرآن » .

ومحمد بن يحيى الحلبي التاذفى (ت ٩٦٣) : « القول المذهب » فى بيان ما  
فى القرآن من الرومى المعرب . والظاهر أنه اخذه من « المذهب فيما وقع فى القرآن  
من المعرب » تأليف جلال الدين السيوطى .

❖ وفى القرن الحاديعشر ، كتب المولى صدرالدين محمد بن ابراهيم الشيرازى  
(ت ١٠٥٠) رسالته الوجيزة فى متشابهات القرآن ، على ضوء فلسفة الاشراق .  
والمولى محسن الفيض الكاشانى (ت ١٠٩١) جعل فى مقدمة تفسيره «الصارفى»  
١٢ فناً ، بحثاً عن جوانب خطيرة من شؤون القرآن .

والمولى محمد باقر المجلسى (ت ١١١١) خصص من موسوعته الكبرى  
« بحار الانوار » - وهى تربوعلى ١٠٠ مجلد - جزئين بالبحث عن شؤون القرآن  
الكريم . هما الجزء : ٩٢ . والقسم الاول من الجزء : ٩٣ . عالج فيهما القضايا القرآنية  
على ضوء مذهب اهل البيت - عليهم السلام - ونقد آراء مخالفة .

وضعه على ١٣٠ باباً . وتكلم فى الباب : ١٢٨ فى صنوف آيات القرآن  
برواية النعمانى عن امير المؤمنين - عليه السلام - . وفى الباب : ١٢٩ عما ورد من موهم  
التناقض فى القرآن بتفصيل ، فى محاوراة وقعت بين بعض الزنادقة وبين الامام امير

المؤمنين - ايضاً - فاجاب عليها باجابات شافية ، يكون الاطلاع عليها ضرورياً .  
و السيد هاشم بن سليمان الحسينى البحرانى (ت ١١٠٩) صدر تفسيره «البرهان»  
بالتكلم عن طرف من شؤون القرآن فى ١٦ مقدمة .

\* وفى القرن الثانى عشر ، صنف ابن البناء احمد بن محمد الديبلى (ت ١١١٦) :  
« اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الاربعة عشر » .

والمولى ابو الحسن بن محمد طاهر بن عبد الحميد النباطى القتونى (ت ١١٣٨) :  
« مرآة الانوار ومشكاة الاسرار » . جعله على ثلاث مقدمات ، كل مقدمة مشتملة على  
مقالات تختلف عدداً ، وتحت كل مقالة فصول باعداد مختلفة ايضاً . ومجموع الفصول  
التي تكلم فيها عن شؤون القرآن هى : ٢٥ فصلاً . وفى المقالة الثانية من المقدمة  
الثالثة اسهب فى بيان تأويل كلمات جاءت فى القرآن ، رتبها حسب حروف المعجم ،  
يربو عددها الالف وماتى كلمة - ١٢٠٠ - تكلم عن تأويلهن واحدة واحدة . ووضع  
خاتمة كتابه على ثمانى فوائد .

والشيخ مصطفى بن عبد الرحمان بن محمد الازميرى (ت ١١٥٥) : « بدايع  
البرهان فى وصف حروف القرآن » .

والحسن بن على بن احمد المنظاوى (ت ١١٧٠) : « اتحاف فضلاء الامة»  
فى القراءات السبع .

والشيخ عطية الأجهورى (ت ١١٩٠) : « ارشاد الرحمان » فى اسباب النزول  
والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه واصول علم التجويد .

و الوحيد البهبهانى المولى محمد باقر بن محمد اكمل ، المعروف بالاستاذ  
الاكبر (ت ١٢٠٦) صنف رسالته التحقيقية بشأن « حجية ظواهر الكتاب » .

\* وفى القرن الثالث عشر ، الف المولى محمد جعفر بن سيف الدين الاسترابادى  
(ت ١٢٦٣) : « حل مشاكل القرآن » .

و استاذ المتأخرين المولى مرتضى بن محمد امين الانصارى التستري



(ت ١٢٨١) :رسالة في حجية ظواهر الكتاب .

والمولى محمد تقى الهروى الاصبهانى (ت ١٢٩٩) : « خلاصة البيان فى حل مشكلات القرآن » .

والميرزا محمد بن سليمان التنكابنى (ت ١٣٠٢) : « حجية القراءات السبع » و « حجية ظواهر الكتاب » .

والمولى محمد تقى بن محمد حسين الكاشانى (ت ح ١٣١٦) : « ايضاح المشتبهات » فى تفسير مشكل القرآن .

\* وفى القرن الاخير ، اقبل كثير من العلماء على تأليف كتب ورسائل حول تاريخ القرآن وعلومه وسائر شؤونه :

فألف السيد احمد حسين بن رحيم على الامروهى (ت ١٣٢٨) : « مناهج العرفان فى علوم القرآن » .

والشيخ محمد على سلامة : « منهج الفرقان فى علوم القرآن » .

ومحمد غوث النائطى الاوكاتى : « نشر المرجان فى رسم القرآن » فى سبع مجلدات .

والاستاذ محمد عبدالعظيم الزرقانى : « مناهل العرفان فى علوم القرآن » .

والمولى المحقق حيدر قلى بن نور محمد المعروف بسر دار كابللى : « تحفة

الاحباب » فى بيان آى القرآن وسوره والمكى والمدنى وغيرها .

والدكتور محمد عبدالله دراز : « النبأ العظيم » نظرات جديدة فى القرآن .

والاستاذ محمد الغزالى : « نظرات فى القرآن » .

والاستاذ المحقق الشيخ ابو عبدالله الزنجانى : « تاريخ القرآن » .

والاستاذ مصطفى صادق الرافعى : « اعجاز القرآن »

والشيخ خليل ياسين العالمى : « اضواء على متشابهات القرآن » يحتوى على

١٦٠٠ سؤال وجواب .

والدكتور صبحى الصالح : « مباحث فى علوم القرآن » .

والاستاذ سيد قطب : « التصوير الفنى فى القرآن » و « مشاهد القيامة فى القرآن » .

والامام المجاهد العلامة الشيخ محمد جواد البلاغى ، جعل فى صدر تفسيره «آلاء الرحمان» مقدمة منيفة تحتوى على اهم المباحث القرآنية ، واتى فيها بنظرات مستجدة يكون الاطلاع عليها ضرورياً . وطبعت هذه المقدمة - ايضاً - مع تفسير السيد عبدالله شبر المطبوع بمصر اخيراً .

والمرجع الدينى الاكبر سماحة سيدنا الاستاذ الامام الخوئى - دام ظله - وضع فى مقدمة تفسيره «البيان» فصولاً مسهبة حقق فيها عن جوانب خطيرة من شؤون القرآن ، لها قيمتها واثرها الكبير فى الاوساط العلمية الراهنة ، لا يستغنى الباحث عن مراجعتها . وفضيلة العلامة الكبير السيد محمد حسين الطباطبائى - دام بقاءه - : « قرآن دراسلام » بحث حافل باهم المسائل القرآنية . فضلاً عن ابحاث زان بها تفسيره القيم «الميزان» .

هذا .. غيضى من فيض .. ولم اكن تقصيت الكتب المصنفة فى علوم القرآن بصورة شاملة ، سوى الغالبية المعروفة . الامر الذى يكفى لابداء ما بذله علماءنا الاعلام من جهود جبارة حول تحقيق هذا الكتاب المقدس الخالد ، ومدى اهتمامهم البالغ بشأنه العزيز ، شكر الله مساعيهم الجميلة ، وافاض عليهم سجال رحمته الواسعة ، آمين .

\* \* \*

ومنذ القرن الثانى عشر ، واكب علماء الافرنج علماء الاسلام فى البحث والتنقيب عن شؤون القرآن بنواح شتى ، فبدأوا يبحثون عن تاريخه ، وعن الكتب المؤلفة فيه ، وعن تفسيره وما شبه ذلك . وحوالى منتصف القرن الرابع عشر قامت ألمانيا بعمل عظيم محمود ، ذلك ان المجمع العلمى فى مونيخ بألمانيا عنى غناية خاصة بالقرآن الكريم ، وجمع كل ما يمكن الحصول عليه من المصادر الخاصة بالقرآن وعلومه . وادلى هذا الامر الى الاستاذ «برجشتراسر» الذى كان قد بدأ بالعمل فى حياته ، فلما توفى سنة ١٩٣٥ : ١٩٣٣ م عهد المجمع بالسيرة فى هذا المشروع الى العالم

« اوتو برتزل » استاذ اللغة العربية فى مونيخ . وهذا الاستاذ كتب الى المجمع العلمى العربى فى دمشق كتاباً يقول فيه :

« ولقد نوينا تسهيلاً لمحبي الاطلاع ان ندون كل آية من القرآن الكريم فى لوحة خاصة تحوى مختلف الرسم الذى وقفنا عليه فى مختلف المصاحف مع بيان القراءات المختلفة التى عثرنا عليها فى المتون المتنوعة ، ومتبوعة بالتفسير العديدة التى ظهرت على مدى العصور وتوالى القرون » .

وأخذ فى نشر أهم الكتب المؤلفة فى القرآن ، ككتاب « التيسير » فى القراءات السبع ، لآبى عمرو الدانى . وكتاب « المقنح » فى رسم مصاحف الامصار ، مع كتاب « النقط » ايضاً له . وكتاب « مختصر الشواذ » لابن خالويه . وكتاب « المحتسب » لابن جنى . وكتاب « غاية النهاية » فى طبقات القراء ، لشمس الدين ابن الجزرى . وكتاب « معانى القرآن » للقراء . ورسالة فى تاريخ علوم القرآن باللغة الالمانية . وهى تحتوى على اسماء المؤلفات فى علوم القرآن الموجودة فى الافاق ، ودور الكتب فى العالم . ادلى بهذه المعلومات فضيلة الاستاذ الشيخ ابو عبدالله الزنجانى فى كتابه الوجيز « تاريخ القرآن » وكان عضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق .

غير ان الشعلة التى كادت تتوهج وتتوسع ، فاجأها الانطفاء المرير ، على اثر اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية القاسية ، على يد آلمانيا نفسها - ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م - فياله من أسف .

\* \* \*

وكنت منذ تعلمت القراءة مشعوراً بدراسة شؤون القرآن الكريم ومطالعة الكتب المصنفة فى مختلف جوانبه المتنوعة . و كنت اجد من ذلك متعة ولذة فائقة ، حتى خضت عباها واذاهى ضرورة اسلامية ملحة ، لا بد لكل مسلم ان يتعرف اليها ان كان يريد التحقق من اقوى دعامة لهذا الدين الحنيف . فقممت أدرس من شؤونه بدقة وامعان ، واسجل من مطالعاتى لفظات امانقداً فيما شككت فى صحته ، او اعجاباً



بما استطرفته من موضوع .

والآن - وبعدهسين - اجتمعت لدى من تلکم المذکرات عدد ضخّم وفي حجم كبير ، فجعلت ارتبها وانظّمها ، واذاهى تصلح لتأليف كتاب يحتوى على ابواب وفصول في متنوع البحوث القرآنية فاسميتها «التمهيد» ، لانى جعلت من هذه الابحاث كمقدمة لتفسيرى «الوسيط» . واسأله تعالى ان يوفىنى لاتسامه ، ولان اكون قد خدمت جيلى المسلم بنظرات مستجدة حول القرآن الكريم ، ربما لا يجدها الباحث فى موسوعة سواه ، او يصعب عليه تناولها ، وهى فى مطاوى كتب ذوات احجام كبيرة او بعيدة عن تناول العموم .

و الذى شد من عزمى على انجاز هذا الاثر المتواضع ، انى لمست فراغاً فى مكتبة الطائفة فى عهدنا الحاضر - وقد كانت غنية قبل اليوم - فيما يخص جانب البحوث القرآنية مستوفاة . ما عدى بحوث قليلة عالجت طرفاً من شؤون القرآن الكريم ، و بقيت الجوانب الاخر - وهى كثيرة - قابعة فى زاوية الخمول ، لا يجدها الباحث اذا ما حاول التطلع على رأى الطائفة فى ضوء مذهب اهل البيت - عليهم السلام - .  
ومن ثم جعلت اتبع الاثار والاراء وانقدتها نقداً موضوعياً ، عرضاً على نصوص تاريخية ثابتة وروايات متواترة او محفوظة بقرائن قطعية .

و سيبدو من خلال بحوثنا الاتية مدى انحرافات اودت بكثير من ائمة النقد و التمحيص ، مغبة تسرعهم فى بت الامر او عصبيتهم لمذهب او طريقة خاصة فى تحقيق الاراء والاثار . فلم افرغ من مسألة الا و كنت مطمئناً من صحتها ومستوثقاً من اصلتها مبلغ جهدى الذى بذلت فيها حسب المستطاع .

كما ولم اغفل - مدة بقائى فى النجف الاشرف (١٣٧٩-١٣٩١هـ) ، وبعدهالمهاجرة الى مدينة قسم المقدسة ( نهاية عام ١٣٩١ ) - من القاء محاضرات جامعية على طلبة المعاهد الدينية العالية . و افساح المجال لهم فى المناقشة و التساؤل ، تحقيقاً لغاية التثبت الكامل فيما استجدده من نظريات ، وتحكيمياً لمتفق الاراء المتنورة فى كل

مسألة هزمت البت فيها قطعياً .

ولنفس الغاية كنت - احياناً - اقوم بنشر كراسات استعرض عليها بحوثاً قرآنية كانت كنماذج عن مباحث مسهبة ، أُلخص فيها من آراء ومناقشات ، لاستلفت انظار زملائي الافاضل ، تجاوباً مع افكارهم الثمينة ، وتفاهماً معهم على صعيد النقدالنزيه و من ثم اقدم لهم شكري الجزيل و تقديري المتواصل لهذا التجاوب الودى الكريم .

كما واشكر فضيلة الثقة الجليل السيد عبدالرسول «مجيدى» الذى اهتم بكل وسعه فى اخراج هذا الاثر الى عالم الطباعة والنشر .

وهكذا أقدر جهود المحسن البار الوجيه الحاج اكبر آقا «پور كاظمى» الاصفهانى الذى قام بنفقة الطبع من خالص ماله الطيب ، ليكون ذخراً له يسوم لاينفع مال و لابنون الامن اتى الله بقلب سليم . فجزاهما الله عن القرآن خير جزاء .  
و فى الختام ابتهل الى الله العلى القدير ان يمن علينا - جميعاً - بعميم فضله ، و يوفقنا لانجاز خدمات دينية خالصة لوجهه الكريم ، وان يجعلنا ممن ينتصربه لدينه صالحين . آمين رب العالمين .

قم المقدسة - محمد هادى معرفة

رجب الاصب ١٣٩٦ هـ





الْحَمْدُ وَالْقُرْآنُ

٢-١



## ١ - ظاهرة الوحي

- \* الوحي فى اللغة .
- \* الوحي فى القرآن .
- \* الوحي الرسالى .
- \* امكان الوحي .
- \* جانب روحانية الانسان .
- \* براهين تثبت وجود النفس .
- \* الوحي عند فلاسفة الغرب .
- \* انحاء الوحي الرسالى .
- \* موقف النبى صلى الله عليه وسلم من الوحي .
- \* النبوة مقرونة بدلائل نيرة .
- \* قصة ورقة بن نوفل .
- \* الوحي لا يحتمل التباساً .
- \* اسطورة الغرائيق .



## الوحي في اللغة :

الوحي : اعلام سريع خفى ، سواء أ كان بايماءة أو همسة او كتابة في سر ،  
وكل ما لقيته الى غيرك في سرعة خاطفة حتى فهمه فهو وحي ، قال الشاعر :

نظرت اليها نظرة فتحيرت      دقائق فكرى في بديع صفاتها  
فاوحي اليها الطرف انى احبها      فأثر ذاك الوحي فى وجناتها

وقال تعالى عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَام : «فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان  
سبحوا بكرة وعشياً» (١) اى اشار اليهم على سبيل الرمز والايماء .

قال الراغب : اصل الوحي ، الاشارة السريعة ، و لتضمن السرعة قيل : امر  
وحي اى سريع . وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت  
مجرد عن التركيب ، وباشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة (٢) .

وقال ابن فارس : «و ، ح ، ي» اصل يدل على القاء علم فى اخفاء او غيره ،  
والوحي : الاشارة . والوحي : الكتاب والرسالة . وكل ما لقيته الى غيرك حتى علمه  
فهو وحي ، كيف كان (٣) .

١ - سورة مريم : ١١

٢ - المفردات ص ٥١٥

٣ - معجم مقاييس اللغة ج ٦ ص ٩٣

ولعل هذا التعميم في مفهوم الوحي - عند ابن فارس - كان في اصل وضعه،  
غير ان الاستعمال جاء فيما كان خفياً :

قال ابواسحاق : اصل الوحي في اللغة كلها : اعلام في خفاء ، ولذلك سمي  
الالهام وحياً .

وقال ابن بري : وحي اليه و اوحى : كلمه بكلام يخفيه من غيره . و وحي و اوحى :  
اوماً . قال الشاعر :

فاوحت الينا والانامل رسلها (١) اى اشارت بأناملها .

ولعل الخفاء في مفهوم الوحي جاء من قبل اعتبار السرعة فيه ، فالإيماء السريعة  
تخفى - طبعاً - على غير المومى اليه . يقال : موت وحي اى سريع . ومنه «الوحي  
الوحي» اى البدار البدار ، يقال ذلك عند الاستعجال . ومنه الحديث : «وان كانت  
خيراً فتوحه» اى اسرع اليه . قال ابن الاثير : والهاء للسكت (٢) .

قال الزمخشري : اوحى اليه و اومى بمعنى . و وحي اليه و اوحيت : اذا كلمته  
بما تخفيه عن غيره . و توحى اى اسرع ، قال الاعشى :

مثل ريح المسك ذاك ريحها صبها الساقى اذا قيل : توح (٣)

## الوحي في القرآن :

و استعمله القرآن في معاني ثلاث ماعدا الوحي الرسالى الاتى :

١- نفس المعنى اللغوى : الايماء الخفية . وقدمر في آية مريم .

٢- تركيز غريزي فطري ، وهو تكوين طبيعى مجعول في جبلة الاشياء ، استعارة

---

١- لسان العرب : ابن منظور .

٢- النهاية ج ٥ ص ١٦٣

٣- اساس البلاغة ج ٢ ص ٤٩٦

من اعلام قولى لاعلام ذاتى ، بجامع الخفاء فى كيفية الالقاء والتلقى ، فيما ان الوحي اعلام سرى ، ناسب استعارته لكل شعور باطنى فطرى . ومنه قوله تعالى : «واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً من الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات ، فاسلكى سبل ربك ذللاً» (١) فهى تنتهج وفق فطرتها ، وتستوحى من باطن غريزتها ، مذلة لما ودع فيها من غريزة العمل المنتظم ، ومن ثم فهى لاتحيد عن تلك السبيل . ومن ذلك ايضاً قوله تعالى : «واوحى فى كل سماء امرها» (٢) اى قدر . وقد استوحى العجاج هذا المعنى من القرآن فى قوله :

اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت (٣)

٣ - الهام نفسى ، وهو شعور فى الباطن ، يحس به الانسان احساساً يخفى عليه مصدره احياناً ، و احياناً يلهم انه من الله . وقد يكون من غيره تعالى . وهذا المعنى هو المعروف عند الروحيين بظاهرة التلباى : «التخاطر من بعيد» وهو خطور باطنى آنى لا يعرف مصدره . قالوا : انها فكرة تنتقل من ذهن انسان الى آخر ، والمسافة بينهما شاسعة . او اللقاء روحى ، من قبل ارواح عالية او سافلة (٤) وقيل : انها فكرة رحمانية توحىها الملائكة ، تنفثها فى روع انسان يريد الله هدايته ، او وسوسة شيطانية تلقىها ابالس الجن لغرض غوايته .

\* \* \*

ومن الالهام الرحمانى قوله تعالى : واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ان ارادوه اليك وجاعلوه من المرسلين» (٥) قال

١- سورة النحل : ٦٨

٢- سورة فصلت : ١٢

٣- لسان العرب : ابن منظور

٤- راجع : رؤوف عبيد ، مفصل الانسان روح لاجسد ، ج ١ ص ٥٢٢

٥- سورة القصص : ٧



الازهرى : الوحي هنا : القاء الله في قلبها . قال : وما بعد هذا يدل - والله اعلم - على انه وحي من الله على جهة الاعلام ، للضمان لها «انارادوه اليك» . وقيل : ان معنى الوحي هنا : الالهام . قال : وجائز ان يلقي الله في قلبها انه مردود اليها وانه يكون مرسلا . ولكن الاعلام ابين في معنى الوحي هنا (١) .

والشيخ المفيد - قدس سره - اخذ الوحي هنا بمعنى الاعلام الخفى ، في كتابه «اوائل المقالات» . لكنه في كتابه «تصحيح الاعتقاد» جعله بمعنى رؤيا او كلام سمعته ام موسى في المنام . وقال - بصدد ايضاح معنى الوحي - : اصل الوحي هو الكلام الخفى ، ثم قد يطلق على كل شيء قصد به افهام المخاطب على السر له عن غيره (٢) . واما التعبير بالوحي عن وسواس الشيطان وتسويله خواطر الشر والفساد ، فجاء في قوله تعالى : «وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الجن والانس ، يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً» (٣) . وقال : «وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم» (٤) ويفسره قوله : «من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس» (٥) .

كما جاء التعبير عما يلقيه الله الى الملائكة من امره ليفعلوه من فورهم ، بالوحي ايضاً في قوله تعالى : «اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا» (٦) .

و اما التعبير بالوحي عما يلقيه الله الى نبي من انبيائه بواسطة ملك او غيره

١- لسان العرب : ابن منظور

٢- راجع : اوائل المقالات ص ٣٩ وتصحيح الاعتقاد ص ٥٦

٣- سورة الانعام : ١١٢

٤- سورة الانعام : ١٢١

٥- سورة الناس : ٥

٦- سورة الانفال : ١٢

واسطة لاجل تبليغ رسالة الله ، فهو معنى رابع استعمله القرآن وهو موضوع بحثنا في الفصل التالي .

## الوحي الرسالي :

الوحي الرسالي ، معنى رابع استعمله القرآن في اكثر من سبعين موضعاً ، معبراً عن القرآن ايضاً بانه وحي القى على النبي - صلى الله عليه وآله - : «نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن» (١) . «وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربياً لئنذر ام القرى ومن حولها» (٢) . «واتل ما وحي اليك من الكتاب» (٣) . وظاهرة الوحي بشأن رسالة الله ، هي اولى سمات الانبياء ، امتازوا بها على سائر الزعماء والمصلحين اصحاب العبقريات الملهمين . ولم يكن النبي محمد ﷺ بدءاً من الرسل في هذا الاختصاص النبوي ، ولا اول من خاطب الناس باسم الوحي السماوي ، ومن ثم فلاعجب في هذا الاصطفاء مادام ركب البشرية منذ بداية سيرها لم تنزل يرافقتها رجال اصلاحيون يهتفون بهذا النداء الروحي ، ويدعون الى الله باسم الوحي وتبليغ رسالة الله :

«أكان للناس عجباً ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون : ان هذا ساحر مبین» (٤) .  
ودفعاً لهذا الاستنكار الغريب قال : «انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبیین من بعده . و اوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلا قد قصصناهم عليك من

١ - سورة يوسف : ٣

٢ - سورة الشورى : ٧

٣ - سورة العنكبوت : ٤٥

٤ - سورة يونس : ٢

قبل ورسلا لم نقصصهم عليك و كلم الله موسى تكليماً . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل و كان الله عزيزاً حكيماً . لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه و الملائكة يشهدون و كفى بالله شهيداً . ان الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضللاً بعيداً» (١) .

و الوحي الرسالي لا يعدو مفهومه اللغوي بكثير ، بعد ان كان اعلاماً خفياً ، وهو اتصال غيبي بين الله ورسوله ، يتحقق على انحاء ثلاثة ، كما جاءت في الاية الكريمة : «وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً . او من وراء حجاب . او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء . انه على حكيم» (٢) .

فالصورة الاولى : القاء في القلب و نفث في الروح . و الثانية : تكليم من وراء حجاب ، بخلق الصوت في الهواء بما يقرع مسامع النبي ﷺ و لا يرى شخص المتكلم . و الثالثة : ارسال ملك الوحي فيبلغه الى النبي ، اما عيانا يراه ، او لا يراه و لكن يستمع الى رسالته .

اذن فالفارق بين الوحي الرسالي و سائر الياحيات المعروفة ، هو جانب مصدره الغيبي اتصالاً بما وراء المادة . فهو ياحياء من عالم فوق ، الامر الذي دعى باولئك الذين لا يروقههم الاعتراف بما سوى هذا الاحساس المادي ، ان يجعلوا من الوحي الرسالي سبيلاً الى الانكار ، او تأويله الى وجدان باطني ينتشى من عبقرية واجده و سنبحث عن ذلك في فصل قادم .

١ - سورة النساء : ١٦٧

٢ - سورة الشورى : ٥١



## امكان الوحي :

قد يتشبث البعض - ذريعة لانكار النبوات - بتباعد ما بين العالم العلوى والعالم السفلى ، ذلك متشعشع روحى لطيف . وهذا متكدر مادي كثيف . واذا لا واسطة بين الجانبين ، فلا علة تربط احد العالمين بالآخر .

هذه شبهة من يرى من عالم الدنيا ماديا محضاً ، لا تناسب بينه وبين عالم الملكوت

الاعلى .

لكن اذا ما عرفنا من هذا الانسان وجوداً برزخياً ذا جانبين ، هو من احدهما جسمانى كثيف ، وفيه خصائص المادة السفلى . ومن جانبه الاخر روحانى لطيف ، وهو ملكوتى رفيع ، لم يكن موقع لهذه الشبهة رأساً :

الانسان وراء شخصيته هذه الظاهرة ، شخصية اخرى باطنة ، هى التى تؤهله - احياناً - للارتباط مع عالم روحانى اعلا ، اذ كان مبدؤه منه واليه منتهاه : « ان الله وانا اليه راجعون » (١) هذا هو واقع الانسان الحقيقى ، ذو التركيب المزدوج من روح وجسم ، ومن ثم فهو برزخ بين عالمى المادة وما وراء المادة ، فمن جهة هو مرتبط بالسماء ومن اخرى مستوثق بالارض . قال تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقه . فخلقنا العلقه مضغة .

فخلقنا المضغة عظماً . فكسونا العظام لحماً» الى هنا تكتمل خلقة الانسان المادية ، ثم يقول : «ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين» ( ١ ) . وهذا الخلق الاخر هو وجود الانسان الروحي ، وهو وجوده الاصيل . الذي اشارت اليه آية اخرى : «وبدء خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه» ( ٢ ) . قال الامام الصادق عليه السلام : «ان الله خلق خلقاً وخلق روحاً . ثم امر ملكاً فنفخ فيه . . .» ( ٣ ) . فهذا هو الانسان ، مخلوق متركب من جسم هو مادي ، وروح هو لا مادي ، فوجوده المادي خلق ، وبوجوده اللامادي خلق آخر . وبوجوده هذا الاخر يستأهل الاتصال بالملاء الاعلى ، لا بوجوده ذلك المادي الكثيف .

\* \* \*

نعم جاءت فكرة انكار الوحي ، نتيجة للنظرة المادية البحتة الى هذا الانسان ، وهي نظرة قاصرة بشأن الانسان ، سادت اروبا في عصر نشوء الفكرة المادية عن الحياة ، والتي جعلت تتقدم وتتوسع كلما تقدمت العلوم الصناعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، واخذت المقاييس المعنوية في الحياة تتدهور تراجعاً الى الوراء . وكادت الموجة تطبق العالم اجمع ، لولا ان انتهضت الفكرة الروحية في امريكا ومنها سرت الى اروبا كلها فجعلت مسألة الوحي تحبى من جديد .

قال الاستاد وجدى : كان الغربيون الى القرن السادس عشر كجميع الامم المتدينة يقولون بالوحي ، وكانت كتبهم مشحونة باخبار الانبياء ، فلما جاء العلم الجديد بشكوكه وماديته ، ذهب الفلاسفة الغربية الى ان مسألة الوحي ، هي من بقايا المخرافات القديمة ، وتغالت حتى انكرت الخالق والروح معاً ، وعلت ماورد عن الوحي في الكتب القديمة بأنه اما اختلاق من المتنبأة انفسهم لجذب الناس اليهم

١- سورة المؤمن : ١٦

٢- سورة السجدة : ٩

٣- بحار الانوار ج ١ ص ٣٢



وتسخيرهم لمشيئتهم ، واما هذيان مرضى يعترى بعض العصبيين ، فيخيل اليهم أنهم يرون اشباحاً تكلمهم وهم لا يرون فى الواقع شيئاً .

راج هذا التعليل فى العالم الغربى ، حتى صار مذهب العلم الرسمى . فلما ظهرت آية الروح فى امريكا سنة ١٨٤٦ م وسرت منها الى اروبا كلها ، واثبت الناس بدليل محسوس وجود عالم روحانى آهل بالعقول الكبيرة و الافكار الناقبة ، تغير وجه النظر فى المسائل الروحانية ، وحيث مسألة الوحي بعدان كانت فى عداد الاضاليل القديمة . واعاد العلماء البحث فيها على قاعدة العلم التجريبي المقرر ، لاعلى اسلوب التقليد الدينى ، ولامن طريق الضرب فى مهام الخيالات ، فتأدوا الى نتائج ، وان كانت غير مآقره علماء الدين الاسلامى ، الا انها خطوة كبيرة فى سبيل اثبات امر عظيم كان قد احيل الى عالم الامور الخرافية (١) .

## جانب روحانية الانسان :

قلنا : ان موجة الحادية لم تطل غير قرنين ، كادت تطبق العالم المتمدن ، لولا ان قام فى وجهها واقع الامر ، الذى تجلى اخيراً على محبى العلم ، فانقاد له العلماء المحققون اجمع ، ومن ثم اندحرت تلك الفكرة الالحادية ، وتراجعت القهقرى تراجعاً مع الابد .

غير اننا نجد انفسنا فى ضرورة النظر الى ادلة اقامها فلاسفة قداماء ومحدثون ، بشأن اثبات النفس ، اى وجود الانسان الباطن ، ليكون هذا الانسان مزدوج الشخصية : روحاً وجسداً ، ويكون هذا الاخير آلة لارادية ، يسيرها وجود الانسان الباطنى ، الذى هو وجود الانسان الحقيقى الاصيل . وهذه النظرة المزدوجة الى الانسان كانت ولا تزال هى الفكرة السائدة عن الحياة ، فى الاوساط المتدينة فى العالم القديم ، وتواصلت فى سيرها حتى حيتت معالمها من جديد ، وكانت الاديان السماوية كلها تؤيدها ايضاً

١- دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدى ج ١٠ ص ٧١٢



وتجعلها الاساس لجميع تعاليمها وبرامجها فى التشريع والعبادات .  
واليك بعض البراهين الفلسفية اولا مما اقامها فلاسفة اسلاميون . وهى كثيرة  
ومتنوعة ، اخترنا لك مايلى ، ثم نعقبها بادلة حديثة جاء بها العلم التجريبي الحديث .

## براهين فلسفية لاثبات النفس :

جاءت الفلسفة العقلية بادلة ضافية ، تثبت وجود النفس بصورة واضحة ، تكلم  
عنها الشيخ ابو على ابن سينا فى كتابيه «الشفاء» و « الاشارات » . ثم تكلم عنها غيره  
من فلاسفة اسلاميين ، كابن رشد . ونصير الدين . والرازى . والنيسابورى . وابن  
حزم . وصدر المتألهين . والحكيم السبزواري ، واخيراً سيدنا الطباطبائى . وغيرهم  
كثيرون . واليك منها :

### ١ - الانسان فى كينونة ذاته :

لهذا الانسان وجود باطن ، يدعى بالنفس ، هو الذى يشكل كينونته الذاتية  
الثابتة ، ويكون وجوده الاصيل الحقيقى ، والذى لا يتغير مهما تغير هذا الجسد  
الظاهر . وهذا مايجده كل انسان من ذاته انه شىء وراء هذا الجسد . وتوضيحاً لهذا  
الجانب من وجود الانسان الحقيقى نستوضح مايلى :

\* اننا نجد فى كياننا الذاتى شيئاً نعبّر عنه بـ «انا» . لا يمكننا التعبير عنه بغير هذا  
اللفظ ، كما لانستطيع التعبير بهذا اللفظ عن اى شىء سواه فى وجودنا .

حينما نقول : « انا » نقصد من انفسنا وجوداً باطناً هو الذى يشكل كينونتنا  
الذاتية ، لاشىء آخر سواه ، فلانعبّر عن اى جارحة من جوارحنا او اى عضو من اعضاءنا  
الجسدية ، بـ «انا» سواء اكانت اعضاء داخلية كالقلب والكبد والمخ والمعدة وامثالها ،  
او كانت اعضاء خارجية كالرأس واليد والرجل والبطن وامثالها كل ذلك لا يصح  
التعبير عنه بـ «انا» بل ولا عن الجسم كله .

نعم عند ما نريد النفس والذات - وهو وجود باطن حقيقي اصيل - نقول: انا.

فالانسان في كينونة ذاته وجود آخر غير وجوده الجسدى الظاهر .

\* الانسان يسند جميع ما فى وجوده الجسدى - سواء أ كانت خارجية ام داخلية - الى نفسه ، فيقول : رأسى . يدي . رجلى . قلبى . مخى . بدنى . وهذا «المضاف اليه» فى جميع ذلك ، شىء وراء تلك «المضافات» كلها . الامر الذى يدل على تباين ما بين الجسد وذلك الوجود الحقيقى الاصيل المنسوب اليه تلكم الاشياء .

واما اضافة النفس او الروح الى الذات : «نفسى» . «روحى» فهى من اضافة الشىء الى نفسه كما فى «ذاتى» بشهادة الوجدان بعدم فهم تغاير ما بين المضاف والمضاف اليه فى ذلك ، على عكسها فى اضافة اعضاء الجسد الى النفس .

\* الانسان ينسب جميع افعاله وتصرفاته وهكذا جميع حالاته وصفاته الى نفسه ، يقول : تكلمت ، تعلمت ، اعطيت ، اخذت ، سافرت ، ذهبت ، بعث اشترت ...

لا يريد بذلك اسنادها الى شىء من جوارحه : لا يريد ان لسانه هو الذى تكلم . او قلبه هو الذى تعلم . او يده هى التى اعطت او اخذت . او رجله هى التى مشت او ذهبت ... وانما يريد انه بذاته فعل هذه الامور ، وكانت جوارحه آلات توصل بها الى مآربه وحاجاته .

فكل احد يجد من نفسه وجوداً - وراء هذه الاعضاء الجسدية - هو الذى يفعل ويتصرف وينسب اليه جميع حالاته وتقلباته .

\* انا نوجه الخطاب او التكليف ، وكل ما يستتبعه من مدح او ذم او تحسين او تقبيح ، وكذا كل امر او نهى او بعث او زجر ، الى الانسان ، لا نريد به جسده ولا شيئاً من اعضاءه وجوارحه . وانما نريد بذلك ذاته ونفسه ، وهو المقصود بقولنا : «انت» لاشىء آخر .

ونتساءل : من المخاطب بقولنا : انت ؟ . ومن المأمور او المنهى عندما نأمر

او نزجر ؟ ، ومن الموجه اليه المدح او القدح ؟



لاشك انه وجود الانسان الحقيقي الثابت وهو ذاته ونفسه ، ليس الا .  
 \* ان في وجود هذا الانسان شيئاً لا يغفل عنه ابداً . وماعداه فانه قد يغفل عنه  
 احياناً . الانسان قد يغفل عن جسده وعن كل ما يتعلق بجسده من اعضاء وجوارح داخلية  
 وخارجية ، لكنه لا يستطيع الغفلة عن ذاته هو . فذاته متمثلة لديه في جميع حالاته  
 وتقلباته . فوجود الانسان الحقيقي هو ذاته - الذي لا يغفل عنه ابداً - لاجسده ولا اعضاءه  
 - مما يغفل عنه احياناً - لان الذات - وهو حقيقة الشيء - هو الذي لا يغفل عنه . واما  
 الذي يغفل عنه فيبدو انه ليس من الذات الاصيل .  
 الامر الذي يدل على ان وجود الانسان الحقيقي شيء وراء الجسد ، وهو ذاته  
 ونفسه ، لاشيء في وجود الانسان يمكن التعبير عنه بالذات او النفس سوى الروح ، فهو  
 وجود الانسان الحقيقي الاصيل .

## ٢- الانسان في صفاته وغرائزه :

الانسان يملك صفات وغرائز هي ثابتة له او تبقى له طول الحياة ، كما ان له  
 صفات وحالات تتغير حسب تغير الاوضاع والاحوال . وان صفاته الثابتة الغريزية  
 صفات قائمة بنفسه ومن ثم فهي باقية مدى الحياة . وأما صفاته المتبدلة - وتسمى  
 بعوارض - فهي قائمة بجسمه ، ومن ثم فهي متغيرة ، الامر الذي يدل على جانبين من  
 وجود هذا الانسان ، وتوضيحا لهذا الفرق بين نوعين من صفاته نشرح النقاط التالية:  
 \* لاشك ان هذا الجسد ، بما فيه من اجهزة وغدد وتلافيف واعصاب وعروق ،  
 وحتى العظام والغضاريف ، في تغير وتبدل دائم - ظاهرة الاحراق والتعويض -  
 وقد قيل : ان جسم الانسان يتبدل كلياً في كل سبع سنوات .  
 وهذا التغير المستمر في جسم الانسان يستدعي - طبعاً - تبديلاً في صفات وحالات  
 قائمة بهذا الجسم . امثال الصحة والمرض والسمن والهزال والقوة والضعف  
 والطفولة والشباب والكهولة والهرم .



لكن الانسان يملك الى جانب هذه الصفات والاحوال المتغيرة . صفات وعرائز ثابتة ، لا يعرضها اى تغير او تبدل رغم تبدل الجسم وتغيره ، وهى صفات الحب والبغض والرغبة والرهبه ، وملكات الكرم والبخل ، والشجاعة والجبن ، والسماحة والحسد ، وماشا كلها من صفات ذاتية لا ترتبط مع الجسم اى ارتباط .

اذن فما هو المحل القائم به هذه الصفات الراسخة ؟

لاشى يصلح محلها سوى النفس «الروح» !

وهنا اعتراض معروف نتعرض له فى الفصل القادم . (١) .

\* الانسان لايزال ينمو وتستحكم قواه الجسدية الى حدمعين ، ثم يقف فى مستو واحد ، ومن بعده يأخذ فى الهبوط والانتكاس تدريجياً ، فهو الى العقد الثالث من عمره - تقريباً - أخذ فى النمو الجسدى ، والى العقد الخامس هو على مستو واحد ، وبعده يأخذ فى ضعف تدريجى . حتى اذا طعن فى السن يتسرع هبوطه ضعفاً فوق ضعف . «الله الذى خلقكم من ضعف . ثم جعل من بعد ضعف قوة . ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة . يخلق ما يشاء وهو العليم القدير» (٢) .

هذه طبيعة الانسان الجسدية . واما حياته العقلية فلا تتساوق مع ظاهرة الجسم فى سرعة التبدل والتغير ، فهو لايزال ينمو فى قواه العقلية وتزداد حيوية ونشاطاً عبر العقود الخمسة من عمره ، فبينما الجسم أخذ فى الهبوط التدريجى منذ العقد الرابع ، واذا بالجانب العقلى من الانسان بعد ، مستمر فى طريقه الى الكمال ، الامر الذى يدلنا على ان فى وجود الانسان جانبين ، هو من أحدهما أخذ فى الهبوط ومن الاخر أخذ فى الصعود ، ذاك سائر فى الاكتمال ، وهذا راجع فى طريقه الى الانتكاس .

\* قد يحصل نقص فى عضو او اعضاء من جسد الانسان ، فيصبح الجسم ناقصاً لامحالة ، لكن هذا النقص الجسدى لا يؤثر نقصاً فى ذات الانسان ، فهو هو بعد ،

١- فى ذيل الدليل الثانى من الادلة الحديثة الآتية .

٢- سورة الروم : ٥٤

على كماله الانساني الاول ، ليس الانسان الذى فقد رجليه او يده او عضواً آخر من جسده خارجياً كان امداخلياً ، انساناً ناقصاً فى انسانيته ، وان كان ناقصاً فى هيكله الجسدى ، ومن هنا نعرف ان فى وجود الانسان شيئين : روحاً وجسداً ، والنقص فى احدهما لا يؤثر نقصاً فى الاخر .

واما القولة المشهورة : العقل السليم فى البدن السليم ، فتعنى : ان الالة كلما كانت اسلم كان العمل بها اتقن ، نظراً لان الروح يستخدم فى فعالياته الحاضرة ، آلات البدن مادام قيد هذا الجسد ، فكلما كان البدن اكمل وانشط كان العمل به ايسر واتم .

### ٣- الانسان وظاهرة الادراك:

الانسان فى داخل وجوده ذو طاقة جبارة ، تختلف تماماً عن قواه الجسدية المحدودة . انه فى جانب عقليته يذهب الى ابعاد شاسعة لانهاية لها ، ويتحلق فى اجواء لأمد لها ، كما وينطلق الى ما وراء المادة والى آفاق واسعة ، انطلاقة لاوقفة لها عند حد ، انه يدرك ، وظاهرة الادراك ذاته ظاهرة غير مادية ، اذ لا يوجد فيها اى خاصية من خواص المادة اطلاقاً ، انها لا تقبل انقساماً الى ابعاد ثلاثة . ولا تحمل ثقلاً ولاهى محدودة بالجهات .

انه يدرك ، وقسم من مدر كاته تفوق حدود المادة فى جميع ابعادها ومميزاتها بصورة مطلقة : انه يدرك معانى كلية ليست تتحقق خارجياً البتة . انه يفهم ملازمات عقلية ، والملازمة ذاتها لا وجود لها سوى طرفيها اللازم واللزوم . انه يعلم بامور غائبة عن الحس . ويفكر فى شئون ما وراء الاحساس .

وبكلمة جامعة : الانسان يعرف ، والمعرفة فى كيان الانسان ظاهرة غير مادية ،

فى حين ان اللامادى لا يقوم بمادى ، فاين محلها من وجود الانسان ؟

ونتيجة على ذلك نعترف - بالضرورة من بديهية العقل - ان وراء وجود هذا الانسان

الجسدى الظاهر ، وجوداً اخر لامادى ، هو « النفس » الذى تقوم به ظاهرة الادراك ،



ومجال النفس اوسع من المادة بنسبة فائقة .

وتوضيحاً لهذا الجانب النفسى من ظاهرة الادراك نقول :

قد تنعكس فى ذهنية الانسان - عند ما يواجه منظرأ طبيعياً - صورة منطبقة مع الواقع تمام الانطباق فى جميع ابعادها وسماتها ، من حركة ولون وزهور واشجار، وجبال وانهار ، وابعاد واغوار . وتتجلى هذه الصورة بنفس الابعاد والسمات كلما تذكرها ، فيجدها حاضرة نفسه على مقاييسها الاولى .. تلك ظاهرة التذكر ، فياترى اين محلها الذى تقوم به ؟

وثانية نقول :الانسان يجدصورة المنظر كلما تذكرها بنفس الابعاد والمقاييس والحركات والالوان ، كانه يشاهدها الان ،صورة طبق الواقع تماماً ،ان هذه الصفحة التى تقع عليها هذه الصورة ، وتسمى بصفحة الذهن ،صفحة ذات ابعاد توازى نفس ابعاد المنظر ،حسبما يجدها الانسان حاضرة نفسه الان .اين تقع هذه الصفحة المتسعة ، من وجود الانسان ؟

ان جزئيات المخ ، تنطبع عليها صور المحسوسات ، لكنها فى غاية الصغر . لاتتناسب والابعاد التى يجدها الانسان عندالتذكر .

اننا لاننكر وجود جزئيات مخية تحتفظ فى نفسها صور المشاهدات ، لكن ذلك وحده ليس ادراكاً ولا تذكرأ ، لان هذه الصور موجودة ، وهى مستمرة فى وجودها حتى مع الغفلة ، وتتجلى مع التذكر وعندالفتات النفس . وهو ادراك متجدد للصورة بعد ان كان ادراكاً لذات الصورة .

لعلك تقول ، ان تلك الصور المنطبعة على جزئيات المخ قد تبدو للنفس وقد تخفى وبهذا تعلق ظاهرتى «التذكر» و«الغفلة» !

لكننا نساءل : اذا كانت هذه الصور تبدو وتخفى ، فتجاه اى شىء تبدو ، وعن اى شىء تخفى ؟ وهذه المقابلة بين اى شىء و شىء ؟

وبعبارة اخرى : ان هذه الصور تتجلى . لكنها لمن تتجلى ؟ ومن المواجه



له ؟ لاشك ان المواجهة امر قائم بجانبين ، فاذا كانت الصور المنطبعة تشكل جانباً من هذه المواجهة ، فاین الجانب الاخر المواجه له ؟ نعم ان الصور المنطبعة على جزئيات المخ تتجلى امام النفس ، فالنفس شىء ، وهذه الجزئيات شىء آخر فالنفس وهو وجود الانسان الباطن هو الذى يشكل الجانب الاخر من هذه المواجهة النفسية، والنفس هى التى تدرك تلك الصور متى تذكرتها ، وهو ادراك متجدد وان شئت فسمه التذكر . ان جزئيات المخ افلام تنعكس صورها على صفحة النفس الواسعة عند التذكر ، وعند ما تتجه النفس الى ما خزنتها فى آلة الادراك . وبذلك تتحقق تلك المقابلة والمواجهة القائمة بطرفين .

فالصحيح : ان ظاهرة الادراك والتذكر ، ظاهرة نفسية ، تقوم بنفس الانسان ، وهو وجوده الباطن «الروح» ومن ثم لا توجد فيها خصائص المادة اطلاقاً ، فلما محدودية ولا تراحم ابداً .

\* \* \*

وايضاً فان الادراك حكم للنفس : هذا ذاك او ذاك هذا . وهذا يدلنا على امرين : الاول : ان وراء هذه الصور المنتقشة على صفحة الضمير ، وجود آخر هو الذى يحكم عليها بان هذا ذاك او ذاك هذا ، وليس سوى النفس التى تحكم بذلك . الامر الثانى : ان الحكم ذاته بما انه غير مادى - لعدم وجود خواص المادة فيه اطلاقاً - فان الحاكم بذلك - وهو النفس - ايضاً غير مادى ، بالمعنى المعروف للمادة . وذلك اقتضاء للسخرية بين الاثر - وهو الحاكم - والمؤثر - وهو الحاكم .

كما ان الادراك يتعلق بامور كلية هى ثابتة فى صقع النفس لا تتغير ولا تتجدد ، الامر الذى يتنافى وظاهرة التغير والتجدد المستمرين فى جميع جزئيات الجسم بصورة عامة .

واخيراً فان ظاهرة التذكر ليست سوى اعادة لادراك امر سابق ، كان ، موجوداً

وهو مستمر ، وليس ادراكاً لشيء جديد ، وان كان نفس الادراك جديداً :  
 اننا عند ما نتذكر شيئاً نجد عين ما وجدناه سابقاً ، ومحفوظاً في خزانة الذهن ،  
 من غير ما تفاوت او تغيير ، فلو كان قائماً بغير النفس ، اى باجزاء هذا الجسم العنصرى ،  
 لكان هذا المدرك - بالفتح - ثانياً غير المدرك اولا ، اذ لا شيء في الجسم الا وهو آخذ  
 فى التبدل والتغير لفترة محدودة ، ولا سيما اذا كان التذكر بعد أمد طويل .  
 فاما أن نخطف ذاكرتنا - التى حكمت بالعينية - او نسلم بلامادية ظاهرة الادراك  
 والتذكر ، الامر الذى يجعل الاخير هو الصحيح حيث كانت بداهة الوجدان هى  
 المحكمة فى هذا الرفض او القبول .

## ادلة حديثة على وجود الروح :

اما الفلسفة الحديثة فأخذت من التعمق فى علم الفزيولوجيا « علم وظائف  
 الاعضاء » ، براهين جلية على صحة وجود النفس وتمييزها عن الدماغ ووظيفته :  
 اولا - ان الاعصاب المنتشرة على سطح الجسم لا تؤثر فيها العوامل الخارجية على  
 حد سواء ، بل يقتضى لها مؤثرات معينة لاهتزاز الالياف الدقيقة المؤلفة منها . مثلا  
 ان التأثيرات النظرية لافعل لها فى عصب السمع وبالعكس . فاذا اتخذنا مثلاً حاسة  
 البصر موضوعاً لبحثنا نرى ان الحركة التموجية فى الاثير ، بتأثيرها فى شبكة العين ،  
 تحدث اهتزازاً فى العصب البصرى ، وهذا الاهتزاز يمتد الى الطبقة البصرية المستقرة  
 فى وسط الدماغ ، ومن هناك يندفع الى مركز الحواس ، حيث ينتشر فى القلالى  
 الدقيقة ، ويوقظ الخلايا العصبية المتعلقة بالتأثيرات البصرية . وعليه فكل نوع من التأثيرات  
 الحسية تنفرق ثم تتجمع فى مكان مخصوص من الدماغ وقد اثبت التشريح وجود  
 اماكن معينة فى الدماغ ، ونواح محدودة يتجمع فيها ويتكاثف ويتحول ما تنقله  
 اليها الحواس من التأثيرات الخارجية . وقد قام علماء الفزيولوجيا ببعض امتحانات  
 على الحيوانات الحية ، اظهروا بها انهم بنزعهم عن هذه الحيوانات قطعاً اصلية من



المادة المخية قد اقدت قوّة ادراك التآثيرات النظرية او السمعية . بل اثبت العلامة «شيف» بالامتحان ، ان الحرارة ترتفع فى جزء من اجزاء دماغ الكلب ، نسبة لنوع التآثيرات الواصلة اليه من احدى الحواس .

واذاسألنا الماديين : كيف تتحول هذه الحركات الاهتزازية ، بعد وصولها الى مراكزها النسبية من الدماغ ، الى افكار فهمية ؟ فيجبونا : ان هذه الاهتزازات ، حينما تبلغ القلالى الحسية من الدماغ يحدث فيها من رد الفعل ما يحدث فى قلالى النخاع الشوكى !

لكن غير خاف على أحد ما يتم فى حادث رد الفعل هذا ، وهو : ان محركات الاعصاب الحسية تنقل الى القلالى الدقيقة من النخاع الشوكى تهبجاً ينعكس الى القلالى الغليظة ، فتتهزله الاعصاب المحركة المناسبة لها ، وعلى هذه الصورة يرتد الاهتزاز الى نقطة مصدره تحت هيئة تأثير محرك . هذا شرح ما يحدث فى ضفدعة قطع رأسها ، ومع هذا فتتشنج رجليها لدى مسيسها بحامض مهيج .

والامر نفسه يحدث فى مؤثرات القلالى الحسية من الدماغ ، اى ان القلية القشرية عند ما يبلغها الاهتزاز الخارجى تنتصب لدرجة ماء وتتنبه حاسيتها الذاتية ، وتفرغ القوة الكامنة فيها ، ثم تمتد الحركة الى ماجاورها من القلالى وتوقظ القوة المضمورة فيها حتى تبلغ القلالى الغليظة ، وهذه تنقلها الى المادة الرمادية ذات الاخايد ، من الدماغ ، التى تقوى الاهتزازات ، وتدفعها الى الاعضاء تحت هيئة تأثير ، او بالاحرى : أمر محرك .

اننا سلم مع ناكرى النفس بكيفية مجرى المحس هذا ، المعبر عنه بالاهتزاز العصبى ، وبلوغه الى الدماغ ثم ارتداده من هناك تحت هيئة أمر محرك ، ولكن فات غرماننا حادث خطير جرى ما بين البلوغ والارتداد : وهو «حادث الادراك» اى دراية الشخصية الانسانية بما حدث لها من الامور الخارجية ، لان تلك الاهتزازات والتهيجات العصبية ماهى الا حركات مادية تولد حركات اخرى ، ولكنها لاتحدث ادراكاً ، وما نتيجتها



سوى ان تنبه القوة العاقلة لادراك مصدر هذا التنبيه ، وعلته واثره . وبدون ذلك لا يكون للاهتزاز او الحركة الخارجية ادنى مفعول فى قوة الفهم .

ان القلية العصبية المركبة من كميات متناسبة من الكوليسترين والماء والفسفور و حامض الاوميك . . الخ ليست بذاتها قوة مدركة . والحركة الاهتزازية هى بذاتها حركة مادية محضة ، فكيف يولد اهتزاز هذه القلية العصبية وانتصابها ادراكاً ؟

هذا ما عجز الماديون عن تبيانه ، اما الفلاسفة الروحيون فيعلموننا بوجود شخصية عاقلة فينا ، تدعى « النفس » تنتبه بهذا الاهتزاز ، الى ما طرأ من الحوادث الخارجية : وعند ما يتم انتباهها هذا يحدث الادراك !  
ويؤيد ذلك بأجلى بيان ، حادث «الذهول» :

مثلا - عند ما نكون مستغرقين داخل حجر تنا فى عمل من الاعمال ، فر بما نغفل عن سماع تكتكة الساعة ، بل حتى عن طرق ناقوسها ايضاً ، ومع هذا فان اهتزازات الصوت اثرت فى عصب سمعنا وبلغت حتى الدماغ من دون ان ننتبه لها . وما ذاك الا لكون نفسنا مشغولة بافكار اخرى لم تنتبه ، ولا اثرت فيها اهتزازات القلالي الدماغية فلم يحصل الادراك السمعى .

وبالاختصار نجد ان المادة هى بذاتها عديمة الاختيار ، لا تولد شيئاً من تلقاء نفسها ، والمادة الدماغية هى آلة لتبيان احساسات النفس العاقلة ، وافكارها . فلا تعقل هى لما يصدر بواسطتها من التعبيرات الفكرية كآلة الساعة مثلا لا تدرك حركة الاوقات التى تشير اليها ، كما لا تدرك قراطيس الكتاب الافكار المسطرة عليها . «ومن زعم ان الدماغ يدرك الفكر ، فهو كمن يزعم ان الساعة تدرك حركة الوقت . او القراطيس يدرك معانى الكتابة !» .

\* \* \*

ثانياً - قرر علماء الفزيولوجيا - اجمالاً - ان كل حركة تصدر من الانسان

او الحيوان ،يصحبها احتراق جزء من المادة العضلية . وكل فعل من الارادة او الحس يتأتى عنه فناء فى الاعصاب . وكل عمل فكرى ينتج عنه اتلاف فى الدماغ .  
وبكلمة جامعة: انه لا يمكن لذرة واحدة من المادة ان تصلح مرتين للحياة ، فعندما يبدو من الحيوان او الانسان عمل عضلى او عقلى ، فالجزء من المادة الحية التى صرفت لصدور هذا العمل تتلاشى تماماً . واذ اكرر العمل فمادة جديدة تصلح لصدوره ثانية وثالثة وهلم جراً . وهذا الاتلاف هو بمناسبة قوة الظهورات الحيوية ، فحيثما اشتد ظهور الحياة ازداد تلف المادة الحية .

نعم هذا التلف الدائم يصحبه تعويض مستمر من المادة المستجدة الداخلة فى الدم بواسطة الهواء والمواد الغذائية .

و هذان العاملان - اى عامل الاتلاف وعامل التجديد - مرتبطان ببعضهما فى الكائن الحى ارتباطاً لا ينفصم . وبالأجمال يمكن القول : ان الاتلاف شرط ضرورى للتعويض . وهذا العمل الثانى - اى العمل التجديدى وهو عمل باطنى سرى - لا يظهر له فى الخارج ، فى حين ان عوامل الاتلاف تبدو ظاهرة للعيان ، فندعوها « ظواهر الحياة » وماهى الابوار الموت ، لان ظهورها لا يتم الا باتلاف جزء من انسجتنا العضوية . ينتج مما تقدم : ان فى وسط تنازع هذين العاملين ، يتجدد جسمنا مراراً عديدة فى مدار الحياة . ويتم هذا التجديد على ما ارتأى الفزيولوجى «موليشوت» فى كل ثلاثين يوماً . اما « فلورنس » فيزعم ان ذلك لا يتم الا فى سبع سنين . وقد قام هذا العلامة بامتحانات على الارانب اثبت فيها تجدد عظامها ذرة فذرة فى مدة محدودة . وبعد فاننا كرى النفس يزعمون ان قوة الذاكرة عبارة عن اهتزازات فسفورية

تتخزن فى القلية العصبية من الدماغ بعد وصول التأثيرات الخارجية اليها !  
فان صح ذلك - واذ تقر ان كل ما فىنا من العظام و الانسجة العضلية والقلالى العصبية تتلاشى وتتجدد فى مدة معلومة لا تتجاوز السبع سنين - اقتضى لقوة الذاكرة ان تتناقص فىنا بالتدريج ، الى ان تتلاشى فى كل سبع سنوات ، وان نضطر فى كل

سبع سنين الى تجديد كل ماتعلمناه سابقاً ، والحال اننا نشعر بان الامر ليس كذلك وان تيار المادة المتجددة فينا باتصال ، لم تحدث ادنى تغيير في ذاكرتنا . وان اموراً حدثت لنا ايام الصبا تخطر على بالنا زمن الهرم .

وبالاجمال : كل ما فينا يؤيد ثبات شخصيتنا ، وعدم تغيرها ، رغماً عن استبدال

كل ذرات كياناتنا المادى .

وهذا دليل قاطع على وجود قوة روحية فينا تدعى « النفس » يقبها جوهرها البسيط من التحولات والتقلبات على المادة الهيولية ، وفيها ينطبع ذكر الحوادث الماضية والعلوم التى اكتسبناها باجهد العقل والفكر .

\* \* \*

وقديعترض البعض : بان الخلايا المخية فى تنقلات ذراتها تدريجياً ، لعلها تنقل ما عليها من صور ونقوش ذاكرية ، الى ذرات مستجدة ، كما تنتقل سمات الوجه والوان منطبعة على ظاهر الجسد ، وحتى الخال ، الى ذرات جديدة من البشرية ، ومن ثم يبقى شكل الجسد ولون الخال طول الحياة ، وبذلك يعلل - ايضاً - ظاهرة بقاء الذاكرة المنتقلة من ذرات فانية الى ذرات مستجدة فى المخ .

لكن فات هذا المعترض : ان المنتقل من الصفات الباقية ، هى الطبيعية الناتجة من داخل الذات ، لا العارضة التى طرأت من احوال المحيط الخارج . مثلاً : لون الخال انما يبقى ، اى ينتقل من ذرات فانية الى ذرات مستجدة ، لانه طبيعى ذاتى ، فلا بد ان نفس الذرات التى كانت تشكل ظاهرة الخال فى حالة سابقة ، ان تتبدل وتتجدد الى ذرات اخرى تشكل نفس الظاهرة ايضاً . اما والصفات العارضة كاللون العارض من لفحة الشمس ، فانها تخص ذرات الجسم المواجهة للعوامل الاولى ، فاذا فئت تلك الذرات المواجهة تدريجياً ، فان اللون العارض ايضاً يذهب تدريجياً ، مالم تتجدد تلك العوامل الاولى .

وعليه فان التى تودعها ذرات مخية فانية الى ذرات مستجدة ، هى صفات ذاتية



كقابلية الانطباع والانتقاش والتلقى ، اما نفس الصور والنقوش ، فبما انها صفات طارئة عليها ، وليست ذاتية ناتجة من داخل الطبيعة ، فلا بدن تذهب تدريجياً مع فناء ذرات سابقة . ولاتعود باقية الامع اعادة العوامل الاولى ، اللهم الا ان نقول بـ ان النفس هي التي تكرر بقاء الصور على الذرات المستجدة ، وهذا يلتئم مع مطلوبنا في هذا البحث .

\* \* \*

ثالثاً - منذ قرن ونيف وجدت طريقة بحثية تؤيد وجود النفس بنوع حسي ، وهي طريقة « المغنطيسية الحيوانية » وفيها يشاهد انفصال الروح عن الجسد وقيامها باعمال مدهشة تنبئ عن صحة وجودها الذاتى وصدور اعمال فكرية بمعزل عن الحواس . ان المغنطيسية الحيوانية - على ما حدد منشئها الحديث « انطونيوس مزمر » - هي : عبارة عن سيال رقيق جداً ينبعث من جسم الفاعل فى المغنطيسية الى الشخص المنفعل ، بواسطة اشارات وحركات ، بل نظرة حادقة تصدر من الاول الى الثانى . ان هذه الظاهرة الروحية قديمة جداً ، لكنها كانت او كادت تعد متأخراً من الخرافات البائدة، حتى جاء العلماء الروحيون « فيسان » و « كرنيليوس » و « باراسلوس » ممن عاشوا فى القرن الرابع عشر والخامس عشر ، فاحيو اهد العلم الروحى من جديد ووضعوا له اصولاً وقواعد ، نشرها فيما بعد « انطونيوس مزمر » ( ١ ) . ومن ثم شاع وذاع هذا العلم واعترف به العلماء جميعاً ، فهو اليوم من الحقائق الراهنة التى تنمو وتزداد صيتاً واعواناً . الامر الذى لا يبقى معه شك فى ان الانسان فى كينونته الباطنة وجوداً آخر ، ذاطاقة جبارة ، ، يفعل بها افعالا يعجز عنها هذا البدن المادى ، وتضعف عنها قواه الجسدية .

وقد جمع من هذه الظواهر ، واسماء علماء قاموا بتحقيقها وتمحيصها ، الاستاذ رؤوف عبيد فى كتابه « الانسان روح لاجسد » ثم فصلها فى « مفصل الانسان روح

١- امين الهلالي : المذهب الروحانى ص ٤٣

لاجسد» فراجع .

\* \* \*

وظاهرة روحية اخرى : «تحضير الاوراح» جاءت ايضاً - فى العصر الاخير -  
لنؤيد وجود الروح وراء هذا البدن العنصرى المادى ، ليكون الانسان وراء وجوده  
الظاهر المحسوس ، وجوداً اخر باطنا ، ينفصل عنه احياناً - فى هذه الحياة - ونهايتها  
بعد الممات .

وقد ظهرت آية ذلك لأول مرة فى امريكا سنة ١٨٤٦م ، وسرت منها الى اروبا  
كلها ، واثبتت بسدليل علمى تجريبى وجود عالم روحانى - وراء هذا العالم  
المادى - آهل بالعقول الكبيرة والافكار الثاقبة ، ومن ثم تغير وجه النظر فى المسائل  
الروحانية ، وحييت مسألة بقاء الروح بعد مفارقة الجسد من جديد بعد ان كانت فى عداد  
الاضاليل القديمة . واعاد العلماء البحث فيها على قواعد العلم التجريبى الحديث ، ووصلوا  
الى نتائج هامة ، كانت خطوة كبيرة فى سبيل اثبات امر عظيم كان قد احيل الى  
عالم الخرافات .

تألفت فى لندرة من سنة ١٨٨٢م جمعية دعيت باسم «جمعية المباحث الروحانية» تحت  
رئاسة الاستاذ جويك المدرس بجامعة كمبروج ، وهو من اكبر العقول فى انجلترا .  
وعضوية الاستاذ السير اوليفر لودج المقلب بدارون علم الطبيعة ، والسير وليم كروكس  
اكبر كيمائى الانجليز ، والاستاذ فردريك ميرس ، وهودسون ، المدرسين بجامعة  
كمبروج ، والاستاذ وليم جيمس المدرس بجامعة هارفارد بامريكا ، والاستاذ هيزلوب  
المدرس بجامعة كولومبيا ، والعلماء الكبار : غازنى وباريت ، وبودمور ، والعلامة  
الكبير شارل ريشية المدرس بجامعة الطب الباريزية والعضو بالمجمع العلمى الفرنسى  
والرياضى الكبير كاميل فلانريون الفلكى الفرنسى المشهور ، وعدد كبير غيرهم  
من كبار علماء الارض .

وكان الغرض من هذه الجمعية : البت فى المسألة الروحانية وتحقيق حوادثها

باسلوب النقد الصارم ، والحكم بقبولها نهائياً في العلم ان كانت حقيقة . او تقرير  
ابعادها عن العلم والفلسفة ان كانت من الامور الوهمية .

فمضى على هذه الجمعية حوالى نصف قرن ، حققت في خلالها الوفاً من الحوادث  
الروحية ، وعملت من التجارب في النفس وقواها ، مالا يكاد يدرك ، لولا انه مدون  
في محاضر تلك الجمعية في نحو خمسين مجلداً ضخماً . فكان من ثمرات جهادها  
اثبات شخصية ثانية للانسان ، اى اننا احياء مدركون في حياتنا الحاضرة ، لا بكل  
قوى الروح التي فينا ، بل بجزء من تلك القوى سمحت لنا بها حواسنا الخمس القاصرة .  
ولكن لنا فوق ماتعطيه لنا حواسنا هذه حياة ارقى من هذه الحياة ، لا تظهر بشيء من  
جلالها الا اذا تعطلت فينا هذه الشخصية العادية بالنوم العادى او النوم الصناعى المغناطيسى  
او بالموت .

وقد سجل الاستاذ «فريد وجدى» شهادات ضافية من علماء كبار بهذا الشأن ،  
في دائرة معارفه (١) ، والاستاذ «امين الهلالى» في كتابه : المذهب الروحانى (٢) ،  
والدكتور «رؤوف عبيد» في كتابه : الانسان روح لاجسد (٣) ، والاستاذ « جيمس  
آرثر . فندلاى» في كتابه : على حافة العالم الاثيرى (٤) ، وغيرهم كثيرون ، فراجع .

\* \* \*

- ١- اثبات الروح بالبراهين الحسية ، مادة روح ، ج ٤ ص ٣٤٤ - ٤٠٠ . الوحي وفلسفة  
الغرب ، مادة وحى ، ج ١٠ ص ٧١٢ - ٧٢٠ : دائرة معارف القرن العشرين .
- ٢- الباب الثانى : اثبات وجود النفس بالادلة الطبيعية ص ٣٤ - ٤٤ . والباب الثالث :  
اثبات خلود النفس بالحوادث الروحية ص ٤٢ - ٤٤ .
- ٣- الفصل التاسع : بين العقل والمخ ، ج ١ ص ٤٤٩ - ٤٨١ : مفصل الانسان  
روح لاجسد .
- ٤- الفصل الثالث : المادة والعقل ص ٤٧ - ٥١ . ترجمة احمد فهمى ، طبعة ثالثة .



## فذلكة البحث :

وخلاصة ماسبق من الابحاث : ان الانسان يملك فى وجوده جانبين ، هو من احدهما جسمانى ، ومن الاخر روحانى ، فلاغروان يتصل - احيانا - بعالم وراء المادة ، ويكون هذا الاتصال مرتبطا بجانبه الروحى الباطن . وهو اتصال خفى ، الامر الذى يشكل ظاهرة الوحى .

الوحى : ظاهرة روحية ، قد توجد فى آحاد من الناس ، يمتازون بخصائص روحية تؤهلهم للاتصال بالملاء الاعلا ، اما مكاشفة فى باطن النفس او قرعاً على مسامع ، يحس به الموحى اليه احساساً مفاجئاً يأتية من خارج وجوده ، وليس منبعثاً من داخل الضمير ، ومن ثم لا يكون الوحى ظاهرة فكرية تقوم بها نفوس العباقر - كما يزعمه ناكروا الوحى - كلا ، بل القاء روحانى صادر من محل ارفع الى مهبط صالح امين .

قال تعالى : «أكان للناس عجباً ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس» (١) نعم شىء واحد لانستطيع ادراكه ، وان كنا نعتبره واقعاً حقاً ، ونؤمن به ايماناً صادقاً ، وهو : كيف يقع هذا الاتصال الروحى ؟ هذا شىء يخفى علينا اذا كنا نحاول ادراكه باحاسيسنا المادية او نريد التعبير عنه بمقاييسنا اللفظية الكلامية ، انها الفاظ وضعت لمفاهيم لاتعدو الحس اولا تكاد . وكل ما باستطاعتنا انما هو التعبير عنه على نحو التشبيه والاستعارة او المجاز والكناية لا اكثر ، فهو مما يدرك ولا يوصف ، فالوحى ظاهرة روحية يدركها من يصلح لها . ولا يستطيع غير هان يصفها وصفاً بالكنه ، ما عدا التعبير عنها بالاثار والعوارض هذا فحسب .

## الوحى عند فلاسفة الغرب :

اشرنا فيما سبق ان فلاسفة اروبا بعد ان عادوا الى الاعتراف بوجود شخصية

باطنة للانسان ، تسمى بالروح ، وعلموا انها هي التي كونت جسمه في الرحم وهي التي تحرك جميع عضلاته واعضائه التي ليست تحت ارادته كالكبد والقلب والمعدة وغيرها ، فهو انسان بها لابهذه الشخصية العادية .. عادوا يعترفون ايضاً بالوحي ، الوحي الذي يدعيه الانبياء ملاء كتبهم النازلة المنسوبة الى السماء .

ولكن فسروه تفسيراً يختلف عما قرره علماء الدين الاسلامي - على ما سبق تعريفه بانه اللقاء من خارج الوجود اما قدفاً في قلب او قرعاً في سمع - .

قالوا : الوحي عبارة عن الهامات روحية تنبعث من داخل الوجود ، اي الروح الواعية هي التي تعطينا تلكم الالهامات الطيبة الفجائية في ظروف حرجة ، وهي التي تنفت في روع الانبياء ما يعتبرونه وحياً من الله ، وقد تظهر نفس تلك الروح المتقبعة وراء جسمهم ، متجسدة خارجاً فيحسبونها من ملائكة الله هبطت عليهم من السماء ، وما هي الا تجلي شخصيتهم الباطنة ، فتعلمهم مالم يكونوا يعلمونه من قبل ، وتهديهم الى خير الطرق لهداية انفسهم وترقية امتهم ، وليس بزول ملك من السماء ليلقى عليهم كلاماً من عند الله .

هذا ما يراه العلم الاروبي التجريبي الحديث في مسألة الوحي .  
ودليلهم على ذلك : ان الله اجل واعلا من ان يقابله بشر او يتصل به مخلوق ، وان الملائكة مهما قيل في روحانيتهم وتجردهم عن المادة فلا يعقل انهم يقابلون الله او يستمعون الى كلامه ، لان هذا كله يقتضي تحيزاً في جانبه تعالى ، ويستدعي عدم التنزيه المطلق اللائق بشأنه جل شأنه . ولان الملائكة مهما ارتقوا فلا يكونون اعلى من الروح الانسانية التي هي من روح الله نفسه ، فمثلهم ومثلها سواء .

وبهذه النظرية حاولوا حل ما عسى ان يصادفوه في بعض الكتب السماوية من انواع المعارف المناقضة للعلم الصحيح طبيعياً والهيأ . فهم لا يقولون بان تلك الكتب قد حرفت عن اصلها الصحيح النازل من عند الله ، ولكنهم يقولون بان الشخصية الباطنة لكل رسول انما تؤتى صاحبها بالمعلومات على قدر درجة تجليها وعبقريتها ، وعلى



قدر استعداده لقبول آثارها ومن ثم قد تختلط معارفها العالية بمعارف باطلة آتية من قبل شخصيته العادية ، فيقع في الوحي خلط كثير بين الغث والسمين ، فترى بجانب الاصول العالية التي لم يعرفها البشر الى ذلك الحين ، اصولا اخرى عامية اصطلاح عليها الناس الى ذلك الزمان (١) .

\* \* \*

وبعد : فاذا ما اخضعتهم الحقيقة العلمية ، على طريقة تجريبية فاطعة ، بان وجود الانسان الحقيقي هو شخصيته الثانية القابعة وراء هذا الجسد ، وانه يبقى خالداً بعد فناء الجسد ، فمعاسم امتنعوا من الاعتراف بحقيقة الوحي كما هي عند المسلمين ، لا لاشك ان ما وصلوا اليه خطوة كبيرة نحو الواقعية ، لانزال نقدرها تقديراً علمياً ، لكنها بلا موجب توقفت اثناء المسير ودون ان تنتهي الى الشوط الاخير .

ان منار العلم وضوء الحقيقة قد هدياهم الى الدرب اللائح ، وكادوا يلمسون الحقيقة مكشوفة بعيان . فوجدوا وراء هذا العالم عالم آخر مليثا بالعقول . ووجدوا من واقع الانسان شخصية اخرى وراء شخصيته الظاهرة : فهاتان مقدمتان ادعوا الهما ، وقد اشرفنا بهم على الاستنتاج الصحيح وصاروا منه قاب قوسين او اداني ، لكنهم بلا موجب توقفوا ، وانكروا حقيقة كانوا على وشك لمسها .

فعلى ضوء هاتين المقدمتين ، لا مبرر لعدم فهم حقيقة اتصال روعي خفي يتحقق بين ملاء اعلى وجانب روحانية هذا الانسان . فيتلقى بروحه افاضات تأتية من ملكوت السماء واشراقات نورية تشع على نفسه من عالم وراء هذا العالم المادى . وليس اتصالا او تقارباً مكانياً لكى يستلزم تحيزاً فى جانبه تعالى . واظنهم قاسوا من امسور ذلك العالم غير المادى بمقاييس تخص العالم المادى . مع العلم ان الالفاظ هي التي تكون قاصرة عن اداء الواقع ، وان التعبير بنزول الوحي او الملك تعبير مجازى ،

١ - راجع : دائرة معارف القرن العشرين ج ١٠ ص ٧١٥ ، فيما نقله عن العلامة

«ميرس -- Myers» من كتابه «الشخصية الانسانية» ص ٧٧ فما بعد .



وليس سوى اشراق وافاضة قدسية ملكوتية يجدها النبي - ﷺ - حاضرة نفسه ، ملقاة عليه من خارج روحه الكريمة . وليست منبعثة من داخل كيانه هو .

هذا هو حقيقة الوحي الذي نعترف به ، من غير ان يقتضى تحيزاً في ذاته تعالى . اما التعليل الذي يعللون به ظاهرة الوحي ، فهو في واقعة انكار للوحي وتكذيب ملتو للانبياء بصورة عامة ، كما هم فسر و امعجزة ابراء الاكمه والابرص بظاهرة الهينو- توزم ( المغناطيسية الحيوانية ) فجعلوا من المسيح ﷺ انساناً مشعوذاً - حاشاه - يستغل من عقول البسطاء مجالاً متمسكاً لترويج دعوته ، باساليب خداعة ينسبها الى البارئ تعالى ..!

ونحن نقدر ساحة الانبياء من اى مراوغة او احتيال مسلكى ، وحاشاهم من ذلك . وماهى الا واقعية بنوا عليها دعوتهم الاصلاحية العامة ، واقعية يعترف بها العلم سواء فى مراحل القديمة او الجديدة الحاضرة . اذن لا مبرر لتأويل ماجاء فى كتب الانبياء من ظاهرة الوحي ، اتصالاً حقيقياً بمبدء اعلا .

نعم : ان مابقى بايدى الناس من كتب منسوبة الى الانبياء ، غير القرآن ، لم تبق سالمة من تناول ايدى المحرفين ، ومن ثم ففيها من الغث والسمين الشئ الكثير ، ونحن نربأ بعلماء محققين ان يجعلوا من موضوع دراستهم لشؤون الانبياء (ع) تلکم الكتب المحرفة .

## انحاء الوحي الرسالي :

قال تعالى : «وما كان لبشر ان يكلمه الله ، الا وحياً ، اى الهاماً وقذفاً فى روعه ، وهو القاء فى الباطن ، يحس به الموحى اليه كانما كتب فى ضميره صفحة لامعة ، اورؤياً فى منام . «او من وراء حجاب» اى بكلمه تكليما يسمع صوته ولا يرى شخصه ، كما كلم موسى ﷺ بخلق الصوت فى الهواء يخرق مسامعه ، ويأتيه من كل مكان ، وكما كلم نبينا ﷺ ليلة المعراج .

والتكليم من وراء حجاب كناية او تشبيه بمن يتكلم محتجباً ، او المراد بالحجاب الحجاب المعنوى ، لبعده الفاصلة بين كمال الواجب ونقص الممكن .

«او يرسل رسولا» : ملكاً من الملائكة «فيوحى باذنه ما يشاء» اما القاء على السمع او نقرأ فى القلب «انه على حكيم» .

«وكذلك» اى على هذه الانحاء الثلاثة : الهاماً . وتكليماً . وارسال ملك (١) «او حيناً اليك روحاً» : هى الشريعة او القرآن «من امرنا . ما كنت تسدرى ما الكتاب ولا الايمان . ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا . وانك لتهدى الى صراط مستقيم» (٢) .

١- راجع : بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٤٦

٢- سورة شورى : ٥١ - ٥٢ .

هذه انحاء الوحي بوجه عام وبصورة اجمالية . اما بالنسبة الى نبينا محمد ﷺ فكان يأتيه الوحي تارة في المنام ، وهذا - اكثرها - كان في بدء نبوته . واخرى وحياً مباشراً من جانب الله ، بلا توسط ملك . وثالثة مع توسط جبرئيل عليه السلام . غير ان الوحي القرآني كان يخص الاخيرين اما مباشرة او على يد ملك . واليك بعض التفصيل :

## ١- الرؤيا الصادقة :

كان اول مابدىء به من الوحي الرؤيا الصادقة ، كان (ص) لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح - وهو كناية عن تشعشع نوراني كان ينكشف لروحه المقدسة ، تمهيداً لافاضة روح القدس عليه - صلوات الله عليه وآله - ثم حبب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه (١) ، الليالي اولات العدد ، قبل ان يرجع الى اهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها (٢) ، حتى فجأه الحق . وهو في غار حراء : جاءه الملك فقال : اقرأ ... » (٣)

قال علي بن ابن ابراهيم القمي : ان النبي ﷺ لما اتى له سبع وثلاثون سنة ، كان يرى في منامه كأن آتيا يأتيه ، فيقول : يا رسول الله . ومضت عليه برهة من الزمن وهو على ذلك يكتبه ، واذا هو في بعض الايام يرعى غنما لابي طالب في شعب الجبال اذ رأى شخصاً يقول له : يا رسول الله . فقال له : من انت ؟ قال : انا جبرئيل ارسلني الله اليك ليتخذك رسولا ... » (٤)

١- التحنث : التحنف ، وهو الميل الى الحنيفة ، كناية عن التعبد الذي هو مطهرة للعبد ، قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، فيبدلون القاعن الثاء ، كما في جدث وجدف اي القبر . قال : وحدثني ابو عبيدة ان العرب تقول : فم في موضع ثم . راجع السيرة ج ١ ص ٢٥١ .

٢- التزود : استصحاب الزاد .

٣- البخاري ج ١ ص ٣ . مسلم ج ١ ص ٩٧ . تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٨ .

٤- بحار الانوار ج ١٨ ص ١٨٤ وص ١٩٤



قال الامام الباقر عليه السلام : « واما النبي فهو الذي يبرى في منامه ، ونحو رؤيا ابراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من اسباب النبوة قبل الوحي ، حتى اتاه جبرائيل عليه السلام من عند الله بالرسالة ... » (١)

قوله : « قبل الوحي » اى قبل الوحي الرسمى المأمور بتبليغه . لان هذا البيان تفسير لمفهوم « النبي » قبل ان يكون رسولا . وهو انسان اوحي اليه من غير ان يكون مأموراً بتبليغه . فهو يتصل بالملاء الاعلى اتصالاً روحياً ، وينكشف له الملكوت كما حصل لنبينا صلى الله عليه وآله قبيل بعثته المباركة .

قال صدر الدين الشيرازى : « يعنى انه صلى الله عليه وآله اتصفت ذاته المقدسة بصفة النبوة ، وجائته الرسالة من عند الله ، باطنا وسراً ، قبل ان يتصف بصفة الرسالة او ينزل عليه جبرائيل معانيها محسوساً بالكلام المنزل المسموع . وانما جاءه جبرائيل معانيها حين جمع له من اسباب النبوة ما جمع للانبياء الكاملين ، كابراهيم ، من الرؤيا الصادقة والاعلامات المتتالية بحقائق العلوم والايحاءات بالمغيبات . والحاصل : ان النبي صلى الله عليه وآله استكمل باطنه وسره قبل ان يتعدى صفة الباطن منه الى الظاهر ، فاتصف القالب بصفة القلب محاكياً له . والاول نهاية السفر من الخلق الى الحق ، والثانى نهاية السفر من الحق الى الخلق » (٢) .

\* \* \*

نعم ربما كانت الرؤيا الصادقة سبيل الوحي اليه صلى الله عليه وآله فيلقى اليه العلم احياناً في المنام ، قال امير المؤمنين عليه السلام : « رؤيا الانبياء وحى » (٣) ولكن لم يكن شىء من ذلك قرآناً ، اذ لم يعهد نزول قرآن عليه في المنام . نعم وان كانت بعض رؤاه اسباباً للنزول القرآنى ، كما فى قوله تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان

١- اصول الكافى : الكلينى ج ١ ص ١٧٦ . بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٦٦ .

٢- شرح اصول الكافى : صدر المتألهين - كتاب الحجّة ، الحديث الثالث - ص ٤٥٤

٣- امالى الشيخ الطوسى ص ٢١٥ والبحار ج ١١ ص ٦٤ .

شاء الله ...» (١) فقد رأى النبي ﷺ ذلك ، عام الحديبية (٢) وصدقت عام الفتح (٣). وكما في قوله : « وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن » (٤) فقد اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر ، عن سعيد ابن المسيب ، قال : رأى رسول الله ﷺ بنى امية على المنابر ، فساءه ذلك ، فاوحى الله اليه : انما هي دنبا اعطوها وهي قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا . . . » يعنى بلاء للناس . (٥)

هذا . . . وقد ذكر بعضهم ان سورة الكوثر نزلت على رسول الله ﷺ في المنام ، لرواية انس بن مالك ، قال : بينا رسول الله ﷺ بين اظهرنا اذ اغفى اغفائة ، ثم رفع رأسه متبسماً . فقلنا : ماضححك يا رسول الله ﷺ؟ فقال انزلت على آنفا سورة ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر . . . الخ (٦) قال الرافعى : انهم فهموا من ذلك ان السورة نزلت فى تلك الاغفائة ، لكن الاشبه انه خطر له فى النوم سورة الكوثر المنزلة عليه قبل ذلك ، فقرأها عليهم وفسرها لهم . قال : وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ، ويقال لها : برحاء الوحي - وهى سبنة شبه النعاس كانت تعرضه من ثقل الوحي . قال جلال الدين : الذى قاله الرافعى فى غاية الاتجاه ، والتأويل الاخير اصح من الاول لان قوله « آنفا » يدفع كونها نزلت قبل ذلك ، بل نزلت فى تلك الحالة ، ولم يكن الاغفائة اغفائة نوم بل الحالة التي كانت تعتريه عند الوحي (٧) و آنف

١- سورة الفتح : ٢٧

٢- وهى سنة الست من الهجرة

٣- وهى سنة الثمان

٤- سورة الاسراء : ٦٠

٥- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩١ والطبرى : التفسير ج ١٥ ص ٧٧

٦- الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠١

٧- الاتقان ج ١ ص ٢٣

بمعنى : قبيل هذا الوقت .

اقول : لاشك ان سورة الكوثر مكية ، وهذا هو المشهور بين المفسرين شهرة تكاد تبلغ التواتر . قالوا : نزلت بمكة عند ما عابه المشركون بانه ابتر لاعقب له ، او أنه مبتور من قومه منبوذ .

وهكذا المامات ابنه ابراهيم مشت قريش بعضهم الى بعض متباشرين ، فقالوا : ان هذا الصابي قد بتر الليلة . قال ابن عباس : دخل رسول الله ﷺ من باب الصفا وخرج من باب المروة ، فاستقبله العاص بن وائل السهمي ، فرجع العاص الى قريش ، فقالت له قريش : من استقبلك يا ابا عمرو آنفاً ؟ قال ذلك الابتر - يريد به النبي ﷺ - فانزل الله - جل جلاله - سورة الكوثر ، تسلية لنفس نبيه الزكية ( ١ ) .

هذا وانس عند وفاة النبي ﷺ لم يبلغ العشرين ، اذ كان عند مقدمه - ص - المدينة طفلاً لم يتجاوز التسع وقيل : ثماني سنوات ( ٢ ) ، فكيف نثق بحديث منه يخالف اطباق الامة على خلافه ، و انها نزلت بمكة في قصة جازت حد التواتر ! الامر الذي يرجح الوجه الاول من اختيار الامام الرافعي ، او نجعل من رواية انس حبلها على غار بها !

نعم اخرج مسلم والبيهقي هذه الرواية من وجه آخر ، ليس فيه « انزلت على » . قال اغفى النبي ﷺ اغفاءة ثم رفع رأسه فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر . . . الخ ثم فسرها بنهر في الجنة . قال البيهقي : وهذا اللفظ اولي ، حيث لا يتنافى وما عليه اهل التفاسير والمغازي من نزول سورة الكوثر بمكة .. ( ٣ )

## ٢ - نزول جبرائيل :

كان الملك الذي ينزل على النبي ﷺ بالوحي هو جبرائيل ( ع ) فكان

١ - راجع : اسباب النزول للسيوطي بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٢٢ . والدر المنثور ج ٦

ص ٤٠١

٢ - اسد الغابة : ابن الاثير ج ١ ص ١٢٧

٣ - الدر المنثور : السيوطي ج ٦ ص ٤٠١



يلقيه على مسامعه الشريفة ، فتارة يراه ، اما في صورته الاصلية - وهذا حصل مرتين -  
او في صورة دحية بن خليفة . واخرى لا يراه ، وانما ينزل بالوحى على قلبه صلى الله عليه وسلم :  
«نزل به الروح الامين على قلبك» (١)

قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد  
القوى » : جبرائيل ، مثال قدرته تعالى « ذو مرة » اى ذو عقلية جبارة « فاستوى » :  
استقام على صورته الاصلية ، وهذا هو المرة الاولى فى بدء الوحى . « وهو بالافق  
الاعلى » : سد ما بين الشرق والغرب « ثم دنى فتدلى » :

فجعل يقترب من النبى صلى الله عليه وسلم « فكان قاب قوسين او ادنى . فاوحى » الله  
بواسطة جبرائيل « الى عبده » محمد صلى الله عليه وسلم « ما اوحى ما كذب الفؤاد » : فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم  
« مارأى » فكان قلبه « ص » يصدق بصره فيما يرى انه حق « أفتمارونه على ما يرى . ولقد  
رآه نزلة اخرى » مرة ثانية فى مرتبة انزل من الاولى « عند سدره المنتهى عندها  
جنة المأوى . اذ يغشى السدره ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى » (٢) فكان السدى  
يراه حقيقة واقعة ، ليس وهما ولا خيالا .

و قال : « انه لقول رسول كريم » : جبرئيل « ذى قوة عند ذى العرش مكين .  
مطاع ثم امين . وما صاحبكم » : محمد صلى الله عليه وسلم « بمجنون . ولقد رآه » : رأى جبرئيل  
فى صورته الاصلية « بالافق المبين » (٣) اشارة الى المرة الاولى ايضا .

قال ابن مسعود : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبرئيل فى صورته الا مرتين ،  
احدهما انه سأله ان يراه فى صورته فاراه صورته فسد الاق . و اما الثانية فحيث

١ - سورة الشعراء : ١٩٣

٢ - سورة النجم : ٣ - ١٧

٣ - سورة التكوير : ١٩ - ٢٣

صعد به ليلة المعراج ، فذلك قوله : وهو بالافق الاعلى(١).

والصحيح ان المرتين كانت احدهما فى بدء الوحى بحراء . ظهر له جبرئيل فى صورته التى خلقه الله عليها ، مائتاً افق السماء من المشرق و المغرب ، فتهيبه النبى ﷺ تهيئاً بالغاً ، فنزل عليه جبرئيل فى صورة الادميين فضمه الى صدره ، فكان لاينزل عليه بعد ذلك الا فى صورة بشر جميل .

والثانية كانت باستدعائه «ص» الذى جاءت به الروايات : كان لايزال يأتبه جبرئيل فى صورة الادميين . فسأله رسول الله ﷺ ان يريه نفسه مرة اخرى على صورته التى خلقه الله ، فراه صورته فسد الافق . فقوله تعالى : «وهو بالافق الاعلى» كانت المرة الاولى . وقوله «نزلة اخرى» كانت المرة الثانية (٢) .

قال رسول الله ﷺ : و احسانا يتمثل لى الملك رجلا ، فيكلمنى فاعى مايقول (٣) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : ان جبرائيل كان اذا اتى النبى ﷺ لم يدخل حتى يستأذنه ، واذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد (٤) .

هذا . . و كان جبرئيل - عند ما يتمثل لرسول الله ﷺ يبدو فى صورة دحية بن خليفة الكلبي . و بتعبير اصح : يبدو فى صورة شبيهة بدحية . كما جاء فى تعبير ابن شهاب : كان رسول الله ﷺ يشبه دحية الكلبي بجبرائيل ، حينما يتصور بصورة بشر(٥)

و ذلك لان دحية كان اجمل انسان فى المدينة ، كان اذا قدم البلد خرجت

١ - اللد المنثور : السيوطى ج ٦ ص ١٢٣

٢ - مجمع البيان ج ٩ ص ١٧٣ و ١٧٥ و ج ١٠ ص ٢٤٦ و تفسير الصافي ج ٢

ص ٦١٨

٣ - البخارى ج ١ ص ٣

٤ - كمال الدين : الصدوق ص ٨٥

٥ - الاستيعاب بهامش الاصابة ج ١ ص ٢٧٢

الفتيات ينظرن اليه (١) .

والسبب في ذلك : ان جبرائيل كان حينما يتمثل بشراً ، يتمثل صورة انسان خلقه الله على الفطرة الاولى ، والانسان في اصل خلقته جميل ، فكان يتمثل جبرئيل في اجمل صورة انسانية . وبما ان دحية كان اجمل انسان في المدينة ، كان الناس يزعمون من جبرئيل - وهو يتمثل بشراً - انه دحية الكلبى ، ومن ثم كان العكس هو الصحيح . قال رسول الله ﷺ : كان جبرائيل يأتي على صورة دحية الكلبى ، و كان دحية رجلاً جميلاً . و الظاهر ان الجملة الاخيرة هي من كلام انس ، راوى الحديث ( ٢ ) اى على صورة تشبهها صورة دحية . و كان الصحابة يزعمونه دحية حقيقة ، و من ثم نهام رسول الله ﷺ ان يدخلوا عليه اذا وجدوا دحية عنده . قال اذا رأيتم دحية الكلبى عندى فلا تدخلن على احد (٣) .

و كان جبرئيل قد يتمثل للصحابة ايضاً بصورة دحية ، كما في غزوة بنى قريظة سنة خمس من الهجرة شاهده الصحابة على بغلة بيضاء (٤) .

وشاهده ايضاً على علي بن ابي طالب دفعات بمحضر النبي ﷺ وتكلم معه ، والنبي (ص)

راقد (٥) .

و اما نزول الملك عليه بالوحى من غير ان يراه فكثير ايضاً ، اما القاء على مسامعه و هو يصغى اليه ، او الهاما في قلبه فيعيه بقوة . قال تعالى : « و انه لتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » (٦) .

١ - الاصابة ابن حجر ج ١ ص ٤٧٣

٢ - الاصابة ج ١ ص ٤٧٣ . اسد الغابة ج ٢ ص ١٣٠

٣ - بحار الانوار ج ٣٧ ص ٣٢٦ عن كتاب التفضيل لابن الاثير

٤ - سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٤٥

٥ - بحار الانوار ج ٢٠ ص ٢١٠ و ج ٢٢ ص ٣٣٢ والمجمع ج ٨ ص ٣٥١

٦ - سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥



كان صلى الله عليه وسلم في اوائل نزول الملك عليه بالوحي ، يخشى ان يفوته اللفظ ومن ثم كان يحرك لسانه وشفتيه ليستذكره ولا ينساه ، فكان يتابع جبرائيل في كل حرف يلقيه عليه ، فنهاه تعالى عن ذلك و وعده بالحفظ و الرعاية من جانبه تعالى قال : « لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه و قرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه » (١) « و ربما كان صلى الله عليه وسلم يقرأ على اصحابه فور قراءة جبرئيل عليه ، وقبل ان يستكمل الوحي او تنتهي الايات النازلة ، حرصاً على ضبطه و ثبته ، فنهاه تعالى ايضاً وقال : « ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه و قل رب زدني علماً » (٢) فاطمأنه تعالى بالحفظ و الرعاية الكاملة . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه جبرئيل ، استمع له ، فاذا انطلق قرأه كما أقرئه ( ٣ ) قال تعالى : سنقرئك فلا تنسى » (٤)

واشارة الى هذا النحو من الوحي الذي هو نكت في القلب قال صلى الله عليه وسلم : « ان روح القدس نفث في روعي » (٥) و هو سواد القلب ، كناية عن السر الباطن ، و المقصود : روحه الكريمة .

### ٣ - الوحي المباشر :

و لعل اكثرية الوحي ، كان مباشراً لا يتوسطه ملك ، على ما جاء في وصف الصحابة حالته صلى الله عليه وسلم ساعة نزول الوحي عليه ، كان ذا وطىء شديد على نفسه الكريمة ، يجهد من قواه و تعتريه غشوة منهكة ، فكان ينكس رأسه و يتردد وجهه و يتصبب عرقاً ، و تسطو على الحضور هيبة رهيبه ، ينكسون رؤوسهم صموداً ، من روعة

١ - سورة القيامة : ١٦-١٩

٢ - سورة طه : ١١٤

٣ - طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣٢

٤ - سورة الاعلى : ٦

٥ - الاتقان ج ١ ص ٢٤

المنظر الرهيب . قال تعالى : «انا سنلقى عليك قولا ثقيلا» (١) . قال الامام الصادق عليه السلام : كان ذلك اذا جاءه الوحي ولبس بينه وبين الله ملك ، فكانت تصيبه تلك السببة (٢) و يغشاه ما يغشاه ، لثقل الوحي عليه ، اما اذا اتاه جبرائيل بالوحي فكان يقول : هو ذا جبرئيل او قال لي جبرائيل ...» (٣)

قال الشيخ ابو جعفر الصدوق : « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكون بين اصحابه فيغمي عليه وهو ينصاب عرفاً ، فاذا افاق قال : قال الله كذا وكذا و امركم بكذا ونهاكم عن كذا . قال : وكان يزعم اكثر مخالفينا ان ذلك كان عند نزول جبرائيل ؟ فسئل الامام الصادق عليه السلام - عن الغشية التي كانت تأخذ النبي - ص - اكانت عند هبوط جبرائيل ؟ فقال : لا . ان جبرئيل كان اذا اتى النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل حتى يستأذنه ، واذا دخل عليه فعددين يديه قعدة العبد ، وانما ذلك عند مخاطبة الله عز وجل اياه بغير ترجمان وواسطة» (٤) .

\* \* \*

وفيما يلي اوصاف جرت على السنة الصحابة ، يذكرون مشهوداتهم عن الحالة التي كانت تعترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزول الوحي عليه : -  
قال امير المؤمنين عليه السلام : «نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم سورة المائدة ، وهو على بغلته الشهباء ، فنقل عليه الوحي حتى وقفت ، وتدلى بطنها ، حتى رأيت سرتها تكاد تمس الارض ، واغمى على رسول الله «ص» حتى وضع يده على ذؤابة شيبه بن وهب الجمحي ...» (٥)

١ - سورة المزمل : ٤

٢ - هي اغماءة تشبه النعسة

٣ - محاسن البرقي ص ٣٣٨ . امالى الشيخ ص ٣١ . بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٧١

و ص ٢٦٨

٤ - كمال الدين : الصدوق ص ٨٥ . البحار ج ١٨ ص ٢٦٠

٥ - تفسير العياشي ج ١ ص ٢٨٨ . ولذؤابة : شعر مقدم الراس .

وقال عبادة بن الصامت : « كان اذا نزل الوحي على النبي «ص» كرب له و  
تربد وجهه » (١). وفي رواية : «نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم فلما سرى عنه  
رفع رأسه» (٢) .

وقال عكرمة : « كان اذا اوحى الى رسول الله «ص» وقد لذلك ساعة كهياة  
السكران» (٣) .

وقال ابن اروي الدوسي : رأيت الوحي ينزل على النبي «ص» وانه على  
راحلته فترغوا ، وتقتل يديها حتى اظن ان ذراعها ينقصم . فربما بركت وربما قامت  
موتدة يديها حتى يسرى عنه ، من ثقل الوحي . وانه ليتحدر منه مثل الجمان» (٤) .  
وقالت عائشة : «ولقد رأيت يته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم  
عنه ، وان جبينه ليتفصد عرفاً» (٥) . وقالت أيضاً : «انه كان ليوحى على رسول الله«ص»  
وهو على راحلته فيضرب بجرانها» (٦) .

وقال ابن عباس : « كان النبي ﷺ اذا نزل عليه الوحي ، يعالج من ذلك

---

١- طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣١ . «كرب» - بالبناء للمجهول-: اي انقبضت نفسه وتغيرت  
حالته . «تربد» اي تغير لون وجهه الى الغبرة .

٢ دائرة معارف القرن العشرين ج ١٠ ص ٧١٢ .

٣- الطبقات ج ١ ص ١٣١ . «وقد» - بالبناء للمجهول - : اي غشى عليه . والموقود :  
من غلبه التعاس فصار كهياة السكران .

٤- الطبقات ج ١ ص ١٣١ . «غوترة» اي تضج وتكابد من شدة الثقل . «تقتل يديها» اي تباعد  
بينهما . «ينقصم» اي ينكسر . «قامت موتدة» اي وضعت جامدة للاحراك لها ، وثبتت قوائمها كالسمار  
المثبت في الارض . «التحد» : الانصباب السريع ، «الجمان» اللؤلؤ . والواحدة : جمانة . شبه بذلك  
قطرات عرق جبينه الطيب .

٥ - صحيح البخارى ج ١ ص ٣ . «التفصد» : قطع العرق الذي ينصب منه الدم بتدفق ،  
استعارة لكثرة انصباب عرقه الطيب حين نزول الوحي .

٥ - مجمع البيان : الطبرسى ج ١٠ ص ٣٧٨ . والبحار ج ١٨ ص ٢٦٣ . «الجران» من  
البعير مقدم عنقه . يقال: القى البعير جرانه اي برك .



شدة ، والمأ شديداً وثقلاً ، ويتصدع رأسه» (١) .

و قال ابن شهر آشوب : وروى انه كان اذا نزل عليه الوحي ، نكس رأسه

ونكس اصحابه رؤوسهم . ومنه يقال : برحاء الوحي (٢) .

وروى ابن قيم : انه صلى الله عليه وسلم جاءه الوحي مرة ، وفخذه على فخذه زيد بن ثابت

فثقلت عليه حتى كادت ترضها» (٣) .

وروى صاحب المنتقى ، قال : وفي الحديث المقبول انه صلى الله عليه وسلم اوحى اليه و

هو على ناقته فبركت ووضعت جرانها بالارض فما تستطيع ان تتحرك . وان عثمان

كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذه عثمان فغشيه الوحي ، فثقلت فخذه على فخذه

عثمان حتى قال : خشيت ان ترضها» (٤) .

\* \* \*

واخيراً فقد وصف هو صلى الله عليه وسلم نزول الوحي عليه بما يدعش :

سأله عبد الله بن عمر : هل تحس بالوحي ؟ فقال : اسمع صلاصل ، ثم

اسكت عند ذلك ، فما من مرة يوحي الى الاظننت ان نفسى تقبض! (٥)

و سأله الحارث بن هشام ، قال : يارسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو اشدّه على ، فيفصم عنى وقد

وعيت عنه ما قال (٦) . و احيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى ، فاعى مايقول (٧)

١- بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٦١ عن المناقب ج ١ ص ٤١

٢- حاد الانوار ج ١٨ ص ٢٦١ عن المناقب ج ١ ص ٣١ . والبرحاء : شدة الكرب والالام .

٣- زاد المعاد لابن قيم ج ١ ص ١٨

٤- بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٦٤ . وعثمان هذا هو ابن مظعون ، كما جاء التصريح به فى رواية

عن الامام الباقر (ع) فى كتاب سعد السعود ص ١٢٢ والبخار ج ١٨ ص ٢٦٩

٥- الاتقان: جلال الدين ج ١ ص ٤٤ . عن مسند احمد بن حنبل .

٦- سنشرح هذا الكلام فيما ننبه عليه تالياً .

٧- صحيح البخارى ج ١ ص ٣ . الطبقات ج ١ ص ١٣٢ . بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٦٠ .

والصلصلة : صوت تذاك الحديد بعضها مع بعض .

وهو اهونه على» (١) .

وتذيلا على هذه الرواية - وهي متواترة الى حد ما - يجب ان ننبه القارى

على نقاط هامة :

اولا صلصلة الجرس فى هذه الرواية ، كناية عن صوت متعاقب كصوت  
الناقوس المصلصل المجلجل ، كان صَلَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع صوتا متداركاً كجلجلة الناقوس ،  
هو صوت الوحي المباشر ، فكان صَلَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينصت له بكل وجوده حتى يتلقاه كملا .  
وكان ذا وقع شديد على نفسه الكريمة . وهذا التعبير «صلصلة الجرس» يشى بشدة  
الوقع ، حيث تتابع الصوت المتدارك يؤثر على حاسة السمع تأثيراً نافذاً فى  
الاعماق ، فكأنما يأخذ بلب القلب ، اخذاً متواصلقويماً ومن ثم قال صَلَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ظننت  
ان نفسى تقبض .

و الظاهر ان هذه الصلصلة كانت تمهيدالنزول الوحي عليه صَلَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كى يستعد  
لذلك الاتصال الروحي الشديد . ومن ثم قال : ثم اسكت عند ذلك ، اى انصت حيث  
الاشعار بنزول الوحي .

نعم كان للوحي ذاته دوى شديد بالغ الشدة ، لم يكن يتحملة اهل  
السموات العلا .

قال ابو جعفر محمد بن على الباقر عَلَيْهِ السَّلَام فى تفسير قوله تعالى : حتى اذا فزع  
عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (٢) - : « كان اهل  
السموات لم يسمعوا وحيأفى الفترة بين المسيح عَلَيْهِ السَّلَام و بعثة محمد صَلَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما بعث  
الله محمداً صَلَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع اهل السموات صوت وحى القرآن كوقع الحديد على  
الصفاء ، فصعقوا اجمعين . فلما فرغ الله من الوحي ، انحدر جبرئيل ، كلما مر باهل  
سما فزع عن قلوبهم ، اى كشف عنهم تلك الغشية . فجعل بعضهم يقول لبعض :

١ - هذا الزيادة جاءت فى راوية ابى عوانة فى صحيحه . راجع : فتح البارى بشرح البخارى

لابن حجر ج ١ ص ٣٠ . والاتقان للسيوطى ج ١ ص ٢٢ .

٢ - سورة سبأ : ٢٣

ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق، وهو العلى الكبير (١)

وفى حديث ابن مسعود: «اذتكلم الله بالوحى سمع اهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان - الحجر الاملس - فيفزعون» (٢).

وقال ابن عباس: «كان اذا نزل الوحى كان صوته كسوق الحديد على الصفوان، فيصعق اهل السماء حتى اذا فزع عن قلوبهم - اى رفع عنهم الفزع - قالوا ماذا قال ربكم، قالت الرسل ﷺ - : الحق» (٣).

وروى عن رسول الله ﷺ - انه قال: «اذا اراد الله ان يوحى بأمر، تكلم بالوحى، فاذا تكلم اخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى، فاذا سمع بذلك اهل السماوات صعقوا وخرروا سجداً...» (٤).

وبعد.. فلا نكاد نستغرب من غشبة تعترى رسول الله ﷺ ساعة نزول الوحى عليه اذا كان اهل السماوات لا تتحمل وقع صوته المدهش.

\* \* \*

ثانياً - هذا النمط من الوحى الشديد الوقع على نفسه الكريمة، كان يخص الوحى المباشر، كما تقدم حديثه. كما ان الرواية ذاتها تشي بهذا التفصيل، حيث جعلت من النوع الاول مثل صلصلة الجرس، فكأن صوت الوحى النازل عليه مباشرة. ومن ثم قال ﷺ: «وكان اشده على» وجعلت من النوع الثانى ما يكلمه الملك مشافهة فيعى ما يوحى اليه فى حينه، لانه ﷺ كان حينئذ فى حالته العادية. وزعم جلال الدين: ان النوعين الذين اشارت اليهما الرواية: احدهما ما كان الملك النازل بالوحى مخفياً. و الاخر ما كان متمثلاً (٥) وهذا مخالف لما يفهم

١ - تفسير على بن ابراهيم القمى ص ٥٣٩ .

٢ - الاتقان ج ١ ص ٤٤

٣ - الدر المنثور ج ٥ ص ٢٣٥

٤ - الدر المنثور ج ٥ ص ٢٣٦

٥ - الاتقان ج ١ ص ٢٤



من الرواية ذاتها ، كما نبه بذلك شيخنا الصدوق (١) . ومر في حديث الامام الصادق عليه السلام (٢) .

\* \* \*

ثالثاً ان الجذبة الروحية القوية في الصورة الاولى ربما كانت توهم انفلات شىء من الوحي ، حينما يفقد صلى الله عليه وسلم وعيه الظاهر . لكنه صلى الله عليه وسلم تدارك هذا الوهم بانه كان بعد ما يتفلسف غشوته يجد كل ما وحي اليه حاضرة ذهنه الشريف ، كانما كتب في كتاب ، ولم يتفلسف منه شىء . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « فيفصم عنى وقد وعيت » . والسبب في ذلك : ان الوحي في صورة المباشرة كان يخالط له ، ويتسرب الى اعماق وجوده صلى الله عليه وسلم بما انقذه الله في قلبه الكريم « سنقرئك فلا تنسى » (٣) . وبهذا يتضح معنى الحديث الذى رواه ابن ابي سلمة عن عمه ، انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كان الوحي يأتينى على نحوين ، يأتينى بجبرئيل فيلقيه على ، كما يلقي الرجل على الرجل (٤) ، فذلك الذى يتفلسف منى . ويأتينى فسى شىء (٥) مثل صوت الجرس ، حتى يخالط قلبى ، فذاك الذى لا يتفلسف منى » (٦) . قوله صلى الله عليه وسلم : فذلك الذى يتفلسف منى . اى الذى كان يكاد يتفلسف منه . لانه كان سماعاً مباشراً من ملك الوحي ، وسرعان ما ينسى الانسان ما يسمعه من غيره اذا لم يعه وعياً . فهذا النمط من الوحي كان بمعرض النسيان وخوف التفلسف - كما هوشان السماع المجرد اذا لم يتقيد بالكتابة في وقته - لانه كان يتفلسف منه بالفعل . اما في صورة الوحي المباشر فحيث كان يخالط له وينفذ في اعماق قلبه الكريم ، فلم يكن

١ - كمال الدين ص ٨٥ والبحار ج ١٨ ص ٢٦٠

٢ - حاسن البرقى ص ٣٣٨ والبحار ج ١٨ ص ٢٧١

٣ - سورة الاعلى : ٦

٤ - اى كما يلقي الرجل بكلامه على صاحبه . وهذا هو الصورة الثانية مما تقدم .

٥ - اى الوحي ذاته يأتينى بلا توسط ملك . وهى الصورة الاولى مما تقدم .

٦ - طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣١

بخشى عليه التقلت اصلا .

هذا و قد وقع بعض الباحثين ، فى خلط من هذا الحديث ( ١ ) و رفضه آخرون . لكن المعنى على ما ذكرنا صحيح ، توافقه سائر الاحاديث .

### تجربة روحية :

رأينا من المناسب ان نأتى هنا بذكر شاهد واحد من مات الشواهد ، والتي مرت الاشارة اليها ، على صحة وجود النفس ، وان للانسان روحاً مستقلة عن الجسم ، وهى لاتنحل بانحلاله ، و يمكنها الاتصال بعالم ماوراء المادة ... وهى طريقة التنويم الصناعى او التنويم المغناطيسى . و هذه التجربة حضرها الاستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى سنة ١٣٥١ هجرية بالقاهرة مع حشد مثقف ، وشهد تفاصيلها بنفسه بمرآى الملاء ومسمع . وهذه التجربة اثبتت كيف يمكن التأثير على ذهنية الوسيط وتغيير عقيدته بفعل المنوم ، فيوحى اليه و هو فى حالة الاعماء ، ويأمره بالاحتفاظ به الى مدة كذا ، ثم يوقظه و اذا بالذى اوحى اليه حاضر ذهنه الى تمام المدة :

قام المحاضر - وهو استاذ فى التنويم المغناطيسى - واحضر الوسيط ، وهو فتى فيه استعداد خاص للتأثر بالاستاذ ، و الاستاذ فيه استعداد خاص للتأثير على الوسيط ، فالاول ضعيف النفس ، و الثانى قويها . نظر الاستاذ فى عين الوسيط نظرات عميقة نافذة ، واجرى عليه حر كات يسمونها سحبات ، فما هى الا لحظة حتى رأينا الوسيط يغط غطيظ النائم ، و قد امتقع لونه ، وهمد جسمه ، و فقد احساسه المعتاد ، حتى لقد كان احدنا يخزه بالابرة وخزات عدة ، ويخزه كذلك ثان وثالث ، فلا يبدى الوسيط حر اكا ، ولا يظهر اى عرض لشعوره واحساسه بها . وحينئذ تأكدنا انه قد نام ذلك النوم الصناعى .

وهناك تسلط الاستاذ على الوسيط يسأله : ما اسمك ؟ فاجابه باسمه الحقيقى ، فقال الاستاذ : ليس هذا هو اسمك ، انما اسمك كذا ( وافترى عليه اسماً آخر ) ثم اخذ يقرر فى نفس الوسيط هذا الاسم الجديد الكاذب ، ويمحو منه اثر الاسم القديم

١- ابن حجر: فتح البارى ج ١ ص ١٨

الصادق ، بواسطة اغاليط يلقتها اياه فى صورة الادلة ، وبكلام يوجهه اليه فى صيغة الامر والنهى ، وهكذا املى عليه هذه الاكذوبة املاء وفرضها عليه فرضاً ، حتى خضع لها الوسيط واذعن .

ثم اخذ الاستاذ و اخذنا نناديه باسمه الحقيقى المرة بعد الاخرى فى فترات متقطعة ، وفى اثناء الحديث على حين غفلة ، كل ذلك وهو لا يجيب ، ثم نناديه كذلك باسمه المصنوع فيجيب دون تردد ولا تلثم .

ثم امر الاستاذ وسيطه ان يتذكر دائماً ان هذا الاسم الجديد هو اسمه الصحيح حتى الى ما بعد نصف ساعة من صحوه ويقظته . ثم ايقظه واخذ يتم محاضراته ونحن نفجأ الوسيط بالاسم الحقيقى فلا يجيب ، ثم نفجؤه باسمه الثانى فيجيب ، حتى اذا مضى نصف الساعة المضروب عاد الوسيط الى حاله الاولى من العلم باسمه الحقيقى ....

قال الاستاذ الزرقانى : وبهذه التجربة ثبت لى ما قرب الى الوحى فهما عملياً ، فالوحى اتصال روحى يتأثر الموحى اليه بما يلقى اليه الموحى فى حالة يتسلخ من الرسول ﷺ حالته العادية ، ويظهر اثر التغير عليه ، ، ويستغرق فى الاخذ والتلقى ، وينطبع ما تلقاه فى نفسه ، حتى اذا انجلي عنه الوحى و عاد الى حالته الاولى ، وجد ما تلقاه ماثلاً فى نفسه ، حاضرأ فى قلبه ، كانما كتب فى صحيفة فؤاده كتاباً .

ثم يقول : اتظن ان المخلوق يستطيع التأثير فى نفس مخلوق آخر ذلك التأثير الغريب ، ولايستطيع مالك القوى والقدر ان يؤثر فى نفس من شاء من عباده بواسطة الوحى ؟ كلا ثم كلا ، انه على كل شىء قدير ( مناهل العرفان ج ١ ص -

٦٠ - ٦١ )

اقول و نحن اذ لانسلم بجميع التفاصيل التى جاءت بها طريقة التنويم المغناطيسى ، ولانصدق بجميع مظاهرها بصورة مطلقة ، اذ لاتخلوا احياناً عن الشعوذة لكننا نعترف بصحتها و امكانها فى الجملة ، ومن ثم فباستطاعة هذه الطريقة العلمية



الحديث المعترف بها اجمالياً ، اثبات ظاهرة الوحي - ولو اجمالياً - وفي هذا كفاية على نحو الايجاب الجزئي .

## موقف النبي (ص) من الوحي :

هنا موضوعان لهما اهمية كبيرة بشأن رسالة الانبياء وصدق دعوتهم الى الله ، لا بد من معالجتهم بصورة علمية مقبولة . وقد تكلم فيهما عامة اهل السنة بطريقة غير مألوفة ، وربما لا يستسيغها العقل الفطري في شيء . اما علماءنا الامامية فتكلموا فيهما بطريقة عقلية على اساس الاستدلال البرهاني مدعماً بالنقل المأثور عن ائمة اهل البيت (ع) :

الاول : كيف عرف النبي ﷺ انه مبعوث ؟ ولم لم يشك في ان الذي اتاه شيطان ، واطمأن انه جبرائيل ؟

الثاني : هل يجوز على النبي ﷺ ان يخطأ فيما يوحي اليه ، فيلتبس عليه تخيلات باطلة في نفسه لتبدو له بصورة وحي ، او يلقي عليه ابليس ما يظنه وحياً من الله ؟

و الاكثر في الموضوع الاول جعلوا من النبي (ص) مرتاعاً في اول امره ، خائفاً على نفسه من مس جنون ، عائداً الى احضان زوجه الوفية ، لتستجد هي بدورها الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، فيطمئنه هذا بانه نبي ويؤكد عليه ذلك حتى يطمأن ويستريح باله .

اما الموضوع الثاني فقد اجازوا لابليس ان يتلاعب بوحي السماء فيلقى على النبي ما يظنه وحياً - كما في حديث الغرانيق - لولا ان يتداركه جبرائيل فيذهب بكيد الشيطان .

و قد ذهب ائمة اهل البيت (ع) في كلا الموضوعين مذهباً نزيهاً ، وجعلوا من النبي (ص) اكرم على الله من ان يتركه الى انسان غيره و لا ينير عليه الدلائل

الواضحة على نبوته الكريمة فى تلك الساعة الحرجة. كما لا يدع للشيطان ان يستحوذ على مشاعر نبيه الكريم : «واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم» (١) .

هذا ... ويجدر بنا ونحن نحاول تنزيه جانب رسول الله (ص) مما الصلّفوه بكرامته، ان نتكلم فى كلا المجالين بصورة مستوفاة ، كلا عليحدة :

## النبوة مقرونة بدلائل فيرة :

يجب على الله - وجوباً منبعتاً من مقام لطفه ورأفته بعباده - ان يقرن تنبيته انساناً بدلائل فيرة لا تدع لمسارب الشك مجالاً فى نفسه ، كما ارى ابراهيم ملكوت السماوات والارض ، ليكون من الموقنين ( ٢ ) . وكما نودى ياموسى انسى انا الله (٣) ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم (٤) . ياموسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون (٥) .

هذا هو مقتضى قاعدة اللطف ، وقد بحث عنها علماء الكلام (٦) ، وتلخص فى : تمهيد سبيل الطاعة . فواجب عليه تعالى ان يمهد لعباده جميع ما يقربهم الى الطاعة ويبعدهم عن المعصية . وهذا الوجوب منبعت من مقام حكمته تعالى اذا كان يريد من عباده الانقياد ، والا كان نقضاً لغرضه من التكليف . ومن ثم وجب عليه تعالى ان يبعث الانبياء وينزل الشرائع و يجعل فى الامم ما ينير لهم درب الحياة ، اما الى سعادة فباختيارهم . او الى شقاء فباختيارهم ايضاً (٧) .

١ - سورة الطور : ٤٨

٢ - مقتبس من الآية : ٧٥ سورة الانعام .

٣ - سورة طه : ١١

٤ - سورة النمل : ١٠٩

٥ - علم مشعب عن الفلسفة الحكيمية ، يبحث عن احوال المبدء والمعاد فى ضوء العقل و

ارشاد الشريعة .

٦ - راجع : شرح تجريد الاعتقاد، للعلامة الحلى ص ١٨١

وطبقاً لهذه القاعدة لا يدع - تعالى - مجالاً لتدليس اهل الزيغ والباطل ،  
 الا ويفضحهم من فورهم «ولو تقول علينا بعض الاقاويل ، لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه  
 الوتين» (١) فالحق دائماً يعلو ولا يعلى عليه ، والحق والباطل دائماً على وضوح الجلاء ،  
 لا يكدر وجه الحق غبار الباطل ابداً ، «بل نقذف بالباطل فيدمغه فاذا هو  
 زاهق» (٢) . «انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا» (٣) . وهذا انما هو  
 نصر واعتلاء مبدئي ، فالحق دائماً ظاهر منصور ، وان رسالة الانبياء دائماً تكون هي  
 الغالبة الظاهرة ، «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين : انهم لهم المنصورون . وان  
 جندهم لهم الغالبون» (٤) . نعم «ان كيد الشيطان كان ضعيفاً» (٥)

قال الامام الصادق عليه السلام : «ابى الله ان يعرف باطلا حقاً . ابى الله ان  
 يجعل الحق في قلب المؤمن باطلا لاشك فيه ، وابى الله ان يجعل الباطل في قلب  
 الكافر المخالف حقاً لاشك فيه . ولولم يجعل هذا هكذا ما عرف حق من باطل» .  
 وقال «ليس من باطل يقوم بازاء الحق ، الا غلب الحق الباطل . وذلك قوله  
 تعالى : بل نقذف بالباطل فيدمغه فاذا هو زاهق» (٦) .

هذا . . وقد سأل زرارة بن اعين ، الامام ابا عبد الله الصادق عليه السلام عن نفس  
 الموضوع . قال : قلت لابي عبد الله : كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه  
 من قبل الله ان يكون مما ينزغ به الشيطان؟ فقال عليه السلام : ان الله اذا اتخذ عبداً رسولا ،  
 انزل عليه السكينة و الوقار - اى الطمأنينة والاتزان الفكرى - فكان الذى يأتيه من

١ - سورة الحاقة : ٢٥

٢ - سورة الانبياء : ١٨

٣ - سورة غافر : ٥١

٤ - سورة الصافات : ١٧١-١٧٣

٥ - سورة النساء : ٧٦

٦ - محاسن البرقى ، كتاب مصايح الظلم ، الحديث رقم ٣٩٤ و٣٩٥ . ص ٢٢٢



قبل الله ، مثل الذى يراه بعينه» (١) اى يجعله فى وضح الحق ، لاغبار عليه ابدأ ، فيرى الواقع ناصعاً جلياً لايشك ولا يضطرب فى رأيه ولا فى عقله . وقد اوضح الامام عليه السلام ذلك فى حديث آخر ، سئل عليه السلام : كيف علمت المرسل انها رسل ؟ قال : «كشف عنهم الغطاء» .. (٢) .

قال العلامة الطبرسى : ان الله لا يوحى الى رسوله الا بالبراهين النيرة و الايات البينة ، الدالة على ان ما يوحى اليه انما هو من الله تعالى فلا يحتاج الى شىء سواها ، ولا يفزع ولا يفزع ولا يفرق» (٣) .

وقال القاضى عياض : «لا يصح - اى فى حكمته تعالى ، وهو اشارة الى قاعدة اللطف - ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك ، ويلبس عليه الامر ، لافى اول الرسالة ولا بعدها . والاعتماد - اى اطمينان النبى - فى ذلك دليل المعجزة . بل لايشك النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان ما يأتيه من الله هو الملك و رسوله الحقيقى اما بعلم ضرورى يخلقه الله له ، او برهان جلى يظهره الله لديه . لتتم كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلمات الله» (٤) .

اذن فلا بد ان يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين انبعائه نبياً على علم يقين ، بل عين يقين من أمره ، لايشك ولا يضطرب ، مستيقناً مطمئناً بالله . مرعياً بعناية الله تعالى ولطفه الخاص ، منصوراً مؤيداً ، ولاسيما فى بدء البعثة فيأتيه الناموس الاكبر وهو الحق الصراح معايناً مشهوداً ، وهى موقعية حاسمة لاينبغى لنبى ان يتزلزل فيها او يتروع فى موقفه ذلك الحرج العصيب : «انى لا يخاف لدى المرسلون» (٥) .

١- العياشى ج ٢ ص ٢٠١ والبحار ج ١٨ ص ٢٦٢

٢- بحار الانوار ج ١١ ص ٥٦

٣- مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٤

٤- رسالة الشفا ص ١١٢

٥- سورة النمل : ١٠

و ايضاً فان النبي ﷺ لم يختره الله لنبوته ، الا بعد ان اكمل عقله و أدبه فاحسن تأديبه . وعرفه من اسرار ملكوت السماوات والارض ما يستأمله للقيام بمهمة السفارة وتبليغ رسالة الله الى العالمين . كما فعل براهيم الخليل عليه السلام قال الامام امير المؤمنين عليه السلام : «ولقد قرن الله به -ص- من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره .» (١) وقال الامام العسكري عليه السلام : «ان الله وجد قلب محمد - ص - افضل القلوب واوعاها فاختره لنبوته .» (٢) .

قال العلامة المجلسي : «منذ ان اكمل الله عقله ، لم يزل مؤيداً بروح القدس بكلمه ويسمع صوته ويرى الرؤيا الصادقة ، حتى بعثه الله نبياً رسولا» (٣) .  
والدلائل على انه - ص - منذ بدايته كان مورد لطفه تعالى وعنايته الخاصة كثيرة ، وقد عرف قومه فيه النبوغ والجدارة الذاتية ، ولمسوا فيه الصدق والامانة والذكاء والفطنة ، فوجدوه مزيجاً من الاستقامة وحصافة العقل ، حتى حجب الى الناس جميعاً ولقبوه بالصادق الامين ، اميناً في رأيه ، واميناً في سلوكه .

وكان قبيل بعثته تظهر له علائم النبوة ، فقد ظهرت آياتها قبل ثلاث سنوات من بعثته وهو في سن السابع والثلاثين - كما في رواية علي بن ابراهيم القمي (٤) - فكان يرى الرؤيا الصادقة ، و كان يختلي بنفسه في غار حراء ، متفكراً في اسرار الملكوت ، متعمقاً في ذات الله متطلعاً سر الخليفة ، حتى فجأه الحق وقد بلغ سن الاربعين . فقد كان مهتماً بنفسه لذلك ، عارفاً بسمات أمر قد اشرفت طلائعه منذ حين .

١ - نهج البلاغة ج ١ ص ٣٩٢ الخطبة القاصعة .

٢ - بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٠٦

٣ - » » ص ٢٧٧

٤ - راجع: ص: ٣١



وهكذا انسان لا يفرع ولا يفرق ولا يظن بنفسه الجنة او عارضة سوء ، ليلتجأ الى امرأة لاعهد لها باسرار النبوات او رجل (١) كان حظه من العلم ان قرأ كتباً محرفة وآثاراً بائدة ، لم يثبت آنذاك انه لمس حقائق ومعارف من الملك والملكوت كانت موجودة فيها لحد ذلك، غير ممسوخة عن فطرتها الاولى.

على ان النبي محمداً ﷺ كان اشرف الانبياء و افضل المرسلين وخاتم سفراء رب العالمين ، فكان اكرم عليه تعالى من ان يتركه ونفسه يتلوى فى احضان القلق والاضطراب ، خائفاً على نفسه مس جنون او الاستحواذ على عقله الكريم - على ما جاءت فى روايات آتية لاقيمة لها عندنا .

اذن فقد كان موقف النبي ﷺ تجاه نزول الحق عليه - فى بدء البعثة - موقف انسان واع بجلى الامر ، عارف بحقيقة الحق النازل عليه، فى اطمئنان بالغ وسكون نفس وانسراح صدر، لم يتردد ولم يشك ولم يضطرب، كماله يفرع ولم يفرق. و سندكر قصة بدء البعثة على ما جاءت فى روايات اهل البيت - ع - و هى تشرح جوانب من موقف النبي - ص - آنذاك ملؤها عظمة واكبار وابهة وجلال .

### قصة ورقة بن نوفل :

تلك كانت قصة البعثة ، وفق ما جاءت فى احاديث اهل البيت ، وهم ادرى بما فى البيت ، واليك الان حديثاً آخر عن بعثة النبي محمد - ص - على ما جاءت فى روايات غيرهم :

روى البخارى و مسلم و ابن هشام والطبرى واضرابهم : « بينما كان النبى - ص - مختلياً بنفسه فى غار حراء اذسمع هاتفا يدعوه ، فاخذه الروع ورفع رأسه و اذا صورة رهيبه هى التسى تناديه ، فزاد به الفزع و اوقفه الرعب مكانه ، وجعل يصرف وجهه عما يرى ، فاذا هو يراه فى آفاق السماء جميعاً ويتقدم ويتأخر فلا تنصرف الصورة من كل وجه يتجه اليه . واقام على ذلك زمناً ، ذاهلاً عن نفسه ،

١ - هو : ورقة بن نوفل ابن عم خديجة . تأتى قصته فى الفصل التالى .



و كاد ان يطرح بنفسه من حالق من جبل ، من شدة ما ألم به من روعة المنظر الرهيب .  
و كانت خديجة قد بعثت اثناءه من يلتمس النبي - ص - فى الغار فلا يجده ، حتى  
اذا انصرفت الصورة ، عاد هو راجعاً ، و قلبه مضطرب ممتلئاً رعباً و هلعاً ، حتى  
دخل على خديجة وهو يرتعد فرقاً كأن به الحمى ، فنظر الى زوجه نظرة العائد  
المستنجد ، قائلاً : يا خديجة : ما لى ؟ ا وحدثها بما رأى ، و افضى اليها بمخاوفه  
ان تخدعه بصيرته . قال : لقد اشفقت على نفسى ، و ما ارانى الا قد عرض لى (١) و  
قال : ان الابد - يعنى نفسه الكريمة - لكاهن او مجنون !

فرت اليه زوجه الوفية بنظرة الاشفاق ، و قالت : كلا يا ابن عم ، ابشر و  
اثبت ، و الله لا يخزيك ابداً . فو الذى نفس خديجة بيده ، انى لارجو ان تكون  
نبي هذه الامة ، انك لتصل الرحم ، و تصدق الحديث ، و تقرى الضيف ، و تعين على  
النوائب ، و ما اوتيت بفاحشة قط . وهكذا طمأنته بحدثها المرهف .

ثم قامت بتجربة ناجحة : قالت : يا ابن عم ، أستطيع أن تخبرنى بصاحبك  
هذا الذى يأتيك ؟ قال : نعم . قالت : فاذا جاءك فاخبرنى به . فجاءه الملك كما كان  
يأتيه . فقال رسول الله ﷺ : يا خديجة ، هذا هو قد جاءنى . فقالت : نعم ، فقم  
يا ابن عم و اجلس على فخدى اليسرى . فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها . فقالت :  
هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحول واقعد على فخدى اليمنى ، فتحول رسول الله - ص -  
فجلس عليها . فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت فتحول و اجلس فى حجرى ، فتحول  
و جلس فى حجرها ، ثم تحسرت (٢) و القت خمارها ، و رسول الله ﷺ جالس فى حجرها .  
فقالت : هل تراه يا ابن عم ؟ قال : لا . فقالت : يا ابن عم ، ابشر و اثبت ، فوالله انه لملك و ما  
هو بشيطان .

ثم تو كيداً لما استنتجته من تجربتها ، انطلقت الى ابن عمها ورقة بن نوفل  
و كان متنصراً قارئاً للكتب ، فقصت عليه خبر ابن عمها محمد ﷺ فقال ورقة :

١ - قال ابن الاثير: اى اصابنى مس من الجن .

٢ - اى كشفت عن نفسها .

قدوس قدوس . لئن كنت صدقتني ياخديجة ، فقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى . فقولى له : فليثبت . وأنه لنبى هذه الامة . ولوددت ان ادراك ايامه فأؤمن به وانصره . فعادت خديجة الى رسول الله ﷺ واخبرته بما قال ، فعند ذلك اطمأن باله ، وذهبت روعته ، وايقن انه نبى (١) .

\* \* \*

قلت : لاشك ان قصة اربيع النبى ﷺ بتلك الصورة الفضيعة ، اسطورة خرافة حاكتها عقول ساذجة ، جاهلة بمقام انبياء الله الكرام . ومن ثم فهى ازراء بشأنهم الرفيع ، و حط من منزلتهم الشامخة ، ان لم تكن ضعفة باقوى دعامة رسالة الله !

اولا - النبى ﷺ اكرم على الله من ان يروعه فى ساعة حرجة هى نقطة حاسمة فى حياة رسوله الكريم ، هى نقطة تحول عظيم ، من انسان كامل كان مسؤول نفسه ، الى انسان رسول هو مسئول امة باجمعها ، كان قبل ان يصل الى موقفه هذا العصيب ، يسير قدماً الى قمة الاكتمال الانسانى الاعلى ، فى سفرة خطيرة كان مبدؤها الخلق ومنتهاها الحق تعالى . فكان يسير من الخلق الى الحق . والان وقد وصل القمة ، فعاد من الحق ، حاملاً للخلق ، الى الخلق (٢) .

فساعة البعثة هى الفترة الحاسمة ، وهى الحلقة الواصلة بين السفرتين الذاهبة والراجعة ، وهى موقف حرج ، حاشا الله ان يترك حبيبه يكابد الامرّين حينما بلغ قمة اللقاء ، والان يريد ان يختاره رسولا الى الناس ، فيتركه يتلوى فى هواجس

١ - راجع : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٥ . صحيح البخارى ج ١ ص ٣ - ٤ .

صحيح مسلم ج ١ ص ٩٧ - ٩٩ . تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٩٨ - ٣٠٣ . تفسيره ج ٣٠ ص

١٦١ . حياة محمد : هيكل ص ٩٥ - ٩٦ .

٢ - على ماجاء فى تعبير الفيلسوف الالهى ، الحكيم صدرالدين الشيرازى تقدم كلامه



مخطرة ، وبروعه بتلك الصورة الفضيعة التي تكاد تذهب بنفسه الكريمة او تستحوذ على عقله روعة المنظر الرهيب !!

أليس محمد ﷺ اكرم على الله من ابراهيم الخليل وموسى الكليم وغيرهما من انبياء عظام، لم يتركهم في ساعة العسرة ، ليلتجأوا الى انسان غيره ، حاشاه من رب رؤوف رحيم!!

ثانياً - انا لنربأ بعلماء - هم اهل تحقيق وتمحيص - ان يفضلوا عقلية امرأة لاشأن لها واسرار النبوات ، على عقلية انسان كامل كان قد بلغ القمة التي استأهلته لحمل رسالة الله . ثم تقوم هي بتجربة حاسمة يجهلها رسول رب العالمين . ليطمأن الى قولتها . او قولة رجل كان شأنه ان كان قارئاً للكاتب ، وليس لذلك العهد كتب فيها حقائق ومعارف غير محرّفة قطعياً . ولم نعرف ما الذى وجده رسول الله ﷺ في قولتهما فكان منشأ اطمئنانه ، لم يجده في الحق النازل عليه من عند الله العزيز الحكيم .

الم تكن الرؤى الصادقة التي سبقت البعثة ، و لم يكن تسليم الملك النازل عليه حينها : السلام عليك يا رسول الله . و تسليم الشجر والحجر كلما مر بهما في طريقه راجعاً الى بيت خديجة . و لم يكن عرفانه الذاتى الذى كان يتعمقه مدة اختلاؤه بحراء . كل ذلك لم يستوجب استيقانه بالامر ، ليستيقن من طمأنة امرأة او رجل متنصر !! ان هذا الا ازراء فضيع بمقام رسالة الله ، ان لم يكن مسأ شنيعا بكرامة رسول الله ﷺ المنيعة .

ثالثاً - اختلاف سرد القصة ، بما لايلتئم مع بعضها البعض ، لدليل على كذبها رأساً . ففي رواية : انطلقت خديجة لوحدها الى ورقة، فاخبرته بما جرى . وفي اخرى : انطلقت بي الى ورقة وقالت : اسمع من ابن اخيك . فسألني فاخبرته ، فقال : هذا الناموس الذى انزل على موسى . وفي ثالثة : لقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالبيت فقال يا ابن اخي ، اخبرني بما رأيت وسمعت . فاخبره رسول الله ﷺ . فقال له ورقة : و الذى نفسى بيده انك لنبي هذه الامة .



ولئن ادركت ذلك لانصرن الله نصرأ يعلمه . وفي رابعة : عن ابن عباس عن ورقة ابن نوفل . قال : قلت : يا محمد اخبرني عن هذا الذي يأتيك ، يعنى جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال : يأتيني من السماء جناحه لؤلؤ و باطن قدميه اخضر ( ١ ) . وهذا ليس في روايات خديجة مع ورقة . على ماجاءت في الصحاح المتقدمة . وفي خامسة : ان ابا بكر دخل على خديجة ، فقالت ، انطلق بمحمد الى ورقة ، فانطلقا فقصاعليه ... ( ٢ ) ثم لوصحت القصة ، فلماذا لم يؤمن به ورقة ، حينذاك وقد علم انه نبي مبعوث؟! فقد صح انه مات كافراً لم يؤمن به . وقضية رؤيا النبي -ص- : كان ورقة في ثياب بيض . ايضاً مكدوبة وسندها مقطوع . والا لسجل اسمه فيمن آمن به . قال ابن عساکر: لا اعرف احداً قال انه اسلم (٣) هذا وقد عاش ورقة الى زمن بعد البعثة، فقد روى انه مر ببلال وهو يعذب (٤) قال ابن حجر : وهذا يدل على انه عاش حتى ظهرت دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا بلالا فاسلم . اذن فلم يبق على كفره ولم يسلم كما اسلم الاخرون؟ ولم لم ينصره كما نصره آخرون؟ وقد خالف عهده كما جاء في الاسطورة .

## الوحي لا يحمّل التباساً:

هذا هو الموضوع الثاني - فيما اشرنا سابقاً - : النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخطأ فيما يوحي اليه ، و لا يلبس عليه الامر قط . النبي كان عند ما يوحي اليه : يكشف عن عينه الغطاء ، فيرى الواقعة فيما يتصل بجانب روحه الملكوتي ، منقطعاً عن صوارف المادة ، انه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينذاك يلمس تجليات و اشراقات نورية تغشاها من عالم الملكوت ، لينصرف بكليته الى لقاء روح الله و تلقى كلماته ، فيرى حقيقة الحق النازل عليه بشعور وواع و بصيرة نافذة ، كمن يرى الشمس في وضوح النهار ، لا يحمّل خطأ في ابصاره و لا التباساً فيما يعيه .

وهكذا الوحي ، اذ لم يكن فكرة نابعة من داخل الضمير ، ليحتمل الخطأ

١- اسد الغابة: ابن الاثير ج ٥ ص ٨٨ والرواية ضعيفة بروح بن مسافر . ولم يدرك ابن عباس ورقة

٢- الاتقان ج ١ ص ٢٤

٣- الاصابة : ابن حجر ج ٣ ص ٦٣٣

٤- نفس المصدر .

فى ترتيب مقدمات استنتاجها . او ابصاراً من بعيد ليتحمل التباسا فى الانطباق (١) .  
بل هى مشاهدة حقيقة حاضرة بعين نافذة . فاحتمال الخطأ فيه مستحيل .

\* \* \*

تلك طريقة علمية فلسفية (٢) تهدينا الى الاعتراف بعدم احتمال الوحي الخطأ  
أبدأ . و من ثم فان شريعة الله النازلة على ايدى رسله الامناء ، مصونة عن احتمال  
الخطأ رأساً .

وهناك طريقة اخرى عقلية تحتم لزوم عصمة الانبياء ، فيما يبلغون من شرائع  
الله ، يفصلها علماء الكلام . وتتلخص فى ان النبى المبلغ عن الله ، يجب - فى ضوء  
قاعدة اللطف - ان ينعم بصحة كاملة فى اجهزة احساسه ، و سلامة تامة فى قوى  
مشاعره ، وفى مقدرته العقلية ، فيكون مستقيماً فى آرائه ونظرياته ، معتدلاً فى خلقه  
وسيرته ، مستوياً فى خلقته وصورته . وبكلمة جامعة : يجب ان يختار الله لرسالته

١- الخطأ انما يحتمل فى مجالين : اما فى مجال التفكير او فى مجال الابصار الخارجى  
- مثلاً - وذلك لان للاستنتاج الفكرى شرائط واحكاماً ، اذا ما اهملها المتفكر فسوف يقع  
فى خطأ التفكير ، وكذلك ابصار العين الخارجية اذا كان من بعيد ، فربما يقع الخطأ فيه  
من ناحية تطبيق ما عند النفس من مركبات ومعلومات على خصوصيات يراها موجودة فى العين  
الخارجية ، فالخطأ انما هو فى هذا التطبيق النفسى ، لافى العين المشاهدة . لان الابصار عبارة  
عن انطباع صورة الخارج - وهى واقعية لاتغير - فى الشبيكة العصبية خلف بؤرة العين . و  
هذه ظاهرة طبيعية تتحقق ذاتياً اذا ما تحققت شرائطها . نعم كانت النفس هى التى تحكم على مشاهدته  
العين بانه كذا وكذا ، والخطأ انما هو فى هذا الحكم ، لافى ذلك الابصار الطبيعى .

اذن فيما ان الوحي خارج عن الامرين ، لاتفكير ولا ابصار من بعيد - مثلاً - وانما هو  
لمس حقيقة حاضرة فلاموقع للخطأ فيه اصلاً .

٢- راجع : ما كتبه الاستاذ العلامة الطباطبائى بهذا الصدد فى رسالة الوحي «وحي يا شعور

مرموزة ص ١٠٢



انسانا كاملا فى خلقه و خلقه . كى لا يتنفر الناس من معاشرته ، و يطمأنوا الى ما يبلغه  
عن الله . و الا كان نقضاً لغرض التشريع .

فالنبى -ص- معصوم من الخطأ والنسيان ، ولا سيما فيما يخص تبليغ احكام  
الشرية . وهذا اجماع من المسلمين . ومن غيرهم من عقلاء اذعنوا برسالة الانبياء .  
ولولاه لكان الالتزام بشرايع الدين سفهاً ياباه العقل (١) .

\* \* \*

هذا مضافاً الى ما عهد الله لنبيه بالرعاية و الحفظ : « سنقرؤك فلا تنسى » (٢)  
كان ﷺ فى بدء نزول القرآن ، يخشى ان يفوته شىء فكان يساوق جبرئيل فيما  
يلقى عليه كلمة بكلمة فنهى عن ذلك : « لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه  
و قرآنه . ثم ان علينا بيانه » (٣) « ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه . و  
قل رب زدنى علماً » (٤) قال ابن عباس : فكان رسول الله « ص » بعد ذلك اذا اتاه  
جبرئيل استمع له ، فاذا انطلق قرأ كما اقرئه (٥) ، و اخيراً فان قوله تعالى : « انا  
نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون » (٦) يقطع اى احتمال الدس و التزوير فى نصوص  
القرآن الكريم .

\* \* \*

و اما احتمال تلبس ابليس ليتدخل فيما يوحى الى النبى ﷺ و يجعل من  
تسويلاته الشيطانية فى صورة وحي و يلبسه على النبى ﷺ ليزعمه وحياً من الله .  
فهو امر مستحيل ، لان الشيطان لا يستطيع الاستحواذ على عقلية رسل الله و عباده

١- راجع : مباحث العصمة من شرح تجريد الاعتقاد : المسألة الثالثة من المقصد الرابع

من مباحث النبوة العامة ص ١٩٥

٢ - سورة الاعلى : ٦

٣- سورة القيامة : ١٦-١٩

٤- سورة طه : ١١٤

٥- طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣٢

٦- سورة الحجر : ٩



المكرمين: «ان عبادى ليس لك عليهم سلطان» (١) . ومتناف مع قوله تعالى: «ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين...» (٢) . وقوله تعالى: «وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى» (٣) . وقد قال الشيطان: « و ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى » (٤) و متناف مع قاعدة اللطف الانفة ، و متناقض مع حكمته تعالى فى بعث الانبياء (ع) فى شرح سبق تفصيله .

نعم ذ هب اصحاب الحديث من العامة الى امكان استحواذ الشيطان على عقلية الرسول ﷺ كما جاءت روايتهم لقصة الغرائق، الامر الذى نراه مستحيلا اطلاقاً ، و من ثم فهى اسطورة وضعتها من يريد الامتهان بمقام الرسالة ، ليعبر بها على عقول البسطاء ، فكانت غنيمة بايدى اعداء الاسلام . و اليك نص الاسطورة و نقدها تباعاً :-

## اسطورة الغرائق :

روى ابن جبير الطبرى باسناد زعمها صحيحة، عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس، و سعيد بن جبير، وابن عباس، وغيرهم: ان النبى ﷺ كان فى حشد من مشركى قريش ، بفناء الكعبة ، او فى ناد من اند يتهم . وكانت تساوره نفسه لويأتيه شىء من القرآن يقارب بينه و بين قومه الالءاء . اذ كان يتألم من مباعدهم ، وكان يرجو الائتلاف معهم مهما كلف الامر . واذأ نزلت عليه سورة النجم ، فجعل يتلوها حتى اذا بلغ : « افرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى » القى عليه الشيطان :

١- سورة الاسراء : ٦٥

٢- سورة الحاقة : ٤٦

٣- سورة النجم : ٥

٤- سورة ابراهيم : ٢٢

« تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترتجى » (١) فحسبها وحياً ، فقرأها على ملاء من قريش ، ثم مضى وقرأ بقية السورة . حتى اذا اكملها سجد و سجد المسلمون ، و سجد المشركون ايضاً ، تقديرأ بما وافقهم محمد ﷺ فى تعظيم آلهتهم و رجاء شفاعتهم . و طار هذا النبأ حتى بلغ مهاجرى الحبشة ، فجعلوا يرجعون الى بلدهم مكة . فر حين بهذا التوافق المفاجيء . كما فرح النبى ﷺ ايضاً بتحقيق امنيته القديمة على ائتلاف قومه .

ويقال : ان شيطانا ابيض : هو الذى تمثل للنبى فى صورة جبرئيل والقى عليه تينك الكلمتين .

ويقال : كان النبى ﷺ يصلى عند المقام : اذ نعس نعسة فجرت على لسانه هاتان الكلمتان من غير شعور بهما .

ويقال : النبى ﷺ هو الذى تكلم بهما من تلقاء نفسه : حرصاً على ائتلاف قلوب المشركين . ثم ندم من فعله هذا الذى كان افتراء على الله !  
ويقال : ان الشيطان اجبره على النطق بهذا الكلام ... الخ

ثم لما امسى الليل اتاه جبرائيل ، فقال له : اعرض على السورة . فجعل النبى ﷺ يقرأها عليه حتى اذا بلغ الكلمتين قال جبرائيل : مه ، من اين جئت بهاتين الكلمتين فتندم رسول الله ﷺ وقال : لقد افتريت على الله ، وقلت على الله ما لم يقل ! فحزن حزنا شديداً ، و خاف من الله خَوْفاً كبيراً .

ويقال : ان النبى ﷺ قال لجبرائيل : انه اتانى آت على صورتك فالفها على لسانى فقال جبرائيل : معاذ الله ان اكون أقرأتك هذا . فاشتد ذلك على رسول الله . فنزلت : « وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، و اذا لاتخذوك خليلاً . ولولا ان ثبتناك لقد كنت تركن اليهم شيئاً قليلاً اذا لاذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات

١ - الغرائق : جمع الغرنوق . وهو الشاب الناعم الابيض . وفى الاصل : اسم لطير الماء ( مالك الحزين ) وهو تشبيه آلهة المشركين بطيور يرض متحلقة فى اجواء السماء ، كناية عن قربهم من الله .



ثم لاتجدلك علينا نصيراً» (١) .

فاشدد حزن رسول الله ﷺ على هذه البادرة المباغثة ، و لم يزل مغموماً مهموماً ، حتى نزلت عليه : وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته . فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته . و الله عليم حكيم» (٢) وكانت تسلية لقلبه الحزين ، فعند ذلك سرى عنه الهم وطابت نفسه (٣) .

\* \* \*

### نقد الحديث سنداً :

تلك اسطورة الغرائق ، مفتراة على النبي الكريم ﷺ وقد اطلع المستشرقون و الطاعنون فى الدين الاسلامى الحنيف ، بهذه الاسطورة المصطنعة و اذا عوها و واثاروا حولها عجاجة من القول البذىء (٤) .

فى حين انها اكذوبة مفتعلة، صنعتها قرائح القصاصين ، ونسبوا الى بعض التابعين ، و من الصحابة الى ابن عباس ، ودلائل الكذب والافتراء باذية على محياها القدر .

اولا : لم يتصل تسلسل سند الحديث الى صحابى اطلاقاً . وانما اسند الى جماعة من التابعين و من لم يدرك حياة رسول الله ﷺ وعليه فالحديث مرسل غير موصول السند الى من شاهد القضية - فرضاً -

و اما النسبة الى ابن عباس فلا تنقل عن غيرها ، بعد ان كانت ولادة ابن عباس فى السنة الثالثة قبل الهجرة ، فلم يشهد القصة بتاتاً ، وانما نقلت اليه .

---

١- سورة الاسراء : ٧٤

٢- سورة الحج : ٥٢

٣- تفسير الطبرى ج ١٧ ص ١٣١ - ١٣٤ . الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٢ و ص ٣٦٦ -

٣٦٨ . فتح البارى بشرح البخارى ج ٨ ص ٣٣٣

٤ - انظر : تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بروكلمان ص ٣٢



فالرواية من جميع وجوهها غير موصولة الاسناد الى شهود القصة لوصحت  
الواقعة .

و قواعد فن التمحيص فى اسناد الروايات تأبى جواز الاحتجاج بمثل  
هذا الحديث المرسل .

هذا وقد شذ ابن حجر فى قوله : فيها ثلاث مراسيل رجالها ثقات على شرط  
الصحة . ثم اخذ يتهجم على من زعمها مختلفة : قائلاً: اذا كثرت الطرق و تباينت  
مخارجها ، دل ذلك على ان لها اصلاً ، قال : وتلك المراسيل يحتج بها و لو عند  
من لا يحتج بالمراسيل ، لاعتضاد بعضها ببعض (١) .

اقول : وهل الكذبة اذا راجت صدقت؟!

ثانياً : شهادة جل ائمة الحديث بكذب هذا الخبر ، و ان الطرق اليه ضعاف  
واهية ، فهو فيما يشتمل عليه من السند ايضا ساقط فى نظر الفن .

قال ابن حجر نفسه : و جميع الطرق الى هذه القصة \_ سوى طريق ابن جبير -  
اما ضعيف ( يكون الرواى غير موثوق به او مرمياً بالوضع والكذب ) او منقطع  
( اى كانت حلقة الوصل بين الراوى الاول والراوى الاخير مفقودة ) (٢) وسنذكر  
ان بلاء طريق ابن جبير هو الارسال والضعف ايضاً .

و قال احمد بن الحسين البيهقى \_ اكبر ائمة الشافعية ، مشهوراً بدقة النقد  
والتمحيص \_ : « هذا الحديث من جهة النقل غير ثابت ورواته مطعون فيهم » (٣) .

وقال ابو بكر ابن العربى : « كل ما يرويه الطبرى فى ذلك باطل لا اصل له » (٤)

وصنف محمد بن اسحاق بن خزيمة رسالة ، فند فيها هذا الحديث المفتعل ، ونسبه

---

١ - فتح البارى بشرح البخارى ج ٨ ص ٣٣٣

٢ - نفس المصدر .

٣ - تفسير الرازى ج ٢٣ ص ٥٠

٤ - فتح البارى ج ٨ ص ٣٣٣

## الى وضع الزنادقة (١)

و قال القاضى عياض : هذا الحديث لم يخرج له احد من اهل الصحة ، و لارواه ثقة بسند سليم متصل ، وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقون من الصحف كل صحيح و سقيم . قال : و صدق القاضى بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلى المسلمون ببعض اهل الاهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته ، واضطراب رواياته ، وانقطاع اسناده ، و اختلاف كلماته» (٢) .

و اما طريق ابن جبير فذكر ابوبكر البزاز : ان هذا الحديث لم يسنده عن شعبة الامية بن خالد وغيره ، يرسله عن سعيد بن جبير ، وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس . ثم يذكر شكه في صحة الاسناد الى ابن عباس ايضاً فيما اسند الى ابن جبير (٣) و اما طريق الكلبي الى ابن عباس عن طريق ابي صالح فموهون بالاتفاق ، قال جلال الدين السيوطى : هي او هي الطرق (٤) .

ثالثاً - اتفاق كلمة المحققين من علماء الاسلام قديماً وحديثاً ، على انه حديث مفترى وحكموا عليه بالكذب الفاضح ، غير آبهين بجانب السند ، متصل ام منقطع ، صحيح ام سقيم ، لانه قبل كل شىء متناقض مع صريح القرآن الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٥) و هادم لا قوى اسس الشريعة و اقوم دعامة الرصينة .

قال الشريف المرتضى : فاما الاحاديث المروية فى هذا الباب فلا يلتفت اليها ، من حيث انها تضمنت ما قد نزهت العقول الرسل - ع - عنه . هذا لولم يكن فى

١ - تفسير الرازى ج ٢٣ ص ٥٠

٢ - الشفا : القاضى عياض ص ١١٢

٣- نفس المصدد ص ١١٨

٤- الاتقان ج ٢ ص ١٨٩

٥ - سورة فصلت : ٢٢



انفسها مطعونة ضعيفة عند اصحاب الحديث . و كيف يجيز ذلك على النبي ﷺ من يسمع قول الله تعالى : « كذلك لنثبت به فؤادك » . و قوله : « ولو تقول علينا بعض الاقاويل » وقوله : « سنقرئك فلا تنسى » .. ثم اخذ في توضيح الاستدلال (١) .

وقال الامام الفخر : هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين . واما اهل التحقيق فيرونها باطللة موضوعة ، واحتجوا عليها بوجوه من العقل والنقل (٢) .

وقال السيد الطباطبائي : الادلة القطعية على عصمة النبي ﷺ تكذب متن الحديث ، و ان فرضت صحة اسناده . فمن الواجب تنزيهه جانب قدسية النبي ﷺ عن امثال هذه الرذائل التي تمس كرامة الانبياء (٣) .

وتكلم القاضي عياض في تفنيدها هذا الحديث بوجوه عديدة اقتبسنا منها فصولا في هذا العرض . واخيراً اخذ الدكتور حسين هيكل في تفنيدها القصة بأسلوب حديث، لخصناه في نهاية المقال .

## نقد الحديث مدلولاً :

هذا الحديث ، فضلا عن سنده الموهون ، فان مضمونه باطل على كل تقدير :  
اولاً - مناقضته الصريحة مع كثير من نصوص القرآن الكريم في شتى الجهات .  
ثانياً - منافاته الظاهرة مع مقام عصمة الانبياء ، الثابتة بدليل العقل والنقل المتواتر والاجماع .  
ثالثاً - عدم امكان التثامه مع سائر آيات السورة نفسها ، لحنأ و اسلوباً ، بحيث لا يمكن التباس هذا الجانب على من يعرف اساليب الكلام الفصيح ، و بالاحرى ان لا يلتبس الامر على افصح من نطق بالضاد ، وعلى اولئك الحضور ، وهم صناديد قريش وافلاذ العرب .

١ - تنزيه الانبياء : ص ١٠٧ - ١٠٩

٢ - التفسير الكبير ج ٢٣ ص ٥٠

٣ - تفسير الميزان ج ١٢ ص ٢٣٥



وتوضيحاً لهذه الجوانب الثلاث الخطيرة نستعرض مايلي :

## ١ - مناقضته مع القرآن :

انا لربياً بمسلم نابه - فضلا عن ناقد خبير كابن حجر - ان يتسلم صدق هذا الحديث المفتعل ، نظراً لما زعمه من صحة اسناده المراسيل ، ثم لا يتدبر في متنه الفاسد ، الظاهر التنافي مع كثير من نصوص الكتاب العزيز ، واليك طرفاً من ذلك :

أ - تبدأ السورة بقوله تعالى : «والنجم اذا هوى . ماضل صاحبكم وماغوى .

وماينطق عن الهوى . ان هو الاوحى يوحي . علمه شديد القوى» (١) .

وهي شهادة صريحة من الله ، بأن محمداً ﷺ لا يضل ولا يغوى ولا ينطق الا عن

وحي من الله ، يعلمه الروح الامين .

فلوصح ما ذكره في رأس الآية العشرين ، لكان تكذيباً فاضحاً لهذه الشهادة ،

وتغليباً لجانب الشيطان على جانب الرحمان ، وهو القائل تعالى : «ان كيد الشيطان

كان ضعيفاً» (٢) . والقائل : «كتب الله لاغلبن انا ورسلى ، ان الله قوى عزيز» (٣) .

فكيف - يا ترى - يتغلب ابليس على ضمان يضمنه الله تعالى ، فيطله صريحاً ،

قبل ان يفرغ من كلامه عز شأنه ؟! وهل يتغلب ضعيف في كيدته على قوى في ارادته ؟!

وهل هذا الاتهاف باهت ، و كلام فارغ ، لا يستطيع عاقل تصديقه !

ربنا لا اب - وايضاً فانه تعالى يقول : «ولو تقول علينا بعض الاقايل ، لاخذنا منه

باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين» (٤) : كناية عن أن احداً لا يستطيع القول على الله ،

تليسياً للحقيقة الا ويهلكه الله من فوره . الامر الذي تقتضيه حكمته تعالى ، جرياً مع

١ - سورة النجم : ١ - ٥

٢ - سورة النساء : ٦٦

٣ - سورة المجادلة : ٢١

٤ - سورة الحاقة : ٢٦

١ - سورة النجم : ١ - ٥

٢ - سورة النساء : ٦٦

٣ - سورة المجادلة : ٢١

٤ - سورة الحاقة : ٢٦

قاعدة اللطف ، وقدسبقت الاشارة اليها .

أفهل ترى - بعد هذا التاكيد - يستطيع ابليس ، وهو صاحب الكيد الضعيف ان يتقول على الله ، ويلبس الامر على رسول الله -ص- بما يحسبه وحيأ آتياً به جبرائيل الامين؟! اذن فأين الضمان الذى ضمنه الله تعالى الغالب على امره ، وتعهده على نفسه فى الاية المذكورة؟!

ج - وقال تعالى : «انانحن نزلنا الذكر واناله لحافظون» (١) فقد ضمن تعالى سلامة القرآن من تلاعب ايدى المبطلين ، وحفظه عن دسائس المعاندين ، أفهل يعقل - بعد ذلك - أن يترك ابليس وشأنه فى سبيل التلاعب بالذكر الحكيم ، فور نزوله على رسوله الكريم؟! وهل هذا الاتهافت فى الرأى ، وابطال لضمان الله؟! ومعه لا تبقى ثقة بما وعد الله المؤمنين من النصر والغلبة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !!

د - وقال تعالى : «انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون» (٢) . وقال : «ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً» (٣) . فكيف نجوز - بعد هذا الضمان الصريح المؤكد - ان يتسلط ابليس على أخلص عباد الله المكرمين ، فيلبس عليه ناموس الكبرياء ، وفى أمس شؤون رسالته المضمونة؟!

على أن القرآن يصرح : ان لاسلطة لابليس على أحد اطلاقاً ، سوى وسوسته الخداعة ودعوته الى شرور ، اما التدخل عملياً فى شؤون الخلق او الخالق ، فهذا لاسبيل لابليس اليه اطلاقاً ، وقد حكى الله سبحانه عن لسان ابليس : « وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى» (٤) .

١ - سورة الحجر : ٩

٢ - سورة النحل : ٩٩

٣ - سورة الاسراء : ٦٥

٤ - سورة ابراهيم : ٢٢

## ٢- منافاته لمقام العصمة :

قال القاضي عياض : « وقد قامت الحججة واجمعت الامة على عصمته - ص - ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة ، اما تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا ، من مدح آلهة غير الله ، وهو كفر . أو ان يتصور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن ، حتى يجعل فيه ما ليس منه ، ويعتقد النبي -ص- ان من القرآن ما ليس منه ، حتى ينبهه جبرائيل -ع- وذلك كله ممتنع في حقه -ص- .

او يقول النبي -ص- ذلك من قبل نفسه عمداً ، وذلك كفر . او سهواً ، وهو معصوم من هذا كله .

وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته -ص- من جريان الكفر على قلبه اولسانه ، لاعمدأ ولا سهواً .

او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان ، او يكون للشيطان عليه سبيل ، او يتقول على الله ما لم ينزل عليه ، وقد قال تعالى : « ولو تقول علينا بعض الاقاويل ... الاية . وقال تعالى : اذن لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات .. الاية (١) .

وايضاً فلولا العصمة الملحوظة في اداء رسالة الله ، لزال الثقة بالدين ، ولاخذت الشكوك مواضعها من احكام وتكاليف وشرائع يبلغها النبي -ص- عن الله تعالى !!

وامتداداً لجانب عصمته -ص- وان لاسبيل لابليس الى شأن من شؤونه المعصمة بعصمة الله تعالى ، قال : « من رآنى فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى » (٢) . وقد فهم العلماء من هذا الحديث قاعدة كلية : لا يستطيع ابليس التمثل بأى ولى من اولياء الله العباد المخلصين ، وبالاحرى : عدم استطاعته التمثل بجبرائيل ، ملك الوحي المقرب

١- القاضي عياض : الشفا ج ٢ ص ١١٨ - ١١٩

٢- صحيح مسلم ج ٧ ص ٥٧



الامين !!

اذن فأنى لابلوس التلاعب بوحي السماء ، أو أن ينتحل صورة رسول من رسل الله  
الاكريمين ! كلا ، «لا يسمعون الى الملاء الاعلى ويقذفون من كل جانب» (١) .

### ٣- تهافته مع آي السورة :

قال القاضي عياض - ايضاً - : « ووجه ثان ، وهو استحالة هذه القصة نظراً  
وعرفاً ، وذلك ان هذا الكلام لو كان - كما روى - لكان بعيداً للثام ، متناقض الاقسام ،  
ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبي - ص - ولا من يحضرته  
من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك . وهذا لا يخفى على ادنى  
متأمل ، فكيف بمن رجع حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه» (٢) .  
أفهل يتصور بشأن النبي محمد - ص - وهو العارف بمواقع الكلام ، الناقد  
لافصح اقوال العرب الفصحاء ، ان يلتبس عليه شأن كلام ساقط ، لا يتناسب وسائر  
جمل وآيات كانت تنزل عليه حينذاك ؟ أم كيف ينسجم ما ذكره مع قوله تعالى :  
« ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان» (٣) ام كيف يقتنع  
المشركون - وهم اهل نقد وفضاحة - بتلك المجاملة المفضوحة : يقترون مدح مشكوك ،  
بذلك القدح الصارم ، ليأخذوه تقارباً مبدئياً بين اشراكهم والدعوة التي قام بها محمد  
- صلى الله عليه وآله - والتي قامت على محق الشرك واخلاص الدين الحنيف .  
ولاسيما مع تعقيها بقوله ايضاً : «وكم من ملك في السماوات والارض لا تغنى شفاعتهم  
شيئاً» (٤) أفهل يلتئم هذا الكلام التوحيدى المخلص مع تلك الاكذوبة : «وان شفاعتهن

قال المصنف في تفسيره : «قوله تعالى : «ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان» (٣) ام كيف يقتنع المشركون - وهم اهل نقد وفضاحة - بتلك المجاملة المفضوحة : يقترون مدح مشكوك ، بذلك القدح الصارم ، ليأخذوه تقارباً مبدئياً بين اشراكهم والدعوة التي قام بها محمد - صلى الله عليه وآله - والتي قامت على محق الشرك واخلاص الدين الحنيف . ولاسيما مع تعقيها بقوله ايضاً : «وكم من ملك في السماوات والارض لا تغنى شفاعتهم شيئاً» (٤) أفهل يلتئم هذا الكلام التوحيدى المخلص مع تلك الاكذوبة : «وان شفاعتهن

ب بقول الله : «ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان» (٣) ام كيف يقتنع المشركون - وهم اهل نقد وفضاحة - بتلك المجاملة المفضوحة : يقترون مدح مشكوك ، بذلك القدح الصارم ، ليأخذوه تقارباً مبدئياً بين اشراكهم والدعوة التي قام بها محمد - صلى الله عليه وآله - والتي قامت على محق الشرك واخلاص الدين الحنيف . ولاسيما مع تعقيها بقوله ايضاً : «وكم من ملك في السماوات والارض لا تغنى شفاعتهم شيئاً» (٤) أفهل يلتئم هذا الكلام التوحيدى المخلص مع تلك الاكذوبة : «وان شفاعتهن

١- سورة الصافات : ٨

٢- الشفا ج ٢ ص ١١٩

٣- سورة النجم : ٢٣

٤- سورة النجم : ٢٦

\* \* \*

واخيراً فلوصحت الحكاية لشاعت وذاعت ، ولاخذها المشركون مستمسكاً  
 فسى وجه المسلمين طول الدعوة ، ولم يصدقوا النبي ﷺ في دعواه  
 النسخ مهما كلف الامر . هذا في حين ان التاريخ لم يضبط من تلك الاقصوصة المفتعلة  
 سوى حكايتها عن أناس تأخروا عن ظرفها بزمان بعيد ولم يسجل التاريخ من يقول:  
 حضرتها ! الامر الذى يجعلنا قاطعين بكذبها . ولعلها من الاسرائيليات المفصوحة  
 التى نسجتها أيدى النكاة بالاسلام ، فى عهد سطو المظالم على ارجاء البلاد الاسلامية ،  
 فى ظل حكومة بنى امية اعداء الدين والقرآن . وهذا هو الارجح فى نظرنا . وفسى  
 فصول هذا الكتاب الاتية يتضح موقف هذه الفئة الباغية على الاسلام اكثر .

\* \* \*

قال الاستاذ هيكال : حديث الغرائق حديث ظاهر التهافت ، ينقضه قليل من  
 التمحيص . وهو بعد حديث ينقض مالكل نبي من العصمة فى تبليغ رسالات ربه .  
 فمن عجب أن يأخذ به بعض كتاب السيرة وبعض المفسرين المسلمين . ولذلك  
 لم يتردد ابن اسحاق حين سئل عنه فى ان قال : انه من وضع الزنادقة . لكن بعض  
 الذين أخذوا به حاولوا تبرير اخذهم هذا ، فاستندوا الى قوله تعالى : «وان كادوا  
 ليفتنونك» . والى قوله : «الا اذا تمنى القى الشيطان» ويضيف (سير وليم موير) ان  
 مرجع المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة بعد ثلاثة اشهر من اقامتهم هناك لدليل  
 قاطع على صحة هذه القصة .

وهذه الحجج التى يسوقها القائل بصحة حديث الغرائق ، حجج واهية لاتقوم  
 امام التمحيص : امارجوع المسلمين فكان سببه اضطراب سياسى ، عم ارجاء الحبشة  
 على أثر ثورة جديدة قامت فيها .

اما الاحتجاج بالايات فاحتجاج مقلوب ، لان الاية الاولى لاتشى بسوق

الامر : «ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم» .

فالاية تقول : ان الله ثبته فلم يفعل . واما آية التمني فلاصلة لها بحديث الغرائيق ، وقد تقدم شأنها .

ودليل آخر اقوى واقطع : سياق السورة وعدم احتمالها لمسألة الغرائيق ، فانها ذم صريح ، ولهجة تقريع لاينسجم وادراج هكذا جملة ، الامر الذى لايكاد يخفى على العرب آنذاك .

وايضاً فان وصف آلهة قريش بالغرائيق لم يأت فى نظمهم هم ولافى خطبهم ولاشىء من معنى الغرنوق بلائم معنى الالهة التى وصفها العرب - كما قاله الشيخ محمد عبده .

وبقيت حجة قاطعة نسوقها للدلالة على استحالة قصة الغرائيق هذه ، من حياة محمد نفسه ، فهو منذ طفولته وصباه وشبابه لم يجرب عليه الكذب قط ، حتى سمي الامين . وكان صدقه امراً مسلماً به من الناس جميعاً ، فكيف يصدق انسان انه يقول على ربه ما لم يقل ، ويخشى الناس والله احق ان يخشاه ! هذا امر مستحيل ، يدرك استحالته الذين درسوا هذه النفوس القوية الممتازة التى تعرف الصلابة فى الحق ولا تداجى فيه لاي اعتبار» (١) .



## ٢- نزول القرآن

- \* بدء نزول الوحي .
- \* بدء نزول القرآن .
- \* فترة ثلاث سنوات .
- \* آراء وتأويلات .
- \* اول ما نزل من القرآن .
- \* آخر ما نزل من القرآن .
- \* التعريف بالمكي والمدني .
- \* ترتيب النزول .
- \* سور مختلف فيها .
- \* آيات مستثنيات .

## بدء نزول الوحي «البعثة» :

قال الشيخ الجليل الثقة على بن ابراهيم القمي : ان النبي ﷺ لما أتى له سبع وثلاثون سنة ، كان يرى في منامه كأن آتياً يأتيه فيقول : يا رسول الله اومضت عليه برهة من الزمان وهو على ذلك يكتبه ، واذا هو في بعض الايام يرعى غنماً لابي طالب في شعب الجبال ، اذ رأى شخصاً يقول له : يا رسول الله ! فقال له : من أنت ؟ قال : انا جبرئيل ، ارسلني الله اليك ليتخذك رسولا ، فجعل يعلمه الوضوء والصلاة . وذلك عند ماتم له اربعون سنة . فدخل على ﷺ وهو يصلي . قال : يا ابا القاسم ما هذا ؟ قال : هذه الصلاة التي امرني الله بها . فجعل يصلي معه . وكانت خديجة ثالثتهما . فكان على - ع - يصلي الى جناح رسول الله الايمن ، وخديجة خلفه ، فأمر ابوطالب ابنه جعفرأ ان يصلي الى جناح رسول الله الايسر . وكان زيد بن حارثة عتيق رسول الله (١) - قد اسلم عند مانبىء رسول الله ﷺ ، فكان يصلي معهم ايضاً . وبهذا الجمع انعقدت نطفة الاسلام (٢) .

١- قيل : اشتراه رسول الله -ص- لخديجة ، فلما تزوجها وهبته له ، فاعتقه رسول الله -ص- . وقيل : استوهبته خديجة من ابن اخيها حكيم بن حزام بن خويلد ، عند ما قدم مكة برقيق فيهم زيد وصيف اي غلام لم يراهق . فقال لها : يا عمة ! اختارى اى هؤلاء الغلمان شئت : فاخترت زيدا ، ثم وهبته لرسول الله -ص- فاعتقه رسول الله وتبناه .

٢- بحار الانوار ج ١٨ ص ١٨٢ و ص ١٩٤

وفى تفسير الامام : كان رسول الله ﷺ يغدو كل يوم الى حراء ، وينظر الى آثار رحمة الله ، متعمقاً في ملكوت السماوات والارض ، ويعبد الله حق عبادته ، حتى استكمل سن الاربعين ، ووجد الله قلبه الكريم افضل القلوب وأجلها واطوعها وأخشعها . فأذن لابواب السماء ففتحت ، وأذن للملائكة فنزلوا ، ومحمد ﷺ ينظر الى ذلك ، فنزلت عليه الرحمة من لدن ساق العرش ، ونظر الى الروح الامين جبرائيل مطوقاً بالنور ، هبط اليه وأخذ بضبعه وهزه ، فقال : يا محمد ! اقرأ . قال : وما اقرأ ؟ قال : يا محمد ! اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم .

ثم أوحى اليه ما أوحى . وصعد جبرائيل الى ربه ، ونزل محمد ﷺ من الجبل وقد غشيه من عظمة الله وجلال ابهته مار كبه الحمى النافضة (١) وقد اشتد عليه ما كان يخافه من تكذيب قريش ونسبته الى الجنون ، وقد كان أعقل خلق الله واكرم بريته . وكان ابغض الاشياء اليه الشيطان وافعال المجانين ، فاراد الله ان يشجع قلبه ويشرح صدره ، فجعل كلما يمر بحجر وشجر ناداه : السلام عليك يا رسول الله . (٢) .

#### ١- وهى الشديدة .

٢ - تفسير الامام ص وهو منسوب الى الامام الحادي عشر : الحسن بن على العسكري - عليهما السلام - وقد طعن بعض المحققين فى نسبته الى الامام - ع - لمافيه من مناكير . لكن لو كان المقصود انه من تأليف الامام بقلمه وانشائه الخاص ، فهذا شىء لا يمكن قبوله بتاتاً . واما اذا كانت النسبة بملاحظة ان الراوى كان يحضر مجلس الامام - ع - ويسأله عن اشياء مما يتعلق بتفسير آى القرآن ، ثم عندما يرجع الى داره يسجله حسب ما حفظه ووعاه ، وربما يزيد عليه اشياء اوبنقص ، وفق معلوماته الخاصة أيضاً . فهذا شىء لاسبيل الى انكاره ، ونحن نقول بذلك ، ومن ثم نعلم على كثير مما جاء فى هذا التفسير ، مما يوافق سائر الآثار الصحيحة .

وراجع - ايضاً - : بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٠٦ .



وفى شرح النهج : ان بعض اصحاب ابى جعفر محمد بن على الباقر - ع -  
سأله عن قول الله - عز وجل - : « الامن ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه  
ومن خلفه رسداً » (١) فقال : يوكل الله تعالى بانبيائه ملائكة يحصون اعمالهم ، ويؤدون  
اليه تبليغهم الرسالة ، ووكل بمحمد ﷺ ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده  
الى الخيرات ومكارم الاخلاق ، ويصدّه عن الشر ومساوئ الاخلاق ، وهو الذى كان  
يناديه : السلام عليك يا محمد يا رسول الله ، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد ، فيظن  
ان ذلك من الحجر والارض ، فيتأمل فلا يرى شيئاً (٢) .

وراجع : الخطبة القاصعة من كلام امير المؤمنين - ع - بهذا الشأن ، وقد نقلنا  
فيما سبق شطراً منها . وهى الخطبة رقم : ٢٣٨ فى شرح النهج لابن ابى الحديد .

وفى تاريخ الطبرى : كان رسول الله ﷺ من قبل ان يظهر له جبرئيل - ع -  
برسالة الله اليه ، يرى ويعاين آثاراً واسباباً من آثار من يريد الله اكرامه واختصاصه  
بفضله ، فكان من ذلك مامضى من خبره عن الملكين اللذين أتياه فشقا بطنه ( ٣ )  
واستخرجا مافيه من الغل والدنس ، وهو عند امه من الرضاعة حليلة . ومن ذلك انه  
كان اذا مر فى طريق لا يمر بشجر ولا حجر الا سلم عليه . وهكذا كان اذا خرج لحاجته  
ابعد حتى لا يرى بيتاً ، ويفضى الى الشعاب وبطون الاودية . فلا يمر بحجر ولا شجر  
الا قال : السلام عليك يا رسول الله ﷺ فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى  
أحدأ (٤) .

قال اليعقوبى : كان جبرائيل يظهر له ويكلمه اوربماناداه من السماء ومن الشجر  
ومن الجبل . ثم قال له : ان ربك يأمر ان تجتنب الرجس من الاوثان ، فكان اول

١- سورة الجن : ٢٧

٢- ابن ابى الحديد : شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٠٧

٣- لم يرد بهذا المعنى حديث من طريق اهل البيت - عليهم السلام -

٤- ابو جعفر الطبرى : التاريخ ج ٢ ص ٢٩٤ - ٢٩٥

امره . فكان رسول الله يأتي خديجة ابنة خويلد ويقول لها ماسمع وتكلم به ، فتقول له : استريا ابن عم ! فوالله انى لارجو ان يصنع الله بك خيراً (١) .

\* \* \*

وكان ﷺ يوم بعث قد استكمل الاربعين ، لعشرين مضي من ملك كسرى ابرويز بن هرمز بن انوشروان (٢) . قال اليعقوبى : كان مبعثه ﷺ في شهر ربيع الاول . وقيل : في رمضان . ومن شهور العجم : في شباط . قال : وأتاه جبرئيل ليلة السبت وليلة الاحد ، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين (٣) . قال ابن سعد : نزل الملك على رسول الله ﷺ بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان (٤) .

قال ابو جعفر الطبرى : وهذا - اى نزول الوحي عليه بالرسالة يوم الاثنين - مما لاختلاف فيه بين اهل العلم وانما اختلفوا في اى الاثنين كان ذلك ؟ فقال بعضهم : نزل القرآن على رسول الله ﷺ لثمانى عشرة خلت من رمضان . وقال آخرون : لاربع وعشرين خلت منه . وقال آخرون : لسبع عشرة خلت من شهر رمضان : واستشهدوا لذلك بقوله تعالى : « وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (٥) . وذلك ملتقى رسول الله ﷺ والمشركين ببدر ، وكان صبيحة سبع عشرة من رمضان (٦) .

لكن لادلالة فى الاية على ان مبعثه كان مصادفاً لذلك اليوم : اولاً - لان المقصود : ما انزل عليه ذلك اليوم من دلائل الحق وآيات النصر ، لالقرآن كله ولا مبدء نزوله .

١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٧ طبعة النجف الثانية .

٢- ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣١

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٧ - ١٨

٤- طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٢٩

٥- سورة الانفال . ٤١

٦- تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٩٢

وثانياً - سوف نذكر : ان مبدء نزول القرآن - بعنوان كونه كتاباً سماوياً - كان متأخراً عن يوم مبعثه بالرسالة ، فقد بعث ﷺ رسولا الى الناس في ٢٧ رجب ، وانزل عليه القرآن في شهر رمضان ليلة القدر ، وربما كان بعد فترة ثلاث سنين - كما يأتي . وثالثاً - معنى يوم الفرقان : اليوم الذى فرق فيه بين الحق والباطل ، وغلب الحق على الباطل فكان زهوقاً ، وكان يوماً حاسماً فى حياة المسلمين ، وقد أيس الشيطان فيه ان يعبد او يطاع الى الابد (١) .

قال المسعودى : اول ما نزل عليه ﷺ من القرآن : «اقرأ باسم ربك» . وأتاه جبرائيل فى ليلة السبت ثم فى ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة يوم الاثنين ، وذلك بحراء ، وهو اول موضع نزل فيه القرآن ، وخاطبه باول السورة الى قوله : «علم الانسان ما لم يعلم» ونزل تمامها بعد ذلك .

وكان ذلك بعد بنيان الكعبة بخمس سنين ، على رأس عشرين سنة من ملك كسرى ابرويز ، وعلى رأس مأتى سنة من يوم التحالف بالربذة (٢) . وكانت سنة ستمائة وتسع من تاريخ ميلاد المسيح - ع - (٣) .

\* \* \*

والصحيح عندنا فى تعيين يوم مبعثه ﷺ : أنه اليوم السابع والعشرون من شهر رجب الاصب ، على ماجاء فى روايات اهل البيت - عليهم السلام - ويستحب صيامه والقيام بأداب وعبادات تخصه ، تلتزم بها الشيعة الامامية ، كل عام تقديساً لهذا اليوم المبارك ، الذى انزلت الرحمة فيه على الناس جميعاً ، وافتتحت ابواب البركة العامة على اهل الارض ، اذ بعث النبى ﷺ رحمة للعالمين ، فياله من يوم مبارك !

١- راجع : تفسير شبر ص ١٩٥

٢- مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٢

٣- تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ج ١ ص ٢٣



قال الامام الصادق عليه السلام : «في اليوم السابع والعشرين من رجب نزلت النبوة على رسول الله صلى الله عليه وآله» ( ١ ) وقال : «لاتدع صيام يوم سبع وعشرين من رجب فانه اليوم الذي نزلت فيه النبوة على محمد صلى الله عليه وآله» (٢) .

وقال الامام الرضا - ع - : «بعث الله - عز وجل - محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين ، في سبع وعشرين من رجب ، فمن صام ذلك اليوم كتب الله له صيام ستين شهراً» (٣) .  
والروايات بهذا الشأن من طرق اهل البيت عليهم السلام كثيرة (٤) .

وهكذا وردت روايات من طرق اهل السنة ، بتعيين نفس اليوم :  
اورد الحافظ الهمداني في سيرته عن ابي هريرة ، قال : « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى له صيام ستين شهراً ، وهو اليوم الذي نزل فيه جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله بالرسالة واول يوم هبط فيه جبرئيل» (٥) .

وروى البيهقي في شعب الايمان ، عن سلمان الفارسي ، قال : «في رجب يوم وليلة ، من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان كمن صام مائة سنة وقام مائة سنة ، وهو لثلاث بقين من رجب ، وفيه بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله» (٦) .  
وروى صاحب المناقب عن ابن عباس ، وانس بن مالك : أنهما قالا : «اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، السابع والعشرين من رجب ، وله من العمر اربعون سنة» (٧) .

٢٤ - راجع : وسائل رتبة طاعة ، ابي جعفر عليه السلام ، كتاب المناقب ، ج ١ ، ص ٧٢ : بيح  
٢٥ - راجع : مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ، ج ١ ، ص ١٨٩ : مناقب علي : مناقب علي  
٢٦ - راجع : مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ، ج ١ ، ص ١٨٩ : مناقب علي : مناقب علي  
٢٧ - الكافي ج ٤ ص ١٤٩ : مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ، ج ١ ، ص ١٨٩ : مناقب علي : مناقب علي  
٢٨ - راجع : وسائل الشريعة ، للشيخ الحر العاملي ، كتاب الصوم ، ابواب الصوم

المنذوب ، الباب : ١٥

٥- السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٣٨

٦- منتخب كنز العمال ، بهامش المسند ج ٣ ص ٣٦٢

٧- المناقب : ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٥٠ . والبحار ج ١٨ ص ٢٠٤

٨- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ، ج ١ ، ص ١٨٩ : مناقب علي : مناقب علي

قال العلامة المجلسي - قدس سره - : اختلفوا في اليوم الذي بعث فيه النبي محمد ﷺ على خمسة اقوال :

الاول : سابع عشر شهر رمضان .

الثاني : ثامن عشر شهر رمضان .

الثالث : اربع وعشرون شهر رمضان .

الرابع : ثاني عشر ربيع الاول .

الخامس : سابع وعشرون شهر رجب .

قال : وعلى الاخير اتفاق الامامية (١) .

اقول : وهناك قول سادس : ثامن ربيع الاول . وقول سابع : ثالث ربيع

الاول . ذكرهما ابن برهان الحلبي في سيرته . ثم ذكر القول بانه الثاني عشر من

ربيع الاول ، يوم مولده الشريف ، ليوافق القول بانه بعث على رأس تمام الاربعين (٢) .

وسنذكر : ان اكثرية القائلين ببعثته - ص - في شهر رمضان ، لعله قد اشتبه

عليهم مبدأ حادث النبوة بمبدأ حادث نزول القرآن كتاباً فيه تبيان كل شيء . وهذا

الاشتباه يبدو من استدلالهم على تعيين يوم البعثة بمادل على أن القرآن نزل في ليلة

القدر من شهر رمضان . وستحقق : أن لاصلة بين الحادثين ، فقد بعث - ص - في

رجب : ٢٧ . ولكن القرآن بسمته كتاباً مفصلاً ، بدأ نزوله على النبي - ص - في

شهر رمضان : ليلة القدر . بعد ثلاث سنين من نبوته ﷺ فكانت مدة نبوته ﷺ ثلاثاً

وعشرين سنة . ولكن فترة نزول القرآن مفراً استغرقت عشرين عاماً ، بدأت بدخول

السنة الرابعة من البعثة ، وختمت في عاشر الهجرة بوفاته ﷺ .

١- بحار الانوار ج ١٨ ص ١٩٠

٢- السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٣٨

## بدء نزول القرآن :

لاشك أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك ، لقوله تعالى : «شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن» (١) . وقوله : «انا انزلناه في ليلة مباركة» (٢) . وقوله : «انا انزلناه في ليلة القدر» (٣) .  
وليلة القدر - عندنا - مرددة بين ليلتين في العشر الاخير من شهر رمضان المبارك : احدى وعشرين ام ثالثة وعشرين ؟ والارجح انها الثانية ، لحديث الجهني (٤) . وقال الصدوق - رحمه الله - : اتفق مشايخنا على انها ليلة ثلاث وعشرين (٥) .  
والكلام في تعيين ليلة القدر ليس من مبحثنا الان ، وانما يهمننا التعرض لجوانب من هذا التحديد ، اى نزول القرآن في ليلة واحدة - هي ليلة القدر - من شهر رمضان : اولاً : منافاته - ظاهراً - مع ما اسلفناه من اتفاق الامامية وعدد من احاديث غيرهم ،

---

١- سورة البقرة : ١٨٥

٢- سورة الدخان : ٣

٣- سورة القدر : ١

٤- راجع : وسائل الشيعة ج ٧ ص ٢٦٢ الحديث : ١٦ باب ٣٢ من ابواب احكام

شهر رمضان .

٥- الخصال ج ٢ ص ١٠٢



على ان البعثة كانت في رجب ، ولاشك ان البعثة كانت مقرونة بنزول آى من القرآن :  
خمس آيات من اول سورة العلق . فكيف يتم ذلك مع القول بنزول القرآن - كله  
او بدء نزوله - في شهر رمضان في ليلة القدر ؟

ثانياً : ماذا يكون المقصود من نزول القرآن في ليلة واحدة هي ليلة القدر ؟ هل  
نزل القرآن كله جملة واحدة تلك الليلة ؟ مع العلم ان القرآن نزل نجوماً لفترة عشرين  
او ثلاث وعشرين عاماً ، حسب المناسبات والظروف المختلفة ، ودعيت باسم «اسباب  
النزول» ، فكيف ذلك ؟

ثالثاً : ماهى اول آية اوسورة نزلت من القرآن ، فان كانت هي سورة العلق  
او آى منها ، فلم سميت سورة الحمد بفاتحة الكتاب ؟ اذ ليس المعنى : انها كتبت في  
بدء المصحف ! لان هذا الترتيب شىء حصل بعد وفاة النبي ﷺ اول اقل في عهد  
متأخر من حياته - فرضاً - في حين انها كانت تسمى بفاتحة الكتاب منذ بداية نزولها :  
«لا صلاة الا بفاتحة الكتاب» (١) حديث مأثور عن لسان النبي ﷺ

(٢) وللاجابة على هذه الاسئلة الثلاث - بصورة اجمالية - نقول : ان بدء البعثة  
يختلف عن بدء نزول القرآن ككتاب سماوى . لانه ﷺ نبيء ولم يؤمر بالتبليغ  
العام الا بعد ثلاث سنوات ، كان خلالها يدعوا في اختفاء حتى نزلت الاية : «فاصدع  
بما تؤمر واعرض عن المشركين» (٣) ، وامن هذا الحين اجعل القرآن ينزل تبعاً ،  
بسمه كونه كتابا انزل من السماء وكان يسجل على العسيب واللخاف ، يكتبه من كان  
يعرف الكتابة من المؤمنين ، وهم عدد قليل ، خلال عشرين عاماً .

وقد كان بدء نزول القرآن - بعد تلك الفترة - في ليلة القدر من شهر رمضان .  
وبهذا الاعتبار صح التعبير بأن القرآن نزل في ليلة القدر ، وان كان نزوله تبعاً  
استغرق عشرين عاماً . اذ كل حدث خطير تكون له مدة وامتداد ، فان تاريخه يسجل حسب

١- صحيح مسلم ج ٢ ص ٩ ، منتخب كنز العمال بهامش المسند ج ٣ ص ١٨٠

٢- سورة الحجر : ٩٢

مبدء شروعه ، كما سنفصل الكلام عنه .

اما اول آية نزلت فهي الايات الخمس من اول سورة العلق ، ونزلت بقيتها في فترة متأخرة . غير ان اول سورة كاملة نزلت من القرآن هي سورة الحمد ، ومن ثم سميت بفاتحة الكتاب .

هذا اجمال الكلام حول هذه المواضيع الثلاث ، وأما التفصيل فهو كما يلي :

## فترة ثلاث سنوات :

ولنفرض ان البعثة كانت في رجب ، حسب رواية اهل البيت وليفي من غيرهم ، لكن القرآن - بسمه كونه كتابا سماوياً ودستوراً الهياً خالداً - لم ينزل عليه الا بعد فترة ثلاث سنين . كان النبي ﷺ خلالها يكتفم امره من ملا الناس ، ويدعو الى الله سراً ، ومن ثم لم يكن المشركون يتعرضون اذاه ، سوى طعنات لسنية ، حيث لا يرون من شأنه ما يخشى على دينهم .

وكان يصلى اذ ذلك مع رسول الله ﷺ اربعة : على وجعفر وزيد وخديجة .

وكلما مربهم ملا من قريش سخروا منهم .

قال علي بن ابراهيم القمي : فلما أتى لذلك ثلاث سنين ، انزل الله عليه : «فاصدع بما تؤمر ، واعرض عن المشركين ، انا كفيناك المستهزئين» (١) . قال : وكان ذلك بعد ان نبيء بثلاث سنين (٢) .

وقال اليعقوبي : وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين يكتفم أمره (٣) .

وقال محمد بن اسحاق : وبعد ثلاث سنين من مبعثه نزل «فاصدع بما تؤمر» ،

---

١- سورة الحجر : ٩٢ - ٩٦ .

٢- تفسير القمي : ص ٣٥٣ وبحار الانوار ج ١٨ ص ٥٣ و ص ١٧٩

٣- تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩

فأمر أن يجهر بالدعوة ويعم الانذار (١) .

قال الامام الصادق - ع - : «مكث رسول الله - ص - بمكة بعدما جاءه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشرة سنة ، منها ثلاث سنين مختفياً خائفاً لا يظهر امره ، حتى امره الله أن يصدع بما أمر به ، فظهر حينئذ الدعوة (٢) .

وهذه الروايات ، اذا احظناها مع روايات قائلة : ان فترة نزول القرآن على النبي ﷺ استغرقت عشرين عاماً ، تعطينا : ان مبدء نزول القرآن كان متأخراً عن البعثة بثلاث سنوات ، اذ لا شك ان القرآن كان ينزل عليه - ص - حتى عام وفاته - ص - وبذلك يلتئم القول بان بدء نزول القرآن كان في شهر رمضان ، ليلة القدر - كما نص عليه القرآن الكريم . قال الامام الصادق - ع - : «ثم نزل القرآن في طول عشرين عاماً» - كما جاء في رواية الكليني (٣) والعياشي (٤) و اشار اليه الصدوق (٥) والمجلسي (٦) . والنص على تحديد فترة نزول القرآن بعشرين عاماً كثير (٧) .

والى هذا المعنى تشير الرواية عن سعيد بن المسيب ، قال : انزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث واربعين (٨) اى انزل عليه القرآن عند ذلك . اذ لا شك أن النبوة نزلت

---

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٠ . والمناقب : ابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٠ . والبحار

ج ١٨ ص ١٩٤

٢- الغيبة : الشيخ الطوسي ص ٢١٧ و كمال الدين للصدوق والبحار ج ١٨ ص ١٧٧

٣- الكافي - الاصول - ج ٢ ص ٦٢٩

٤- تفسير العياشي ج ١ ص ٨٠

٥- الاعتقادات ص ١٠١

٦- بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٥٣ و ص ٢٥٠

٧- راجع : الاتقان ج ١ ص ٤٠ . وتفسير شبر ص ٣٥٠ عند تفسير آية : ٣٢ من

سورة الفرقان .

٨- مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٦١٠



عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند اكتمال الاربعين ، وهذا اجماع الامة ، وعليه اتفاق كلمتهم ، فكيف يخفى على مثل سعيد !؟

واوضح من ذلك مارواه الامام احمد بسند متصل الى عامر الشعبي : ان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة ، فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن . فلما مضت ثلاث سنين ، قرن بنبوته جبرئيل ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشراً بمكة وعشراً بالمدينة ، فمات - ص - وهو ابن ثلاث وستين سنة . قال ابن كثير : وهو اسناد صحيح الى الشعبي (١) .

وهذه الرواية وان كانت فيها اشياء لانعرفها ، ولعلها من اجتهاد الشعبي الخاص ، لكن الذى نريده من هذه الرواية هو جانب تحديد نزول القرآن فى مدة عشرين عاماً ، وان نزوله تأخر عن البعثة بثلاث سنين ، وهذا شىء متفق عليه .

## آراء وتأويلات :

وأما تأويل نزول القرآن فى ليلة القدر من شهر رمضان ، مع العلم ان القرآن نزل منجماً طول عشرين او ثلاث وعشرين عاماً ، فى فترات ومناسبات خاصة ، تدعى باسباب النزول ، فللعلماء فى ذلك آراء وتأويلات :

١- ان بدء نزوله كان فى ليلة القدر من شهر رمضان .

وهذا اختيار محمد بن اسحاق (٢) والشعبي (٣) ، قال الامام الرازى : وذلك لان مبادئ الملل والدول هى التى تؤرخ بها . لكونها اشرف الاوقات . ولانها ايضاً

---

١- البداية والنهاية : ابن كثير ج ٣ ص ٤ والاتقان ج ١ ص ٤٥ والطبقات ج ١ ص ١٢٧

واليعقوبى ج ٢ ص ١٨

٢- مجمع البيان ج ٢ ص ٢٧٤

٣- الاتقان ج ١ ص ٢٠

اوقات مضبوطة معلومة (١) . وهكذا فسر الزمخشري الآية بذلك ، قال : «ابتدى فيه انزاله» (٢) .

وهو الذى نرتأيه ، نظراً لأن كل حادث خطير ، اذا كانت له مدة وامتداد زمنى ، فان بدء شروعه هو الذى يسجل تاريخياً كما اذا سئل عن تاريخ دولة او مؤسسة او تشكيل حزبي ، او اذا سئل عن تاريخ دراسة طالب علم او تلبسه الخاص وامثال ذلك ، فان الجواب هو تعيين مبدء الشروع والتأسيس لا غير .

وايضاً : فان قوله تعالى : «انزل فيه القرآن» والايات الاخر ، حكاية عن أمر سابق لا يشمل نفس هذا الكلام الحاكى والالكان اللفظ بصيغة المضارع او الوصف . فنفس هذا الكلام دليل على ان من القرآن ما نزل متأخراً عن ليلة القدر ، اللهم الا يضرب من التأويل غير المستند ، على ماسياتى .

كما أن اختلاف مناسبات الايات ، حسب الظروف والدواعى ، اكبر دليل على اختلاف مواقع نزولها ، اذ يربط ذلك كل آية بحادثة فى قيد وقتها ، وهذا فى كل آية نزلت بشأن حدث او واقعة وقعت فى وقتها الخاص ، وجاءت آية تعالجها فى نفس الوقت . كل ذلك دليل على ان القرآن لم ينزل جملة واحدة . والالما كان موقع لقولة المشركين : «لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة» قال تعالى -رداً على هذا الاعتراض- : « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً » (٣) . اى كان نزول القرآن تبعاً وفى فترات مناسبة ادمع لاطمئنان قلبك ، حيث الشعور بعناية الله المتواصلة فى كل آونة ومناسبة (٤) .

---

١- التفسير الكبير ج ٥ ص ٨٥

٢- الكشاف ج ١ ص ٢٢٧

٣- سورة الفرقان : ٣٢

٤- راجع : الاتقان ج ١ ص ٢١

وذهب الى هذا الرأى - ايضاً - ابن شهر آشوب فى المناقب ، قال : شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ، اى ابتدأ نزوله (١). وقال فى متشابهات القرآن : والصحيح ان « القرآن » فى هذا الموضع لا يفيد العموم ، وانما يفيد الجنس : فأى شىء نزل فيه فقد طبق الظاهر .

ويبدو من الشيخ المفيد - قدس سره - من آخر كلامه ردأعلى ابى جعفر الصدوق - عليه الرحمة - فيما يأتى : اختيار هذا القول ايضاً ، قال : وقد يجوز فى الخبر الوارد بنزول القرآن جملة فى ليلة القدر ، أنه نزلت جملة منه ليلة القدر ، ثم تلاه ما نزل منه الى وفاة النبي ﷺ . فأما ان يكون نزل بأسره وجميعه فى ليلة القدر ، فهو بعيد عما يقتضيه ظاهر القرآن ، والمتواتر من الاخبار ، واجماع العلماء على اختلافهم فى الاراء (٢) .

\* \* \*

٢- كان ينزل على النبي ﷺ فى كل ليلة قدر من كل عام ، ما كان يحتاج اليه الناس فى تلك السنة من القرآن ، ثم ينزله جبرائيل حسب مواقع الحاجة شيئاً فشيئاً بما يأمره الله تعالى . فيكون المقصود من شهر رمضان : هو النوع . لا رمضان خاص - وهو احتمال الامام الرازى ايضاً (٣) - .

وهذا اختيار ابن جريح (٤) والسدى ، واسنده الاخير الى ابن عباس ايضاً (٥) . ونقله القرطبى عن مقاتل بن حيان . ووافقه الحلیمى والماوردى وغيرهما (٦) .

١- مناقب آل ابى طالب ج ١ ص ١٥٠

٢- شرح عقائد الصدوق ص ٥٨

٣- التفسير الكبير ج ٥ ص ٨٥

٤- الدر المشور ج ١ ص ١٨٩

٥- مجمع انبيان ج ٢ ص ٢٧٦

٦- الاتقان ج ١ ص ٢٠



غير ان هذا الاختيار ، يخالفه ظاهر قوله تعالى : « انزل فيه » او « انزلناه »  
حكاية عن حدث سابق ، فلوصح هذا القول لكان المناسب ان يقول : ننزله ، صفة  
للحال !

وايضاً يردده ما استبعدناه على الرأى الخامس الاتى : ماهى الفائدة المتوخاة  
من نزول قرآن قبل الحاجة اليه ، ولاسيما فى صيغة جملة الماضى او الحال ، المستدعية  
كونها نزلت لمناسبة وقتية ، لاموقع لنزولها قبل ذلك ، حسب التعبير اللفظى !

\* \* \*

٣- شهر رمضان الذى نزل فى شأنه القرآن ، اى فى فرض صيامه ، كما يقال:  
نزل فى فلان ، او فى مناسبة كذا قرآن . والمراد من القرآن آية او آيات منه (١) .  
قال الضحاك : شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ، اى الذى انزل صومه  
فى القرآن (٢) . وقال سفيان بن عيينة : معناه : انزل فى فضله القرآن . واختاره الحسين  
ابن الفضل وابن الانبارى (٣) .

لكن هذا الوجه يخص آية البقرة ، ولايجرى فى آيتى الدخان والقدر ، كما  
لايخفى . فضلا عن انه تأويل فى اللفظ لامبرر له ولا مستند .

\* \* \*

٤- ان معظمه نزل فى اشهر رمضان ، ومن ثم صحت نسبة الجميع اليه .  
وهذا احتمال ثان احتملهما سيد قطب ، قال : الشهر الذى انزل فيه القرآن  
اما بمعنى ان بدء نزوله كان فى رمضان ، او أن معظمه نزل فى اشهر رمضان (٤) .  
لكن لادليل على ان معظم آيات القرآن نزلت فى اشهر رمضان وفى ليلة القدر

١- مجمع البيان ج ١ ص ٢٧٦ . الكشاف ج ١ ص ٢٢٧

٢- الدر المنثور ج ١ ص ١٩٠

٣- التفسير الكبير : الرازى ج ٥ ص ٨٠

٤- فى ظلال القرآن ج ٢ ص ٧٩

بالخصوص . ولعل الواقعية تأبى هذا الاحتمال رأساً .

\* \* \*

٥- القرآن نزل جملة واحدة في ليلة واحدة ، هي ليلة القدر : الى بيت العزة او البيت المعمور ، ثم نزل على رسول الله ﷺ في فترات ومناسبات ، طول عشرين او ثلاث وعشرين عاماً .

ذهب الى هذا القول جماعة من ارباب الحديث ، نظراً لظاهر احاديث رويت في ذلك :

قال الشيخ الصدوق - عليه الرحمة - نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر ، جملة واحدة الى البيت المعمور ، في السماء الرابعة ، ثم نزل من البيت المعمور في مدة عشرين سنة . وان الله أعطى نبيه العلم جملة واحدة ، ثم قال له : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه » (١) .

قال العلامة المجلسي - تعقيباً على هذا الكلام - : قد دلت الايات على نزول القرآن في ليلة القدر . والظاهر نزوله جميعاً فيها . ودلت الاثار والايثار على نزول القرآن في عشرين (٢) او ثلاث وعشرين سنة (٣) . وورد في بعض الروايات : أن القرآن نزل في اول ليلة من شهر رمضان (٤) . ودل بعضها على ان ابتداء نزوله في المبعث (٥) . فيجمع بينها بأن في ليلة القدر نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الرابعة ( البيت المعمور ) لينزل من السماء الرابعة الى الارض تدريجاً .

---

١- الاعتقادات ص ١٠١

٢- اصول الكافي - كتاب فضل القرآن - ج ٢ ص ٢٢٩

٣- هي مدة نبوته -ص- بناء على ابتداء نزول القرآن بيوم مبعثه واختتامه بوفاة -ص- .

٤- فروع الكافي - كتاب الصيام - باب فضل شهر رمضان ج ٤ ص ٦٦ .

٥- وهي روايات دلت على ان اول سورة نزلت هي سورة العلق ، نزلت في بدء البعثة

في اليوم ٢٧ رجب . راجع : بحار الانوار ج ٩٢ ص ٣٩ وج ١٨ ص ٢٠٦

ونزل في اول ليلة من شهر رمضان جملة القرآن على النبي ﷺ ليعلمه هو ، ولا يتلوه على الناس . ثم ابتداء نزوله آية آية وسورة سورة في المبعث او غيره ليتلوه على الناس .» (١) .

واخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس : قال : انزل القرآن ليلة القدر جملة واحدة الى السماء الدنيا ، ووضع في بيت العزة ، ثم انزل نجوماً على النبي - ص - في عشرين سنة .

قال جلال الدين : وهذا هو اصح الاقوال واشهرها . وروى في ذلك روايات كثيرة ، حكم على اكثرها بالصحة ، رواها عن الحاكم والطبراني والبيهقي والنسائي وغيرهم (٢) .

وروى الطبري بسنده عن وائلة بن الاسقع عن النبي ﷺ : قال : «انزلت صحف ابراهيم اول ليلة من شهر رمضان . وانزلت التوراة لست مضين من رمضان . وانزل الانجيل لثلاث عشرة خلت . وانزل القرآن لاربع وعشرين من رمضان» (٣) .

وفيه عن السدي عن ابن عباس ، قال : شهر رمضان ، والليلة المباركة ليلة القدر ، فان ليلة القدر هي الليلة المباركة ، وهي في رمضان ، نزل القرآن جملة واحدة من الزبر الى البيت المعمور ، وهي مواقع النجوم في السماء الدنيا ، حيث وقع القرآن ، ثم نزل على محمد صلى الله عليه وآله بعد ذلك في الامر والنهي وفي الحروب رسلا رسلا» (٤) .

وكان عطية بن الاسود قد وقع في نفسه الشك من هذه الآية ، وقد نزل القرآن

١- بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٥٣ - ٢٥٤

٢- الاتقان ج ١ ص ٣٩ - ٤٠

٣- تفسير الطبري ج ٢ ص ٨٢

٤- » » » ص ٨٥



في جميع شهور السنة ، فسأل ابن عباس عن ذلك ، فأجابه بما تقدم (١) .  
وهكذا روى جلال الدين بسنده الى جابر بن عبد الله الأنصاري - رضوان الله  
عليه - قال : انزل الله صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان ، وانزل التوراة على موسى  
لست خلون من رمضان ، وانزل الزبور على داود لاثنتي عشرة خلت من رمضان ،  
وانزل الانجيل على عيسى لثمان عشرة خلت من رمضان ، وانزل الفرقان على محمد ﷺ  
لاربع وعشرين خلت من رمضان (٢) .

ومن طرقنا روى العياشي عن ابراهيم ، أنه سأل الامام الصادق عليه السلام عن قوله  
تعالى : «شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن» كيف انزل فيه القرآن ، وانما انزل  
القرآن في طول عشرين سنة ، من اوله الى آخره ؟ فقال الامام - ع - : «نزل القرآن  
جملة واحدة في شهر رمضان الى البيت المعمور ، ثم انزل من البيت المعمور في  
طول عشرين سنة . ثم قال : قال النبي ﷺ : نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة  
من شهر رمضان . وانزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان . وانزلت الانجيل  
لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وانزل الزبور لثمانى عشرة من رمضان .  
وانزل القرآن لاربع وعشرين من رمضان» (٣) .

وجاء الحديث في الكافي ، الأأن في آخره : «وانزل القرآن في ثلاث وعشرين  
من شهر رمضان» والرواية هي عن الحفص بن غياث (٤) .

وفي التهذيب جاء قسم من الحديث برواية ابي بصير ، وفي آخره : « وانزل  
الفرقان في ليلة القدر» (٥) .

١- الدر المنثور ج ١ ص ١٨٩

٢- نفس المصدر

٣- تفسير العياشي ج ١ ص ٨٠

٤- أصول الكافي ج ٢ ص ٦٢٩

٥- تهذيب الاحكام ج ٤ ص ١٩٤

\* \* \*

هذه جملة من روايات مأثورة، تفسر نزول القرآن جملة واحدة في ليلة واحدة،  
اما الى البيت المعمور في السماء الرابعة ، كما في روايات الخاصة . او الى بيت  
العزة في السماء الدنيا ، كما في بعض روايات العامة ، ثم منها نزلت آياته مفرقة على  
رسول الله ﷺ حسب الظروف والمناسبات رسلا رسلا ...

وقد اخذ الظاهريون من اصحاب الحديث بظاهر هذه الروايات ، مستريحين  
بانفسهم الى مدلولها الظاهري تعبداً محضاً .

اما المحققون من العلماء فلم يرقهم الاخذ بما لا يمكن تعقله ، ولا مقتضى للتعبد  
بما لا يرجع الى اصول العباديات ، ومن ثم اخذوا ينقدون هذه الاحاديث نقداً علمياً .  
متسائلين : ماهي الفائدة الملحوظة من وراء نزول القرآن جملة واحدة في احدى  
السموات العلى ، ثم ينزل تدريجياً على رسول الله ﷺ ؟!

\* \* \*

واجابة على هذا السؤال ، قال الفخر الرازى : ويحتمل ان يكون ذلك تسهيلاً  
على جبرئيل او لمصلحة النبي ﷺ في توقع الوحي من اقرب الجهات (١) .  
وهذا الجواب غاية في الوهن والسقوط ، مضافاً الى أنه تخرص بالغيب ،  
ونستغرب صدور مثل هذا الكلام الفارغ من مثل هذا الرجل المضطلع بالتحقيق !  
وقال المولى الفيض الكاشانى : وكأنه اريد بذلك : نزول معناه على قلب  
النبي ﷺ ، كما قال تعالى : « نزل به الروح الامين على قلبك » . ثم نزل طول  
عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه الى ظاهر لسانه ، كلما أتاه جبرائيل ﷺ بالوحي  
وقرأه عليه بالفاظه (٢) .

فقد أول - رحمه الله - البيت المعمور الى قلب رسول الله ﷺ . وربما اراد

١- تفسير الرازى ج ٥ ص ٨٥

٢- الصافى ج ١ ص ٢٢ المقدمة التاسعة .

الصدوق - رحمه الله - ايضاً هذا المعنى من قوله : واعطى نبيه العلم جملة واحدة .  
وهكذا وقع اختيار الشيخ ابي عبد الله الزنجاني في تأويل هذه الرواية ، قال : ويمكن  
ان نقول بان روح القرآن وهي اغراضه الكلية التي يرمى اليها ، تجلت لقلبه الشريف  
في تلك الليلة «نزل به الروح الامين على قلبك» ثم ظهرت بلسانه الاطهر مفرقة في  
طول سنين « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » .. (١) .  
وقد أخذ العلامة الطباطبائي - دام ظله - هذا التأويل وزاد عليه تحقيقاً ، قال :  
ان الكتاب ذاق حقيقة اخرى وراء مانفهمه بالفهم العادي ، وهي حقيقة ذات وحدة  
متماسكة لا تقبل تفصيلاً ولا تجزئة ، لرجوعها الى معنى واحد لا اجزاء فيه ولا فصول .  
وانما هذا التفصيل المشاهد في الكتاب طرأ عليه بعد ذلك الاحكام ، قال تعالى : « كتاب  
احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (٢) . وقال تعالى : « انه لقرآن كريم  
في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون » (٣) وقال : « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على  
علم » (٤) ... اذن فالمراد بانزال القرآن في ليلة القدر : انزال حقيقة الكتاب المتوحدة  
الى قلب رسول الله ﷺ دفعة ، كما انزل القرآن المفصل في فواصل وظروف ،  
على قلبه ﷺ ايضاً تدريجاً في مدة الدعوة النبوية ... » (٥) .  
اقول : سامح الله التأويل ، ما سهله طريقاً الى التخلص عن مآزق البحوث  
النظرية ؟ ونحن اذ لانرى مبرراً لهكذا تأويلات غير مستندة الى دليل ، ننسائل هؤلاء  
الاعلام : بم اولتم البيت المعمور الذي هو في السماء الرابعة - حسب روايات

١- تاريخ القرآن ص ١٠

٢- سورة هود : ٢

٣- سورة الواقعة : ٨٠

٤- سورة الاعراف : ٥٢

٥- الميزان ج ٢ ص ١٥ - ١٦



الخاصة - اوبيت العزة - حسب روايات العامة - الى قلب رسول الله ﷺ ! ولم هذا التعبير جاء في هذا اللفظ؟! وسوف نناقش السيد العلامة في اختيار وجود آخر للقرآن بسيط ، وراء هذا الوجود المفصل ، اخذه عن احمد بن عبد الحليم وحققه تحقيقاً دقيقاً ، ولكننا رفضناه رأساً ، وسيأتى ذلك في فصل قادم انشاء الله .

## تحقيق مفيد :

قال المحقق العلامة الشيخ ابو عبد الله المفيد : «الذى ذهب اليه ابو جعفر (١) - رحمه الله - في هذا الباب ، اصله حديث واحد - اى ليس من المتواتر المقطوع به - لا يوجب علماً ولا عملاً . ونزول القرآن على الاسباب الحادثة حالاً فحالا يدل على خلاف ما تضمنه هذا الحديث . وذلك أن القرآن قد تضمن حكم ما حدث وذكر ما جرى على وجهه ، وذلك لا يكون على الحقيقة الا لوقت حدوثه عند السبب ...

مثلاً قوله تعالى : «قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما» (٢) ، نزلت هذه الاية بشأن خولة بنت خويلد جاءت تشتكى زوجها اوس بن الصامت الذى كان قد ظاهاها ، وكان ذلك طلاقاً فى الجاهلية (٣) . وقوله تعالى : « واذا رآوا تجارة اولهوا انفضوا اليها وتركوك قائماً» (٤) . وقوله : «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» (٥) .

- 
- ١- نقلنا كلامه سابقاً . وكلام المفيد هنا يد عليه ، وعلى كل من ذهب مذهبه من اختيار ظاهر تلكم الاحاديث .
  - ٢- سورة المجادلة : ١
  - ٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٤٦
  - ٤- سورة الجمعة : ١١
  - ٥- سورة الاحزاب : ٢٣

وكثير في القرآن لفظة «قالوا» و«قال» و«جاؤوا» و«جاء» - بلفظ الماضي - كما ان فيه ناسخاً ومنسوخاً . . . كل ذلك لا يتناسب ونزوله جملة واحدة في وقت لم يحدث شىء من ذلك .

قال - رحمه الله - : ولو تتبعنا قصص القرآن ، لجاء مما ذكرناه كثيراً يتسع به المقال . وما شبه ما جاء به هذا الحديث بمذهب المشبهة الذين زعموا ان الله سبحانه لم يزل متكلماً بالقرآن - اى القول بقديم القرآن - ومخبراً عما سيكون بلفظ كان ، وقدر عليهم اهل التوحيد بنحو ما ذكرناه .

قال : وقد يجوز فى الخبر الوارد بنزول القرآن جملة فى ليلة القدر : أنه نزلت جملة منه ليلة القدر ، ثم تلاه ما نزل منه الى وفاة النبي ﷺ فأما ان يكون نزل بأسره وجميعه فى ليلة القدر فهو بعيد عما يقتضيه ظاهر القرآن ، والمتواتر من الاخبار ، واجماع العلماء على اختلافهم فى الاراء...» (١) .  
اضف الى ذلك ما ذكرناه فى اختيار الوجه الاول ...

## اول ما نزل :

اختلف الباحثون فى شؤون القرآن ، فى أن اى آياته اوسورة نزلت قبل ؟  
والاقوال فى ذلك ثلاثة :

١- سورة العلق . لان نبوته ﷺ بدأت بنزول ثلاث اواخر من أول سورة العلق . وذلك حينما فجأه الحق وهو فى غار حراء ، فقال له الملك : اقرأ فقال : ما أنا بقارىء ، فغطه غطاً ثم قال له : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم (٢) . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم (٣) .

١- شرح عقائد الصدوق (تصحيح الاعتقاد) ص ٥٨

٢- صحيح البخارى ج ١ ص ٣

٣- صحيح مسلم ج ١ ص ٩٧

وفى تفسير الامام : هبط اليه جبرائيل واخذ بضبعه وهزه ، فقال : يا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - اقرأ : قال : وما اقرأ؟ قال : يا محمد ، اقرأ باسم ربك الذى خلق : خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم (١) .

وروى عن الامام الصادق عليه السلام : « اول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسم الله الرحمن الرحيم . اقرأ باسم ربك . و آخر ما نزل عليه اذا جاء نصر الله » (٢) .

٢- سورة المدثر، لما روى عن ابن سلمة ، قال سألت جابر بن عبد الله الانصارى اى القرآن انزل قبل؟ قال : يا ايها المدثر . قلت : أو اقرأ باسم ربك؟ قال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انى جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادى ، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وشماله - ولعله سمع هاتفا - ثم نظرت الى السماء فاذا هو - يعنى جبرائيل - فاخذتنى رجفة ، فأتيت خديجة ، فأمرتهم فدثرونى ، فانزل الله : يا ايها المدثر قم فانذر» (٣) .

هذا .. ولعل جابراً اجتهد من نفسه أنها اول سورة نزلت ، اذ ليس فى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دلالة على ذلك ، والارجح أن ما ذكره جابر ، كان بعد فترة انقطاع الوحي ، فظنه جابر بدء الوحي (٤) . واليك حديث فترة انقطاع الوحي برواية جابر ايضاً :

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدث عن فترة الوحي ، قال : بينما انا أمشى اذ سمعت هاتفاً من السماء ، فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالساً

١- بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٠٦ . وتفسير البرهان ج ٢ ص ٢٧٨

٢- اصول الكافي ج ٢ ص ٦٢٨ . وعيون اخبار الرضا ج ٢ ص ٦ . والبحار ج ٢ ص ٣٩ .

والبرهان ج ١ ص ٢٩

٣- صحيح مسلم ج ١ ص ٩٩

٤- راجع : بدر الدين الزركشى - البرهان - ج ١ ص ٢٠٦



على كرسى بين السماء والارض ، فجثت منه فرقاً - اى فزعت - فرجعت ، فقلت :  
زملونى زملونى فدثرونى ، فانزل الله تبارك وتعالى : يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبير  
وثيابك فطهر والرجز فاهجر - وهى الاوثان - قال صلى الله عليه وسلم : ثم تتابع الوحي . وفى  
لفظ البخارى : فحمى الوحي وتتابع (١) .

٣- سورة الفاتحة . قال الزمخشري : اكثر المفسرين على أن الفاتحة أول  
مانزل (٢) . وروى العلامة الطبرسى عن الاستاذ أحمد الزاهد فى كتابه «الايضاح»  
باسناده عن سعيد بن المسيب ، عن على بن ابي طالب - ع - انه قال : «سألت النبى صلى الله عليه وسلم  
عن ثواب القرآن ، فاخبرنى بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فأول  
مانزل عليه بمكة : فاتحة الكتاب ، ثم اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ...» (٣) .  
وروى الواحدى فى أسباب النزول بسنده عن ابى ميسرة عمرو بن شرحبيل ،  
قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلّى وحده سمع نداء فيفزع له ، وللمرة الاخيرة ناداه  
الملك : يا محمد ! قال : لبيك ، قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ...  
حتى بلغ : ولا الضالين» . (٤)

قلت : لاشك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى منذ بعثته ، وكان يصلى معه على  
وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة (٥) ولا صلة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (٦) فقد ورد  
فى الاثر : أول ما بدأ به جبرائيل : أن علمه الموضوع والصلاة (٧) فلا بد أن سورة الفاتحة

١- مسلم ج ١ ص ٩٨ . البخارى ج ١ ص ٢

٢- الزمخشري فى الكشاف ج ٤ ص ٧٧٥ . وناقشه ابن حجر مناقشة سطحية لامجال

لها بعد توضيحنا الاثنى فى وجه الجمع بين الاقوال الثلاثة . راجع : فتح البارى ج ٨ ص ٥٢٨

٣- مجمع البيان ج ١٠ ص ٢٠٥

٤- اسباب النزول للواحدى ص ١١

٥- على بن ابراهيم القمى : التفسير ص ٣٥٣

٦- مستدرک الحاكم ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ . ومسلم ج ٢ ص ٩

٧- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦١ . والبحار ج ١٨ ص ١٨٢ و ١٩٢

كانت مقرونة بالبعثة . قال جلال الدين السيوطى لم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة  
بغير فاتحة الكتاب .

\* \* \*

وبعد .. فلا نرى تنافياً جوهرياً بين الاقوال الثلاثة ، نظراً لان الايات الثلاث  
او الخمس من اول سورة العلق انما نزلت تبشيراً بنبوته ﷺ وهذا اجماع اهل  
الملة . ثم بعد فترة جاءت آيات - ايضاً - من اول سورة المدثر ، كما جاء فى حديث  
جابر ثانياً . اما سورة الفاتحة فهى اولى سورة نزلت بصورة كاملة ، وبسمة كونها  
سورة من القرآن كتاباً سماوياً للمسلمين ، فهى اول قرآن نزل عليه ﷺ بهذا العنوان  
الخاص ، واما آيات غيرها سبقتها نزولاً ، فهى انما نزلت لغايات أخرى ، وان سجلت  
بعدئذ قرآناً ضمن آياته وسوره .

ومن هنا صح التعبير عن سورة الحمد بسورة الفاتحة اى اول سورة كاملة نزلت  
بهذه السمة الخاصة . وهذا الاهتمام البالغ بشأنها فى بدء الرسالة ، واختصاص  
فرضها فى الصلوات جميعاً ، جعلها - فى الفضيلة - عدلاً للقرآن العظيم : « ولقد  
آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم » (١) . فقد امتن الله على رسوله بهذا النزول  
الخاص تجاه سائر القرآن .

نعم لو اعتبرنا السور باعتبار مفتتحها فسورة الحمد تقع الخامسة ، كما جاء  
فى رواية جابر بن زيد (٢) الاتية .

## آخر ما نزل :

جاء فى رواياتنا : ان آخر ما نزل هى سورة النصر ، روى أنها لما نزلت وقرأها - ص -

---

١ - سورة الحجر : ٨٧

٢ - الاتقان ج ١ ص ٢٥

على أصحابه ، فرحوا واستبشروا ، سوى العباس بن عبدالمطلب ، فإنه بكى ، قال صلى الله عليه وآله : ما يبكيك يا عم ! قال : اظن أنه قد نعت إليك نفسك يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : انه لكما تقول . فعاش صلى الله عليه وآله بعدها سنتين (١) .

قال الامام الصادق - ع - : و آخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح « (٢) .  
واخرج مسلم عن ابن عباس ، قال : آخر سورة نزلت ، اذا جاء نصر الله والفتح « (٣) .  
و روى آخر سورة نزلت : براءة . نزلت في السنة التاسعة بعد عام الفتح  
عند مرجعه صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك ، نزلت آيات من أولها ، فبعث بها النبي مع علي عليه السلام  
ليقرأها علي ملاء من المشركين (٤) .

وروى : آخر آية نزلت « واتقوا يوماً ترحمون فيه الى الله ثم توفي كل نفس  
ما كسبت وهم لا يظلمون » . نزل بها جبرئيل ، وقال : ضعها في رأس المأتين والثمانين  
من سورة البقرة . وعاش الرسول صلى الله عليه وآله بعدها احدى وعشرين يوماً ، وقيل سبعة  
أيام (٥) .

قال ابن واضح اليعقوبى : وقد قيل : ان آخر ما نزل عليه صلى الله عليه وآله « اليوم أكملت  
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٦) . قال : وهى الرواية  
الصحيحة الثابتة الصريحة . وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن ابيطالب  
- صلوات الله عليه - بغدير خم (٧) .

١- مجمع البيان : الطبرسى ج ١٠ ص ٥٥٢

٢- تفسير البرهان : البحرانى ج ١ ص ٢٩

٣- الاتقان ج ١ ص ٢٧

٤- تفسير الصافى : الفيض ج ١ ص ٦٨٠

٥- تفسير شبر : ص ٨٣

٦- سورة المائدة : ٣

٧- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٥



اقول : لاشك أن سورة النصر نزلت قبل براءة ، لانها كانت بشارة بالفتح ،  
 او بمكة عام الفتح (١) وبراءة نزلت بعد الفتح بسنة . فطريق الجمع بين هذه الروايات :  
 أن آخر سورة نزلت كاملة هي سورة النصر ، فقال ﷺ : « أما ان نفسى نعبت  
 الى (٢) . و آخر سورة نزلت باعتبار مفتحتها هي سورة براءة . وأما آية « واتقوا  
 يوماً ترجعون فيه الى الله » فان صح أنها نزلت بمنى يوم النحر فى حجة الوداع -  
 كما جاء فى رواية الماوردى (٣) فأخر آية نزلت هي آية الاكمال - كما ذكرها اليعقوبى .  
 لانها نزلت فى مرجعه ﷺ من حجة الوداع ثامن عشر ذى الحج . والافلوصح أن  
 النبى عاش بعد آية « واتقوا ... » احدى وعشرين يوماً اوسبعة اوتسعة أيام ، فهذه هي  
 آخر آية نزلت عليه ﷺ .

والارجح عندنا : هو ما ذهب اليه اليعقوبى ، نظراً لانها آية الاعلام بكمال  
 الدين ، فكانت انذاراً بانتهاء الوحي عليه ﷺ بالبلاغ والاداء . فلعل تلك الاية  
 كانت آخر آيات الاحكام ، وهذه آخر آيات الوحي اطلاقاً .

وهناك اقوال وآراء آخر لاقيمة لها ، انها غير مستندة الى نص معصوم .

قال القاضى ابو بكر - فى الانتصار - : وهذه الاقوال ليس فى شىء منها مرفوع  
 الى النبى ﷺ ويجوز ان يكون قائله قائله بضرب من الاجتهاد ، وتغليب الظن ،  
 وليس العلم بذلك من فرائض الدين ، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط .  
 ويحتمل ان كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ . وغيره سمع منه  
 بعد ذلك . ويحتمل - ايضاً - ان تنزل الاية التى هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ  
 مع آيات نزلت معها ، فيؤمر برسم ما نزل معها ، وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل  
 آخراً وتلاوته ، فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل فى الترتيب (٤) .

١- اسباب النزول بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٤٥

٢- مجمع البيان ج ٢ ص ٣٩٤

٣- البرهان : الزركشى ج ١ ص ١٨٢

٤- » » ص ٢١٠

## المكى والمدنى :

لمعرفة المكى من المدنى ، سواء أكانت سورة ام آية ، فائدة كبيرة تمس جوانب اسباب النزول ، وتمد المفسر والفقير في تعيين اتجاه الاية ، وفي مجال معرفة الناسخ من المنسوخ ، والخاص من العام ، والقيد من الاطلاق ، وما شبه . ومن ثم حاول العلماء جهودهم في تعيين المكيات من المدنيات ، ووقع اجماعهم على قسم كبير ، واختلفوا في البقية . كما استثنوا آيات مدنية في سور مكية او بالعكس ، ولذلك تفصيل طريف يأتي .

والملاك في تعيين المكى والمدنى مختلف حسب اختلاف الآراء والانظار في ذلك ، وفيما يلي ثلاث نظريات جاءت مشهورة :

الاول : اعتبار ذلك بهجرة النبي ﷺ ووصوله الى المدينة المنورة . فمانزل قبل الهجرة اوفى اثناء الطريق قبل وصوله الى المدينة ، فهو مكى ، ومانزل بعد ذلك فهو مدنى .

والملاك على هذا الاعتبار ملاك زمنى ، فمانزل قبل وقت الهجرة ، ولو في غير مكة فهو مكى . ومانزل بعد الهجرة ولو في غير المدينة حتى ولو نزل في مكة عام الفتح اوفى حجة الوداع ، فهو مدنى باعتبار نزوله بعد الهجرة . وعلى هذا الاصطلاح فجميع الايات النازلة في الحروب وفي اسفاره ﷺ بما انها نزلت بعد الهجرة ، كلها مدنيات .

قال يحيى بن سلام : مانزل بمكة اوفى طريق المدينة قبل ان يبلغ ﷺ فهو مكى . ومانزل بعدما قدم ﷺ المدينة اوفى بعض اسفاره وحروبه فهو مدنى . قال جلال الدين : وهذا اثر لطيف يؤخذ منه ان مانزل في سفر الهجرة مكى اصطلاحاً (١).

وذلك كقوله تعالى : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد» ( ١ ) قيل :  
نزلت بالجحفة والنبي ﷺ فى طريق هجرته الى المدينة (٢) .

الثانى : ما نزل بمكة وحواليها - ولو بعد الهجرة - فهو مكى ، وما نزل بالمدينة  
وحواليها فهو مدنى . وما نزل خارج البلدين ، بعيداً عنهما فهو لامكى ولامدنى ،  
كقوله تعالى : « كذلك ارسلناك فى امة قد دخلت من قبلها امم ، لتتلو عليهم الذى اوحينا  
اليك ، وهم يكفرون بالرحمان ، قل هوربى لاله الا هو عليه توكلت واليه متاب» (٣) .  
قيل : نزلت بالحديبية حينما صالح النبي ﷺ مشركى قريش فقال رسول الله ﷺ  
لعلى - ع - : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ... فقال سهيل بن عمرو وساثر المشركين  
مانعرف الرحمان الا صاحب اليمامة ، يعنون مسيلمة الكذاب ، فنزلت الاية (٤) وهكذا  
آية الانفال (٥) نزلت فى بدر عندما اختصم المسلمون فى تقسيم الغنائم ( ٦ ) لامكية  
ولامدنية ، على هذا الاصطلاح .

الثالث : ما كان خطاباً لاهل مكة فهو مكى ، وما كان خطاباً لاهل المدينة فهو  
مدنى . وهذا الاصطلاح مأخوذ من كلام ابن مسعود : « كل شىء نزل فيه يا ايها الناس  
فهو بمكة . وكل شىء نزل فيه يا ايها الذين آمنوا فهو بالمدينة (٧) . قال الزركشى :  
لان الغالب على اهل مكة الكفر ، والغالب على اهل المدينة الايمان (٨) .

١- سورة القصص : ٨٥

٢- البرهان : الزركشى ج ١ ص ١٩٧

٣- سورة الرعد : ٣٩

٤- مجمع البيان ج ٦ ص ٢٩٣

٥- سورة الانفال : ١

٦- راجع : السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٣٢٢

٧- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٨

٨- البرهان ج ١ ص ١٨٧



وهذا الاختلاف في تحديد المكي والمدني اوجب اختلافاً في كثير من آيات وسور : أنها مكية ام مدنية (١) . غير ان المعتمد من هذه المصطلحات هو الاول ، وهو المشهور الذي جرى عليه اكثرية اهل العلم (٢) وكان تحديدنا الاتي في نظم السور حسب ترتيب نزولها معتمداً على هذا الاصطلاح .

نعم ، الطريق الى معرفة مواقع النزول : انها كانت بمكة او بالمدينة او بغيرهما ، قليل جداً ، لان الاوائل لم يعبروا هذه الناحية المهمة اهتماماً معتاداً ، سوى ما ذكره في عرض الكلام استطراداً ، وهي استفادة ضئيلة للغاية ، ومن ثم يجب لمعرفة ذلك ملاحظة شواهد وقرائن من لفظ الاية او استفادة من لهجة الكلام ، خطاباً مع نوعية موقف الموجه اليهم : أكان في حرب ام في سلم ، وعدم وعيد ، ارشاد او تكليف ...؟ فيما اذا اوجب ذلك علماً او حلاً قطعياً لمشكلة في لفظ الاية ، كما في قوله : « فمن حج البيت او اعتمر فلاجناح عليه ان يطوف بهما » (٣) ، فان مشكلة دلالتها على مطلق الترخيص دون الالتزام والايجاب ، تنحل بما اثر في سبب نزولها (٤) . الامر الذي يوجب الثقة بصحة الاثر ، مع غض النظر عن ملاحظة السند ، ومن ثم فهي مدنية . قال الجعبري : لمعرفة المكي والمدني طريقان : سماعي وقياسي . فالسماعي ما وصل اليه نزوله باحدهما . والقياسي ، قال علقمة عن ابن مسعود : كل سورة فيها « يا ايها الناس » فقط ، او « كلا » ، او اولها حروف تهج سوى الزهراوين (البقرة وآل

١- كما في آية الامانات من سورة النساء : ٥٨ زعمها النحاس مكية لرواية ابن جريح

راجع : مجمع البيان ج ٣ ص ٦٣

٢- راجع : البرهان للزركشي ج ١ ص ١٨٧ والاتقان ج ١ ص ٩

٣- سورة البقرة : ١٥٨

٤- كان المسلمون يتخرجون السعي بين الصفا والمروة ، زعماً انها عادة جاهلية تكريماً

بمقام اساف ونائلة ، فنزلت الاية دفعا لهذا الوهم . راجع : مجمع البيان ج ١ ص ٢٢٠

عمران) والرعد - في وجه - اوفيهها قصة آدم وابليس سوى الطولى (البقرة) اوفيهها قصص الانبياء والامم الخالية ، فهى مكية وكل سورة فيها حسنة اوفريضة ، فهى مدنية . وفي رواية : وكل سورة فيها : «ياايها الذين آمنوا» فهى مدنية .

قال الزركشى : وهذا القول - الاخير - ان اخذ على اطلاقه ففيه نظر ، فان سورة البقرة مدنية وفيها : «ياايها الناس اعبدوا ربكم» (١) ، وفيها : «ياايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيباً» (٢) . وسورة النساء مدنية وفيها : «ياايها الناس اتقوا ربكم» (٣) . وفيها : «ان يشأ يذهبكم ايها الناس» (٤) . فان اراد المفسرون ان الغالب ذلك فهو صحيح ، ولذا قال مكى بن حموش : هذا انما هو فى الاكثر وليس بعام . وفي كثير من سور مكية «ياايها الذين آمنوا» (٥) .

وقال القاضى ابوبكر : كانت العادة تقضى بحفظ الصحابة ذلك ، غير أنه لم يكن من النبي ﷺ فى ذلك قول ، ولا ورد عنه بالتفصيل انه قال : ما نزل بمكة كذا وبالمدينة كذا . وانما لم يفعله لانه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الامة ، وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم ، لما لم يعتبروا ذلك من فرائض الدين ، لم تتوفر الدواعى على اخبارهم به ، ومواصلة ذلك على اسماعهم . واذا كان الامر على ذلك ساغ ان يختلف من جاء بعدهم فى بعض القرآن : هل هو مكى او مدنى ؟ وان يعملوا فى القول بذلك ضرباً من الرأى والاجتهاد...» (٦) .

١- البقرة : ٢١

٢- » : ١٦٨

٣- النساء : ١

٤- » : ١٣٣

٥- لم نجد فى سورة مكية «ياايها الذين آمنوا» . نعم فيها كثير ذكر «الذين آمنوا» بلاخطاب . كما فى سورة ص والزمر وغافر وفصلت وغيرها .

نعم ذكر الزركشى مثالا لذلك قوله تعالى : «ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا» سورة الحج : ٧٧ . فزعمها مكية . لكن الصحيح انها مدنية وسيأتى ذلك .

٦- راجع : البرهان للزركشى ج ١ ص ١٩٠ - ١٩٢

## ترتيب النزول :

اعتمدنا في هذا العرض على عدة روايات متفق عليها ، وثق بها العلماء اكثر ، وعمدتها رواية ابن عباس بطرق واسانيد اعترف بها ائمة الفن (١) قال الامام بدر الدين الزركشى : وعلى هذا الترتيب استقرت الرواية من الثقات (٢) . وقد اخذناها الاصل الاول في هذا العرض ، واكملنا ما سقط منها على رواية جابر بن زيد وغيره ، وكذا نصوص تاريخية معتمدة (٣) ، نعم كان بينها بعض الاختلاف اما للاختلاف في تحديد المكي والمدني ، او في عدد المكيات من المدنيات ، ومن ثم جاء اختلافهم في نيف وثلاثين سورة : انها مكيات ام مدنيات .

والنظر في هذا العرض كان الى مفتتح السور ، فالسورة اذ انزلت من اولها بضع آيات ، ثم نزلت اخرى ، وبعدها اكتملت الاولى ، كانت الاولى متقدمة على الثانية في ترتيب النزول - حسب هذا المصطلح .

واليك قائمة السور المكية ، وعددها : ست وثمانون سورة . متقدمة على السور المدنية ، وعددها : ثمان وعشرون سورة . مع غض النظر عن سور مختلف فيها ، وستنكلم عن ذلك في فصل قادم .

---

١- راجع : مجمع البيان للعلامة الطبرسي ج ١٠ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ . والاتقان لجلال

الدين السيوطي ج ١ - ص ١٠-١١ و ص ٢٥

٢- البرهان لبدر الدين الزركشى ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ .

٣- راجع : الفهرست لابن التديم محمد بن اسحاق الوراق ص ٢٨ وتاريخ ابن واضح

اليعقوبي ج ٢ ص ٢٨



## السورالمكية

(٨٦)

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
١	العلق	٩٦	١١	الضحى	٩٣
٢	القلم	٦٨	١٢	الشرح	٩٤
٣	المزمل	٧٣	١٣	العصر	١٠٣
٤	المدثر	٧٤	١٤	العاديات	١٠٠
٥	الفاتحة (١)	١	١٥	الكوثر	١٠٨
٦	المسد	١١١	١٦	التكاثر	١٠٢
٧	التكوير	٨١	١٧	الماعون	١٠٧
٨	الاعلى	٨٧	١٨	الكافرون	١٠٩
٩	الليل	٩٢	١٩	الفيل	١٠٥
١٠	الفجر	٨٩	٢٠	القلق	١١٣

١- سقطت الفاتحة من رواية ابن عباس ، فاثبتناها على رواية جابر بن زيد : الاتقان ج ١

ص ٢٥ وعلى نص يعقوبى : التاريخ ج ٢ ص ٢٦

ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول	ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول
٢٥	الفرقان	٤٢	١١٤	الناس	٢١
٣٥	فاطر	٤٣	١١٢	التوحيد	٢٢
١٩	مريم	٤٤	٥٣	النجم	٢٣
٢٠	طه	٤٥	٨٠	عبس	٢٤
٥٦	الواقعة	٤٦	٩٧	القدر	٢٥
٢٦	الشعراء	٤٧	٩١	الشمس	٢٦
٢٧	النمل	٤٨	٨٥	البروج	٢٧
٢٨	القصص	٤٩	٩٥	التين	٢٨
١٧	الاسراء	٥٠	١٠٦	قريش	٢٩
١٠	يونس	٥١	١٠١	القارعة	٣٠
١١	هود	٥٢	٧٥	القيامة	٣١
١٢	يوسف	٥٣	١٠٤	الهمزة	٣٢
١٥	الحجر	٥٤	٧٧	المرسلات	٣٣
٦	الانعام	٥٥	٥٠	ق	٣٤
٣٧	الصافات	٥٦	٩٠	البلد	٣٥
٣١	لقمان	٥٧	٨٦	الطارق	٣٦
٣٤	سبا	٥٨	٥٤	القمر	٣٧
٣٩	الزمر	٥٩	٣٨	ص	٣٨
٤٠	غافر	٦٠	٧	الاعراف	٣٩
٤١	فصلت	٦١	٧٢	الجن	٤٠
٤٢	الشورى	٦٢	٣٦	يس	٤١

ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة
٣٢	٧٥	السجدة	٤٣	٦٣	الزخرف
٥٢	٧٦	الطور	٤٤	٦٤	الدخان
٦٧	٧٧	الملك	٤٥	٦٥	الجاثية
٦٩	٧٨	الحاقة	٤٦	٦٦	الاحقاف
٧٠	٧٩	المعارج	٥١	٦٧	الذاريات
٧٨	٨٠	النبأ	٨٨	٦٨	الغاشية
٧٩	٨١	النازعات	١٨	٦٩	الكهف
٨٢	٨٢	الانفطار	١٦	٧٠	النحل
٨٤	٨٣	الانشقاق	٧١	٧١	نوح
٢٠	٨٤	الروم	١٢	٧٢	ابراهيم
٢٩	٨٥	العنكبوت	٢١	٧٣	الانبياء
٨٣	٨٦	المطففين	٢٣	٧٤	المؤمنون

## السور المدنية

(٢٨)

ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة
٦٠	٩١	المتحة	٢	٨٧	البقرة
٤	٩٢	النساء	٨	٨٨	الانفال
٩٩	٩٣	الزلزال	٣	٨٩	آل عمران
٥٧	٩٤	الحديد	٣٣	٩٠	الاحزاب



ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٩٥	محمد	٤٧	١٠٥	المنافقون	٤٣
٩٦	الرعد	١٣	١٠٦	المجادلة	٥٨
٩٧	الرحمان	٥٥	١٠٧	الحجرات	٤٩
٩٨	الانسان	٧٤	١٠٨	التحریم	٤٤
٩٩	الطلاق	٦٥	١٠٩	الجمعة	٦٢
١٠٠	البينة	٩٨	١١٠	التغابن	٤٢
١٠١	الحشر	٥٩	١١١	الصف (١)	٤١
١٠٢	النصر	١١٠	١١٢	الفتح	٢٨
١٠٣	النور	٢٤	١١٣	المائدة (٢)	٥
١٠٤	الحج	٢٢	١١٤	براءة	٩

واليك قائمة اخرى مرتبة على حروف التهجي ، والرقم يشير الى ترتيب السورة في المصحف :-

#### الف

٣- آل عمران	مدنية	نزلت بعد الانفال
١٤- ابراهيم	مكية	نزلت بعد نوح
٣٣- الاحزاب	مدنية	نزلت بعد آل عمران
٤٤- الاحقاف	مكية	نزلت بعد الجاثية
١٧- الاسراء	مكية	نزلت بعد القصص
٧- الاعراف	مكية	نزلت بعد ص

١- جعل الزركشى سورة الصف بعد التحريم وقبل الجمعة .

٢- قدم الزركشى البراءة على المائدة ، وجعل هذه الاخيرة آخر السور .

نزلت بعد التكوير	مكية	٨٧- الأعلى
نزلت بعد ابراهيم	مكية	٢١- الانبياء
نزلت بعد الرحمان	مدنية	٧٤- الانسان
نزلت بعد الانفطار	مكية	٨٢- الانشقاق
نزلت بعد الحجر	مكية	٤- الانعام
نزلت بعد البقرة	مدنية	٨- الانفال
نزلت بعد النازعات	مكية	٨٢- الانفطار

### ب

نزلت بعد المائدة	مدنية	٩- براءة
نزلت بعد الشمس	مكية	٨٥- البروج
نزلت بعد المطففين	مدنية	٢- البقرة
نزلت بعد ق	مكية	٩٠- البلد
نزلت بعد الطلاق	مدنية	٩٨- البيئنة

### ت

نزلت بعد الحجرات	مدنية	٤٤- التحريم
نزلت بعد الجمعة	مدنية	٤٤- التغابن
نزلت بعد الكوثر	مكية	١٠٢- التكاثر
نزلت بعد المسد	مكية	٨١- التكوير
نزلت بعد الناس	مكية	١١٢- التوحيد
نزلت بعد البروج	مكية	٩٥- التين

### ج

نزلت بعد الدخان	مكية	٢٥- الجاثية
-----------------	------	-------------

نزلت بعد التحريم	مدنية	٤٢- الجمعة
نزلت بعد الاعراف	مكية	٧٢- الجن

### ح

نزلت بعد الملك	مكية	٤٩- الحاقة
نزلت بعد النور	مدنية	٢٢- الحج
نزلت بعد يوسف	مكية	١٥- الحجر
نزلت بعد المجادلة	مدنية	٤٩- الحجرات
نزلت بعد الزلزال	مدنية	٥٧- الحديد
نزلت بعد البينة	مدنية	٥٩- الحشر

### د

نزلت بعد الزخرف	مكية	٤٤- الدخان
-----------------	------	------------

### ذ

نزلت بعد الاحقاف	مكية	٥١- الذاريات
------------------	------	--------------

### ر

نزلت بعد الرعد	مدنية	٥٥- الرحمان
نزلت بعد محمد	مدنية	١٣- الرعد
نزلت بعد الانشقاق	مكية	٣٠- الروم

### ز

نزلت بعد الشورى	مكية	٤٣- الزخرف
نزلت بعد النساء	مدنية	٩٩- الزلزال
نزلت بعد سبأ	مكية	٣٩- الزمر



س

نزلت بعد لقمان	مكية	٣٤- سبأ
نزلت بعد المؤمنون	مكية	٣٢- السجدة

ش

نزلت بعد الضحى	مكية	٩٤- الشرح
نزلت بعد الواقعة	مكية	٢٤- الشعراء
نزلت بعد القدر	مكية	٩١- الشمس
نزلت بعد فصلت	مكية	٤٢- الشورى

ص

نزلت بعد القمر	مكية	٣٨- ص
نزلت بعد الانعام	مكية	٣٧- الصافات
نزلت بعد التغابن	مدنية	٦١- الصف

ض

نزلت بعد الفجر	مكية	٩٣- الضحى
----------------	------	-----------

ط

نزلت بعد البلد	مكية	٨٦- الطارق
نزلت بعد مريم	مكية	٢٠- طه
نزلت بعد الانسان	مدنية	٦٥- الطلاق
نزلت بعد السجدة	مكية	٥٢- الطور

ع

نزلت بعد العصر	مكية	١٠٠- العاديات
----------------	------	---------------

نزلت بعدالنجم	مكية	٨٠- عبس
نزلت بعد الشرح	مكية	١٠٣-العصر
هى اول ما نزلت	مكية	٩٦- العلق
نزلت بعد الروم	مكية	٢٩- العنكبوت

### غ

نزلت بعد الذاريات	مكية	٨٨- الغاشية
نزلت بعد الزمر	مكية	٤٠- غافر

### ف

نزلت بعد المدثر	مكية	١- الفاتحة
نزلت بعد الفرقان	مكية	٣٥- فاطر
نزلت بعد الصف	مدنية	٢٨- الفتح
نزلت بعد الليل	مكية	٨٩- الفجر
نزلت بعد يس	مكية	٢٥- الفرقان
نزلت بعد غافر	مكية	٤١- فصلت
نزلت بعد الفيل	مكية	١١٣- الفلق
نزلت بعد الكافرون	مكية	١٠٥- الفيل

### ق

نزلت بعد المرسلات	مكية	٥٠- ق
نزلت بعد قريش	مكية	١٠١- القارعة
نزلت بعد هبس	مكية	٩٧- القدر
نزلت بعد التين	مكية	١٠٦- قريش
نزلت بعد النمل	مكية	٢٨- القصص

نزلت بعد العلق	مكية	٦٨- القلم
نزلت بعد الطارق	مكية	٥٤- القمر
نزلت بعد القارعة	مكية	٧٥- القيامة

### ك

نزلت بعد الماعون	مكية	١٠٩- الكافرون
نزلت بعد الغاشية	مكية	١٨- الكهف
نزلت بعد العاديات	مكية	١٠٨- الكوثر

### ل

نزلت بعد الصافات	مكية	٣١- لقمان
نزلت بعد الاعلى	مكية	٩٢- الليل

### م

نزلت بعد الفتح	مدنية	٥- المائة
نزلت بعد التكاثر	مكية	١٠٧- الماعون
نزلت المنافقون	مدنية	٥٨- المجادلة
نزلت بعد الحديد	مدنية	٤٧- محمد
نزلت بعد المزمل	مكية	٧٤- المدثر
نزلت بعد الهمزة	مكية	٧٧- المرسلات
نزلت بعد فاطر	مكية	١٩- مريم
نزلت بعد القلم	مكية	٧٣- المزمل
نزلت بعد الفاتحة	مكية	١١١- المسد
نزلت بعد العنكبوت	مكية	٨٣- المطففين
نزلت بعد الحاقة	مكية	٧٠- المعارج



نزلت بعد الطور	مكية	٦٧- الملك
نزلت بعد الاحزاب	مدنية	٦٠- الممتحنة
نزلت بعد الحج	مدنية	٦٣- المنافقون
نزلت بعد الانبياء	مكية	٢٣- المؤمنون

### ن

نزلت بعد الفلق	مكية	١١٤- الناس
نزلت بعد النبأ	مكية	٧٩- النازعات
نزلت بعد المعارج	مكية	٧٨- النبأ
نزلت بعد التوحيد	مكية	٥٣- النجم
نزلت بعد الكهف	مكية	١٦- النحل
نزلت بعد الممتحنة	مدنية	٤- النساء
نزلت بعد الحشر	مدنية	١١٠- النصر
نزلت بعد الشعراء	مكية	٢٧- النمل
نزلت بعد النمل	مكية	٧١- نوح
نزلت بعد النصر	مدنية	٢٤- النور

### و

نزلت بعد طه	مكية	٥٦- الواقعة
-------------	------	-------------

### هـ

نزلت بعد القيامة	مكية	١٠٤- الهمزة
نزلت بعد يونس	مكية	١١- هود

### ي

نزلت بعد الجن	مكية	٣٦- يس
نزلت بعد هود	مكية	١٢- يوسف
نزلت بعد الاسراء	مكية	١٠- يونس

## سور مختلف فيها :

نتيجة على ما سبق كانت السور المكية ستاً وثمانين سورة ، اولهن سورة العلق و آخرهن سورة المطففين . والسور المدنية ثمانى وعشرين سورة اولهن سورة البقرة ، و آخرهن سورة براءة .

لكن هذا التحديد لم يكن متفقاً عليه عند الجميع ، فهناك فى اكثر من ثلاثين سورة خالف بعضهم ما اثبتناه فى القائمتين . وفيما لى عرض موجز عن هذا الاختلاف ، مع المامة قصيرة الى وجه اختيارنا فى الموضوع ، ونؤجل التفصيل الى تفسيرنا الوسيط :

### ١- سورة الفاتحة

قال مجاهد : انها مدنية (١) .

قال الحسين بن الفضل : هذه هفوة من مجاهد ، لان العلماء على خلاف قوله (٢) ولقول على عليه السلام : نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش (٣) .

---

١- مجمع البيان ج ١ ص ١٧

٢- الاتقان ج ١ ص ١٢

٣- » » »

ولقوله تعالى : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ( ١ ) » وسورة الحجر مكية باتفاق ، وهذا اخبار عن ماض سبق .  
 ولانها اول سورة كاملة نزلت على رسول الله ﷺ علمه اياها جبرئيل ( ٢ )  
 ومن ثم سميت بفاتحة الكتاب (٣) فكان ﷺ يصلى بها فى اولى جماعه انعقدت بهم  
 نطفة الاسلام ، ولاصلاة الافاتحة الكتاب (٤) قال جلال الدين : ولم يحفظ صلاة بغير  
 فاتحة الكتاب (٥) .

## ٢- سورة النساء

زعم النحاس انها مكية ، نظرألى قوله تعالى : «ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها» (٦) فقد قال ابن جريح : انها نزلت بمكة عام الفتح بشأن مفتاح البيت الحرام ، اراد النبي ﷺ ان يدفعه الى العباس بن عبدالمطلب ، فأمره الله ان يدفعه الى عثمان بن طلحة ، حيث كان ﷺ قد اخذه منه (٧) .  
 لكن المفسرين اتفقوا على انها مدنية ، نظراً لضعف اسناد هذا الحديث. على ان نزول آية اوسورة بمكة عام الفتح لايجعلها مكية ، على الاصطلاح المشهور :  
 ما نزل بعد الهجرة فهو مدنى ولو كان نزوله بمكة .  
 وأخيراً فان السورة بكاملتها لاتتسم بسمه آية واحدة فيها : كان نزولها على

١- سورة الحجر : ٨٧

٢- زبنى دحلان بهامش الحلية ج ١ ص ١٦١

٣- تقدم ذلك فى ص ٩٥

٤- صحيح مسلم ج ٢ ص ٩ والمستدرک للحاكم ج ١ ص ٢٣٨ و ٢٣٩

٥- الاتقان ج ١ ص ١٢

٦- سورة النساء : ٥٨

٧- مجمع البيان ج ٣ ص ٦٣



غير نزول السورة .

### ٣- سورة يونس

فى رواية شاذة عن ابن عباس : أنها مدنية (١) . ولم تثبت هذه الرواية ، فضلاً عن مخالفتها للنص المتقدم عن ابن عباس نفسه فى ترتيب نزول السور ، وكان متفقاً عليه تقريباً .

### ٤- سورة الرعد

قال محمد بن السائب الكلبى ومقاتل وعطاء : انها مكية (٢) . وكذا فى رواية رواها مجاهد عن ابن عباس (٣) .  
ورجح سيد قطب هذا القول ، قال : ومكية هذه السورة شديدة الوضوح ، سواء فى طبيعة موضوعها او طريقة ادائها او فى جوها العام الذى لا يخطئ تنسبه من يعيش فى ظلال هذا القران (٤) .  
لكن روايات الترتيب اتفقت على انها مدنية نزلت بعد سورة القتال ، كما جاء فى رواية عكرمة والحسين بن ابى الحسن . ورواية خصيف عن مجاهد عن ابن عباس نفسه (٥) . وكذا قال الحسن وقتادة (٦) .  
واما سياق السورة فانه توجيه عام للبشرية الى آيات التوحيد ، الامر الذى

---

١- الاتقان ج ١ ص ١٢

٢- الدر المنثور ج ٤ ص ٤٢ والمجمع ج ٦ ص ٢٧٣

٣- الاتقان ج ١ ص ٩

٤- فى ظلال القرآن ج ١٣ ص ٦٣ الهامش .

٥- الاتقان ج ١ ص ١٠

٦- مجمع البيان ج ٦ ص ٢٧٣ والدر المنثور ج ٤ ص ٤٢

تشارك فيها السور المكية والمدنية، ككثير من آيات سورة البقرة وغيرها من سور مدنيات .  
والعمدة: اتفاق روايات الترتيب. ويتضح ذلك اكثر عند الكلام عن سورة الرحمن.

## ٥- سورة الحج

قال ابو محمد مكي بن ابي طالب : انها مكية (١). وروى ذلك عن مجاهد بسند فيه ضعف (٢) قال : سألت ابن عباس عن نزول السور ، حتى انتهى الى سورة الحج ، فقال : انزلت بمكة سوى الايات الثلاث (١٩ و ٢٠ و ٢١) نزلن بالمدينة (٣) ولما رواه الطبري من حديث الغرائيق (٤) وايضاً فان لهجتها الشديدة تناسب نزولها بمكة !  
قلت : كل ذلك لا يقاوم اتفاق كلمة روايات الترتيب ونصوص المؤرخين .  
ورواية مجاهد - مع ضعف سندها - معارضة بروايات الترتيب المتفق عليها (٥) .  
اما حديث الغرائيق فحديث خرافة لأصل لها (٦) . واما اللهجة فهي غالبية وليست دائمية ، ومن ثم لا تصلح مستنداً للحكم عليها .

---

١- الكشف عن القراءات السبع ج ٢ ص ١١٤

٢- بسبب ابي عبيدة معمر بن المثنى ، كان يرى رأى الخوارج بـذنباً مهتكتاً ، قليل العناية بالقرآن ، واذقراه قرأه نظراً . راجع : الفهرست لابن النديم ص ٥٩ . وميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٥٥ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٤٧ .

٣- الاتقان ج ١ ص ٩

٤- تفسير الطبري ج ٧ ص ١٣١ - ١٣٢

٥- راجع : الاتقان ج ١ ص ١١ و ص ٢٥ وفهرست ابن النديم ص ٢٨ والدر المنثور ج ٢ ص ٣٢٢ .

٦- تقدم الكلام فى ذلك فى ص ٦١ .

## ٦ - سورة الفرقان

زعم الضحاك انها مدنية ، نظراً لايات في آخرها قيل فيها : انها مدنية (١) .  
وهذا لوحده لا يصلح دليلاً على مدنيته بعد اتفاق روايات الترتيب .

## ٧ - سورة يس

قيل : انها مدنية (٢) . ولم يعرف هذا القائل ولا دليله الذي استند اليه . والاجماع  
منعقد على أنها مكية .

## ٨ - سورة ص

ايضاً قيل : انها مدنية (٣) وهو شاذ مخالف للاجماع .

## ٩ - سورة محمد (ص)

فيها قول ضعيف : انها مكية (٤) وهو غريب بعد ان كانت سورة القتال !

## ١٠ - سورة الحجرات

قيل : انها مكية . وهي مدنية بالاجماع قولاً واحداً (٥) .

## ١١ - سورة الرحمان

جاء في نص الفهرست واليعقوبي : انها مكية . وذهب المشهور ايضاً الى ذلك .

---

١ - الاتقان ج ١ ص ١٣

٢ - ٣ - ٤ - نفس المصدر .

٥ - الاتقان ج ١ ص ١٣



قال جلال الدين : وهو الصواب ، لما رواه الترمذى والحاكم عن جابر قال : لما قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمان على اصحابه حتى فرغ . قال : مالي اراكم سكوتاً؟ للجن كانوا احسن منكم رداً ! ما قرأت من مرة « فبأى آلاء ربكما تكذبان » الا قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد . قال جلال الدين : وقصة الجن كانت بمكة (١) .

قال : واصرح من ذلك ما رواه احمد في مسنده عن اسماء بنت ابى بكر ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلى نحو الركن قبل ان يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » (٢) قال : وهذا دليل على انها نزلت قبل سورة الحجر . وقال سيد قطب : نسق السورة تتضح فيه سمات القرآن المكي (٣) .

اقول : لاشك ان رنتها الاخاذة تشبه رنة غالبية السور المكية ، بل من وقعها على مسامع النفس . لكن ليس هذا وحده دليلاً على مكيتها بعد ان لم يكن ميزة اختصاصية ، وكانت توجد في سور مدنية ايضاً ، كما في سورة الزلزلة ، وسورة البينة ، وسورة الانعام وغيرهن . وكثير من سور مكية جاءت في لهجة هادئة كسورة يوسف ويونس وهود والانعام والاعراف وغيرهن كثير .

واما حديث الجن فلا دليل على انه كان بمكة ، اذ لا ملازمة بين هذا الحديث وحديث نزول سورة الجن بمكة . فلعلها قصة اخرى كانت بالمدينة .

واما حديث اسماء - ان صح - فهو يدل على نزولها في باكورة البعثة ، ولا قائل بذلك ، لانها قالت : قبل ان يصدع بالامر .

هذا فضلاً عن ضعف اسناد هذا الحديث - كما جاء في المسند - بسبب وجود ابن لهيعة قاضى مصر ، فى طريقه ، وهو مطعون فيه ، فقد ضعفه ابن معين وقال : لا يحتج بحديثه . وكان يحيى بن سعيد لا يراه شيئاً (٤) .

١- الاتقان ج ١ ص ١٣

٢- المسند ج ٦ ص ٣٢٩

٣- فى ظلال القرآن ج ٢٧ ص ٦٦٨

٤- راجع : ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٤٧٥ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٣٧٢ .

واخيراً فان هكذا تعليقات ضعيفة لاتقاوم روايات الترتيب المتفق عليها (١).

## ١٢ - سورة الحديد

قال قوم : انها مكية (٢) استناداً الى حديث اسلام عمر بن الخطاب، دخل على اخته فوجد عندها صحيفة فيها سورة الحديد، فقرأها حتى بلغ : « ان كنتم مؤمنين » (٣) فحبب اليه الاسلام فأتى النبي ﷺ واسلم على يديه (٤) .  
وهذا الحديث معارض بحديث ابن اسحاق : كانت في الصحيفة سورة طه ، فقرأها حتى انتهى الى قوله تعالى : « لتجزى كل نفس بما تسعى » (٥) . وقيل ان الصحيفة كان فيها مع سورة طه : « اذا الشمس كورت » . وان عمر انتهى في قرائتها الى قوله : « علمت نفس ما احضرت » . فلان قلبه ورغب في الاسلام . (٦)  
ومعارض ايضاً بحديث شريح بن عبيد ، قال : قال عمر : خرجت اتعرض رسول الله ﷺ قبل ان اسلم فوجدته سبقني الى المسجد ، فقممت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت اعجب من تأليف القرآن ، فلما اتمها وقع الاسلام في قلبي كل موقع (٧) .  
هذا وذاك الحديث مرسل ، ارسله من لا يوثق به . قال ابن حجر : والحديث بسند فيه

---

١- راجع : مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٠٥ . والاتقان ج ١ ص ١١ و ص ٢٥ .

(٢) قال ابن حزم : هي مدنية الا في قول الكلبي : انها مكية (رسالة الناسخ والمنسوخ)

بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٩٧

٣- سورة الحديد : ٨

٤- اسد الغابة : ابن الاثير ج ٣ ص ٥٢

٥- سورة طه : ١٥

٦- سيرة ابن هشام . وهامشه ج ١ ص ٣٧٠

٧- اسد الغابة ج ٣ ص ٥٢ والاصابة ج ٢ ص ٥١٩

اسحاق بن عبدالله بن ابي فروة (١). و اشار بذلك الى غمز في السند ، لان ابن ابي فروة هدامطعون فيه متروك الحديث (٢) .

و تمسك بعضهم بحديث ابن مسعود : قال : ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بقوله تعالى : «الم بأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ... الى قوله : فقس قلوبهم وكثير منهم فاسقون» (٣) الاربع سنين ، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً (٤) . قلت : وهذا الحديث ايضاً معارض باحاديث تنص على انها نزلت بعد الهجرة بسنة ، بشأن المنافقين (٥) او بعد ما اترف المؤمنون فكادت تقسى قلوبهم (٦) .

### ١٣ - سورة الصف

قال ابن حزم : مكية (٧) لكن الجمهور وروايات الترتيب على خلاف قوله ، فالصحيح انها مدنية ، ونسب ابن الغرس ذلك الى الجمهور (٨) .

### ١٤ - سورة الجمعة

مدنية بالاجماع ، والمخالف غير معروف . قال جلال الدين : ثبت في نصوص

---

١- الاصابة ج ٢ ص ٥١٩

٢- راجع : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٤٠ والمغنى للذهبي ج ١ ص ٧١ وميزان الاعتدال

ج ١ ص ١٩٣ .

٣- سورة الحديد : ١٦

٤- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٣٧ والاتقان ج ١ ص ١٣

٥- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٣٧

٦- اسباب النزول للسيوطي بهامش الجلالين ج ٢ ص ٩٤

٧- رسالة الناسخ والمنسوخ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٩٩

٨- الاتقان ج ١ ص ١٣



صحيحة انها مدنية كلها (١) .

## ١٥ - سورة التغابن

قيل : مكية الى قوله تعالى : « فليتوكل المؤمنون » (٢) نسب ذلك الى ابن عباس (٣) غير ان روايات الترتيب مطبقة على انها مدنية كلها .

## ١٦ - سورة الملك

فيها قول غريب : انها مدنية (٤) . والصحيح انها مكية قولاً واحداً .

## ١٧ - سورة الانسان

قال عبدالله بن الزبير : نزلت بمكة (٥) وتبعه على ذلك جماعة ممن يروقهم انكار اى فضيلة لاهل البيت عليهم السلام وهى النقطة المركزية التى تدور عليها حتى هذا التبجح الغريب (٦) ! وعدا ابن الزبير لاهل البيت مشهوراً  
وهكذا اصر سيد قطب على انها مكية ، مستشهداً بالسياق وقال : واحتمال ان هذه السورة مدنية - فى نظرنا - هو احتمال ضعيف جداً ، يمكن عدم اعتباره (٧) .  
قال الحافظ الحسكاني : اعترض بعض النواصب بان هذه السورة مكية

---

١ - الاتقان ج ١ ص ١٣

٢ - سورة التغابن : ١٣

٣ - مجمع البيان ج ١٠ ص ٢٩٦

٤ - الاتقان ج ١ ص ١٣ . تفسير شبر ص ٥٢٢

٥ - الدر المنثور ج ٦ ص ٢٩٧

٦ - راجع : شواهد التنزيل - الحسكاني - ص ٢٩٩

٧ - فى ظلال القرآن ج ٢٩ ص ٢١٥

باتفاق المفسرين ، وهذه القصة - ان كانت - فهي مدنية ، فكيف كانت سبب نزول  
السورة ١٢!

فقال - رداً على هذا القائل -: كيف يسوغ له دعوى الاجماع ، مع قول الاكثر:  
انها مدنية ! ... ثم ذكر نصوص الائمة على ترتيب السور مصرحة بانها نزلت في  
المدنية بعد سورة الرحمان وقبل سورة الطلاق : وفق ما قدمنا (١) .  
وهكذا حقق العلامة الطبرسى في تفسيره وغيره من محققى المفسرين .  
والعمدة : اطباق روايات الترتيب ، لا تشذ منها فى ذلك ولا رواية واحدة (٢) .  
وعليه ففضية السياق واهية ، بعد ان لم تكن كلية دائمية .  
قال السيد شبر : القول بانها مكية يكذبه النقل الصحيح (٣) .  
هذا ونؤجل التفصيل فى ذلك الى تفسيرنا الوسيط .

## ١٨ - سورة المطففين

قال اليعقوبى : اول سورة نزلت بالمدينة (٤) وقيل : نزلت عليه صلى الله عليه وآله وهو مهاجر  
فى طريقه الى المدينة (٥) . قال جلال الدين : اخرج النسائى وغيره بسند صحيح عن  
ابن عباس ، قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وآله المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا ، فانزل الله  
هذه السورة ، فاحسنوا الكيل (٦) .  
قلت : هذا يناقض روايات الترتيب المتفق على أنها آخر السور المكية . كما

١- شواهد التنزيل ص ٣١٠ - ص ٣١٥

٢- راجع : مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٠٥

٣- تفسير شبر ص ٥٤٢

٤- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٥

٥- ابن حزم بهامش الجلالين ج ٢ ص ٢٠٢

٦- الاتقان ج ١ ص ١٣

ان لهجة السورة العنيفة لاتناسب وبدء قدوم نبي الرحمة الى المدينة فى اول عهده باهلها المستسلمين له ، ولاسيما مع هذا التكرار فى لفظه «كلا» التى تشى بعناد المخاطب وانكاره الخبيث مما لايلتئم مع جو الايمان السليم الذى ابداه أهل المدينة آنذاك !! وقد سبق كلام الجعبرى : كل سورة فيها «كلا» فهى مكية (١) .

## ١٩ - سورة الاعلى

قيل : انها مدنية ، استناداً الى قوله تعالى : «قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى» (٢) اشارة الى صلاة العيد وزكاة الفطرة (٣) .  
قلت : الاية عامة . والرواية - ان صححت - جاءت لتطبق هذا العموم على مصداق من مصايدقه - لأنه هو المقصود الذاتى لاغير . ثم لو سلمنا ان هاتين الايتين نزلتا بالمدينة ، فلايدل ذلك على ان جميع السورة بكاملتها مدنية .  
فالصحيح ان السورة مكية حتى ولو كانت بعض آيها مدنية . هذا فضلا عن شهادة اللهجة بمكيته ا

## ٢٠ - سورة الفجر

مكية بالاتفاق . والقائل بالخلاف غير معروف (٤) .

## ٢١ - سورة البلد

مكية بالاجماع ، لان البلد هى مكة المكرمة بالاتفاق ، فكيف يقول القائل :

---

١ - تقدم فى ص ١٠١

٢ - سورة الاعلى : ١٥

٣ - الاتقان ج ١ ص ١٤

٤ - » » »



## ٢٢ - سورة الليل

قيل : انها مدنية ، نظر لما روى في سبب نزولها : كانت نخلة متدلية في دار رجل فقير ، وكان صبيانه يتناولون تمرها ، اما صاحب النخلة - وهو رجل ثرى - فكان يجفوهم . فساومه النبي ﷺ على نخلة في الجنة فأبى ، حتى ساومه انصارى على اربعين نخلة ، فاشتراها منه ووهبها للنبي ﷺ فوهبها النبي ﷺ الى الرجل الفقير . قيل : فنزلت : «واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى» (٢) غير ان السند مقطوع غير موصل . على ان الاية لا تنطبق تماماً على فحوى القصة .  
فالصحيح : ان الاية عامة في كل بخيل بحق الله سبحانه فلا يخشى عقابه ، كما جاء في رواياتنا ، وفي كثير من روايات غيرنا (٣) .

## ٢٣ - سورة القدر

قال ابن حزم وابو محمد : انها مدنية ( ٤ ) لما رواه الحاكم عن الحسن بن على ﷺ قال : رأى النبي ﷺ بنى امية ينزون على منبره نزوا القردة . فساءه ذلك فنزلت تسليية لخواطره الكريم (٥) .  
قال جلال الدين : قال المزي : وهو حديث منكر (٦) لكنه تعصب مفضوح ،

١ - نفس المصدر

٢ - الدر المشورج ٦ ص ٣٥٧ والمجمع ج ١٠ ص ٥٠١

٣ - راجع : مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٠٢ والطبرى : التفسير ج ٣٠ ص ١٤٠ . والصابي

ج ٢ ص ٨٢٥

٤ - الكشف عن القراءات السبع ج ١ ص ٣٨٥ . وهامش الجلايين ج ٢ ص ٢٠٣

٥ - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٧١

٦ - الاتقان ج ١ ص ١٤

لان الحاكم رواها بسند صحيح ، قال : هذا اسناد صحيح . وقرره على ذلك ، الحافظ  
الذهبي في التلخيص . و اضاف اليه طريقاً آخر ووثقه ايضاً ، ثم قال : وما درى آفته  
من اين ؟ (١) .

قلت : جاءت آفته من قبل نزعة اموية اشربت في قلوب تحكمت فيها نزعات  
قومية جاهلية ، ومن ثم يصعب عليها الرضوخ للحق مهما بلغ حد التواتر واليقين (٢) .  
وبعد فان دلالة هذا الحديث على مدنية السورة ، جاءت من قبل لفظ « المنبر »

اذ لم يكن للنبي ﷺ وهو بمكة منبر !

لكن هذا وحده لا يصلح دليلاً على ذلك ، اذ يجوز - قريباً - انه ﷺ ارى  
ذلك بمكة قبل هجرته لتكون بشارته له باعلاء ذكره ، والمامة الى الاغتصاب الذي  
يرتكبه شرار امته . فلا تتنافى هذه الرواية مع روايات الترتيب اصلاً .

وتأييداً لذلك نقول : الآية : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة  
الملعونة في القرآن » (٣) ، تشير الى نفس الرؤيا المذكورة ، والاية من سورة الاسراء  
المكية بالاتفاق ، ولم يستثن احد هذه الاية ، وان استثنوا غيرها ، كما سيأتى .

فقد اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عمر : ان النبي ﷺ قال : « رأيت ولد الحكم  
ابن ابي العاص على المنابر كأنهم القردة ، وانزل الله في ذلك : وما جعلنا الرؤيا التي  
اريناك الا فتنة للناس . قال : والشجرة ملعونة ، يعنى الحكم وولده » .

واخرج ايضاً عن يعلى بن مرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : اريت بنى امية على  
منابر الارض ، وسيتملكونكم فتجدونهم ارباب سوء ، واهتم رسول الله ﷺ فنزلت  
الآية » .

١- تلخيص المستدرک بالهامش ج ٣ ص ١٧٠

٢- راجع : تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٧٧ وج ٣٠ ص ١٦٧ . والدر المنثور ج ٢

ص ١٩١ وج ٦ ص ٣٧١ . ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٠

٣- سورة الاسراء : ٦٠

واخرج ابن مردويه عن عائشة : انها قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله ﷺ يقول لايبك وجدك : انكم الشجرة الملعونة في القرآن» .

واخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر عن سعيد بن المسيب ، قال : رأى رسول الله ﷺ بنى امية على المنابر فساءه ذلك ، فاوحى الله اليه : انما هي دنياً اعطوها . فقرت عينه ، وهى قوله تعالى : «وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس» يعنى : بلاء للناس» (١) .

قال النيسابورى : واعترض بعضهم بان ايام بنى امية كانت مذمومة فكيف تذكر فى مقام تفخيم أمر ليلة القدر ؟ فاجاب : انه تفضيل لسعادة معنوية ، وجلال حقيقى دائم ، على سعادة ظاهرية ، وجلال صورى زائل (٢) . وفى حديث ابن المسيب الانف اشارة الى هذا الجواب .

## ٢٤ - سورة البينة

قال مكى بن ابي طالب : مكية (٣) .

لكن اتفاق روايات الترتيب ونصوصه على أنها مدنية ، ويؤيدها ماورد : انها لما نزلت على النبي ﷺ دعا ابي بن كعب فقرأها عليه (٤) وابى ، انصارى ، اسلم على يدي رسول الله ﷺ بالمدينة .

## ٢٥ - سورة الزلزلة

قال ضحاك وعطاء : مكية . وهكذا قال مكى بن ابي طالب ، ووافقهم سيد قطب ، نظراً

---

١- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩١

٢- بهامش الطبرى ج ٣٠ ص ١٣٦

٣- الكشف عن قراءات السبعة ج ٢ ص ٣٨٥

٤- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧٨



للهجتها المثيرة (١) .

لكن اتفقت كلمة الروايات على انها مدنية (٢) وايضاً فقد اخرج ابى ابى حاتم عن ابى سعيد الخدرى، قال : لما نزلت «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» . قلت : يا رسول الله ﷺ انى لرا عملى؟ قال : نعم . قلت : تلك الكبار الكبار؟ قال : نعم . قلت : الصغار الصغار؟ قال : نعم، قلت : وائكل امى...! (٣) و ابو سعيد انصارى ، لم يبلغ الابدو قعة أحد (٤) .

## ٢٦- سورة العاديات

عن قتادة : انها مدنية (٥) ، لرواية منسوبة الى ابن عباس ، قال : نزلت فى خيل بعثها رسول الله ﷺ فى سرية فابطأت ، فشق ذلك عليه ، فاخبره الله بما كان من امرهم (٦) .

لكن الرواية فيها تمحل وتهافت ظاهر ، وفى نفس الوقت معارضة بما رواه ابن جرير وابن ابى حاتم وابن الانبارى والحاكم - وصححه - وابن مردويه ، عن ابن عباس ايضاً : ان علياً عليه السلام نهره عن تفسير العاديات بالخيل تغير فى سبيل الله . ووضح له : انها الافاضة من عرفات الى المزدلفة ... قال ابن عباس : فنزعت عن قولى ورجعت الى قول على عليه السلام « (٧) .

١- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٢٤ . والكشف ج ٢ ص ٣٨٦ . وفى ظلال ج ٣٠ ص ٦٣٩

٢- الفهرست ص ٢٨ والمجمع ج ١٠ ص ٤٠٥ والاتقان ج ١ ص ١١ والدد المنشور

ج ٦ ص ٣٧٩

٣- الدد المنشور ج ٦ ص ٣٨١

٤- الاتقان ج ١ ص ١٤ والمستدرک ج ٣ ص ٥٦٣

٥- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٢٧

٦- الدد المنشور ج ٦ ص ٣٨٣

٧- نفس المصدر وتفسير الطبرى ج ٣٠ ص ١٧٧

## ٢٧- سورة التكاثر

اختار جلال الدين انها مدنية ، وتمسك لاختياره بالامور التالية :

١- حديث ابن بريدة : انها نزلت في قبيلتين من الانصار تفاخروا .

٢- وقال قتادة : انها نزلت في اليهود .

٣- وعن ابي بن كعب -وهو انصارى- : كنا نزعم ان «لو كان لابن آدم واديان

من ذهب لتمنى ثالثاً...» آية قرآنية ، حتى نزلت «الهالك التكاثر...»

٤- وعن علي عليه السلام : كنا نشك في عذاب القبر ، حتى نزلت . قال جلال الدين :

وعذاب القبر لم يذكر الا بالمدينة ، كما في الصحيح في قصة اليهودية (١) .

قلت : جميع ماتمسك به باطل :

اولا : هذه السورة لاتمس مسألة التفاخر ، وانما تعرضت لناحية التكاثر !

وثانياً : كيف يبقى ابي بن كعب في شك من آية قرآنية ، ولا يسأل رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو كاتبه الاول ، الى ان يذهب شكه بنزول سورة لاشأن لها ونفى قرآنية

غيرها !

وثالثاً : كيف نجيز لانفسنا تصديق رواية تنسب الشك الى مثل امير المؤمنين

علي عليه السلام في مسألة من مسائل الاخرة ، وهو عليه السلام باب علم النبي صلى الله عليه وسلم !

واما اختصاص نزولها باليهود ، فتضايق في فحوى السورة العام ، اذ هي تعالج

مسألة عامة تمس حياة البشرية الطاعنة في مطالب سافلة !

والصحيح - كما جاء في روايات الترتيب المتفق - : انها من اوليات السور

المكية ، وقد نص علي ذلك جلال الدين نفسه في الدر المنثور ، ورواه عن ابن عباس (٢)

هذا مضافاً الى ما نلمسه من لهجة السورة العنيفة ، التي تناسب اجواء مكة المسيطر

١- الاتقان ج ١ ص ١٤

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٨٦

عليها النزعة المادية بشدة ، وبزيد العنف استعمال لفظة « كلا » الخاصة باهل مكة  
كما مر .

## ٢٨- سورة الماعون

قال الضحاك : انها مدنية (١) .

لكن روايات الترتيب ونصوصه المتفق عليها ترفض هذا القول ، مضافاً الى  
ان لهجة السورة تقريع عنيف باولئك المكذبين بالدين ، فهي باوليات السورالمكية  
اشبه ، فقد كانت السابعة عشرة في الترتيب ، نزلت بعد سورة التكاثر (٢) .

## ٢٩- سورة الكوثر

عن عكرمة والضحاك : انها مدنية (٣) . ورجحه جلال الدين ، وكذاالنوى  
في شرح مسلم ، لما رواه مسلم عن انس ، قال : بينا رسول الله ﷺ بين اظهرنا ، اذ  
اغشى اغفائة ، فرفع رأسه وقال : انزلت على آتفاً سورة ، فقرأها ..»  
لكننا تكلمنا عن هذا الحديث (٤) وزيفنا دلالة على نزول قرآن عليه -ص- تلك  
الحالة ، وذكرنا تأويل الرافعي للحديث الى انها قد خطرت له في تلك الحالة فقرأها  
عليهم ، لانها نزلت عليه حينذاك . كما ويؤيد ذلك : ان مسلم نفسه روى هذا الحديث  
بسند آخر ليس فيه «انزلت على» . قال : اغشى النبي ﷺ اغفائة ، ثم رفع رأسه  
فقرأها (٥) .

١- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٤٦

٢- الفهرست ص ٢٨ . والمجمع ج ١٠ ص ٤٠٥ . والاتقان ج ١ ص ١١

٣- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٤٨

٤- تقدم في صفحة : ٣٣

٥- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٠١



وأخيراً فقد اطبق المفسرون على انها مكية ، نزلت تسلياً لخاطر رسول الله ﷺ عند ماشئاه ذلك الابر اللعين ( ١ ) . هذا مضافاً الى اتفاق روايات الترتيب: انها نزلت بمكة . اذن لا يصلح حديث مضطرب ان يقاوم ذلك الاجماع وهذا الاتفاق!

## ١٩ - سورة التوحيد

رجح جلال الدين كونها مدنية ، لاحاديث رواها بشأن نزولها : قال : نزلت فى طائفة من يهود المدينة سألوا رسول الله ﷺ ان يصف لهم ربه ، فنزل جبرئيل بسورة التوحيد (٢) .

لكن تجاه هذه الروايات روايات اخرى تذكر هذا السؤال للمشركين ، قالوا : انسب لنا ربك يا محمد ﷺ فنزلت (٣) مضافاً الى اتفاق روايات الترتيب .

ومن ثم قال بعض الباحثين : انها نزلت مرتين !

قلت : لا يبعد ذلك ، ولكن معنى نزول السورة مرتين : ان الثانية كانت تذكيراً للنبي ﷺ بمناسبة الحاضرة ، فمن المحتمل - على هذا الفرض - : ان اليهود سألوا النبي ﷺ سؤالاً ، كان المشركون قد سبقوهم الى مثله ، فتردد النبي ﷺ فى أن يقرء عليهم السورة التى كانت اجابة على سؤال المشركين من ذى قبل ، وذلك نظراً للفرق بين مستوى اليهود ومستوى المشركين ، فعند ذلك نزل جبرئيل بكفاية نفس الاجابة الاولى ، بعد ان لسم تكن السور القرآنية خاصة بقوم دون قوم ، وبمستوى دون مستوى ، اذ الناس على مختلف مستوياتهم يستفيدون من جميع آى القرآن ، وان كانت نوعية الاستفادة تختلف حسب مراتب الثقافات .

١ - لباب القول : جلال الدين . بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٤٢ والدر المنثور ج ٦

ص ٤٠٤ . والمجمع ج ١٠ ص ٥٤٩

٢ - لباب القول بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٤٧ والاتقان ج ١ ص ١٤

٣ - الدر المنثور ج ٦ ص ٤١٠

وعلى ذلك فالسورة مكية وان تكرر نزولها بالمدينة ايضاً .

## ٣٠، ٣١ - المعوذتان

عدهما اليعقوبى من اواخر المدنيات (١) . وقال جلال الدين : المختاران هما  
مدينتان ، لانهما نزلتا فى قصة سحر لبيد بن الاعصم (٢) .

والقصة - كما جاءت فى الصحيحين (٣) - حدثت بها عائشة ، قالت : « سحر  
رسول الله ﷺ رجل من يهود بنى زريق ، يقال له : لبيد بن الاعصم . قالت : حتى  
كان رسول الله ﷺ يخيل اليه انه يفعل الشيء وما يفعله - وفى لفظ آخر : سحر  
حتى كان يرى انه يأتى النساء ولا يأتيهن . قال سفيان : وهذا شد ما يكون من السحر - (٤)  
قالت : حتى اذا كان ذات يوم او ذات ليلة ، دعا رسول الله ﷺ ثم دعا ثم دعا . ثم  
قال : يا عائشة ، اشعرت (٥) ان الله أفنانى فيما استفتيته فيه ؟ جاءنى رجلان (٦) ففعد  
احدهما عند رأسى والاخر عند رجلى ، فقال السدى عند رأسى للذى عند رجلى :  
ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب (٧) قال : من طبه ؟ قال لبيد بن الاعصم . قال : فى  
اى شيء ؟ قال فى مشط ومشاطة ، وجف طلعة نخل ذكر (٨) . قال : فاين هو ؟ قال :

١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٥

٢- الاتقان ج ١ ص ١٤

٣- البخارى ج ٤ ص ١٢٨ وج ٧ ص ١٧٦ . ومسلم ج ٧ ص ١٤

٤- البخارى ج ٧ ص ١٧٧

٥- اى أعلمت - بصيغة استفهام خطاباً اليها - .

٦- فى رواية : جبرائيل وميكائيل ، فسأل الاول الثانى . فتح البارى ج ١٠ ص ١٩٤

٧- اى مسحور .

٨- المشاطة : ما ينتزع من الشعر عند المشط - بالفتح - وهو تسريح الشعر ، وبالضم :

آلته . والجف : غشاء الطلع .

فى بشر ذى اروان . قالت فاتاها رسول الله ﷺ فى اناس من اصحابه ، ثم رجع وقال :  
يا عائشة ، والله لكأن ماءها نقاعة الحناء (١) ولكأن نخلها رؤوس الشياطين . قالت :  
فقلت : هلا استخرجه ؟ فقال ﷺ : لا ، اما انا فقد شفانى الله ، وخشيت ان يبث ذلك  
على الناس شراً . ثم امر بالبشر فدفنت .

وفى لفظ : «قال : واين ؟ قال فى جف طلعة ذكر تحت راعوفة (٢) فى بشر ذروان . قالت :  
فاتى النبى ﷺ البشر حتى استخرجه . فقال : هذه البشر التى أريتها ، وكان ماءها  
نقاعة الحناء . وكان نخلها رؤوس الشياطين . قالت : فقلت : افلا ، اى تنشرت ؟ فقال :  
اما الله فقد شفانى ، واكره ان اثير على احد من الناس شراً» (٣) .

هذه القصة كما هى مذكورة فى الصحيحين ليس فيها شاهد بنزول السورتين . وقد  
تنبه السيوطى لذلك ، ومن ثم استدرك الامر بما ورد من طرق اخر لم تصح اسنادها .  
فقد اخرج البيهقى فى الدلائل عن عائشة ، قالت : « كان لرسول الله ﷺ غلام يهودى  
يخدمه ، يقال له : ليبد بن أعصم . فلم تزل به اليهود حتى سحر النبى ﷺ فكان  
يذوب ولا يدرى ما وجعه - وفى لفظ : فكان يدور ولا يدرى ما وجعه ( ٤ ) - فبينما  
رسول الله ﷺ ذات ليلة نائم اذا تاه ملكان ، فجلس احدهما عند رأسه والاخر عند رجليه ، فقال  
الاول للثانى : ما وجعه ؟ قال : مطبوب . قال : من طبه ؟ قال : ليبد بن أعصم قال : بم طبه ؟ قال : بمشط  
ومشاطة وجف طلعة ذكر بذى اروان ، وهى تحت راعوفة البشر . فلما اصبح رسول الله ﷺ  
غدا ومعه اصحابه الى البشر ، فنزل رجل فاستخرج الجف ، فاذا فيها : مشط رسول الله ﷺ ومن  
مشاطة رأسه ، واذا تمثال من شمع ، تمثال رسول الله ﷺ ، واذا فيها ابر مغروزة ، واذا وتر فيه

١ - اى لون مائها لون نقيع الحناء .

٢ - الراعوفة : صخرة او حجر صلد ، توضع عند قدم البشر ، لا يستطاع قلعها ، يقف عليها  
المستقى او توضع فى اسفلها ليجلس عليها الذى ينظف البثر .

٣ - البخارى ج ٧ ص ١٧٨

٤ - فتح البارى : ابن حجر ج ١٠ ص ١٩٣



احدى عشرة عقدة . فاتاه جبرئيل بالمعوذتين ، فقال : يا محمد ، قل : اعوذ بـرب  
الفلق ، وحل عقدة . من شر ما خلق ، وحل عقدة . حتى فرغ منها ، وحل العقد كلها ،  
وجعل لاينزع ابرة الايجد لها الماء ، ثم يجد بعد ذلك راحة ، فقيل : يا رسول الله ﷺ  
لوقلت اليهودى ! فقال : قد عافانى الله ، وماوراءه من عذاب الله اشد .

وفى رواية : «سحر النبى ﷺ يهودى ، فاشتكى فاتاه جبرئيل بالمعوذتين ،  
وقال : ان رجلا من اليهود سحرك ، والسحر فى بئر فلان . فارسل علياً عليه السلام فجاء به ، فامر ان  
يحل العقد ويقرأ آية ، فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبى صلى الله عليه وآله كانما  
نشط من عقال . (١)

وقيل : ان بنات لبيد كن ساحرات ، فهن سحرن وابوهن رسول الله ﷺ وعقدن  
له احدى عشرة عقدة . فانزل الله المعوذتين ، احدى عشرة آية بعد الدعاء وشفى الله  
رسوله ﷺ . (٢)

\* \* \*

وبعد .. فهذه القصة - لو تسلمناها - فلا شاهد فى رواية الصحيحين على ان  
المعوذتين نزلنا بشأنها . اما سائر الطرق فلا تصح مستنداً للثقة بها ، فضلا عن اخذها  
مستمسكاً للحكم فى شأن من شؤون القرآن ، الذى لا ينبغى لمسلم ان يتكلم فيه بغير علم  
ولا عن مستند وثيق .

قال جلال الدين : اما اصل القصة فله شاهد فى الصحيحين ، دون نزول السورتين .  
ثم قال : ولكن له شاهد من غيرهما .. واراد بذلك ما اخرج به البيهقى عن طريق الكلبي  
عن ابي صالح عن ابن عباس ، وفيه ذكر القصة ونزول السورتين (٣) .  
لكن ذكر جلال الدين نفسه - فى الاتقان - : أن اوهى الطرق الى ابن عباس ،

١- الدد المنشور ج ٦ ص ٤١٧

٢- ابن جزى الكلبي : التسهيل ج ٤ ص ٢٢٥

٣- لباب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٤٨

هو طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس (١).  
ثم ذكر شاهداً آخر فيما اخرجه ابونعيم في كتاب الدلائل. من طريق ابي جعفر  
الرازي عن الربيع بن انس عن انس بن مالك (٢).  
هذا . . . وابن حبان قال : ان اهل الحديث يتقون من حديث الربيع بن انس  
اذا كان من رواية ابي جعفر الرازي عنه ، لان في احاديثه عنه اضطراباً كثيراً (٣) ،  
اذن افلاتعجب من رجل هو مضطلع بفن الحديث والتفسير ، كيف يورط بنفسه  
في تناقض الاختيار؟! ويضطرب في التماس الحججة من غير وجهها الوجهه؟! ومن ثم  
يتكلم في شأن جانب من كتاب الله العزيز من غير استناد وثيق!؟

\* \* \*

امانحن - الامامية - فان اصول معتقداتنا تنفي امكان التأثير على قلب نبي كريم ،  
هو مهبط وحى الله وعيبة علمه الامين! وبالاحرى فان لبيداً اعجز من ان يستطيع التصرف  
في عقلية مثل رسول الله ﷺ افضل خلق الله واكرم انبيائه!!  
يقول تعالى : ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلاً (٤) فاجدر  
بلبيد عدم قدرته على الاستحواذ على قلب اكرم عباد الله ، وقلبه ﷺ بيت الاله تعالى ،  
لا يدع اخبيث الاقتراب منه ابداً!  
على انالوجوزنا امكان التأثير على شعور النبى الكريم بحيث يكاد يخيل  
اليه انه يفعل ولا يفعل ، فان الثقة بما يقوله وحياً تزول ، فلعله مفعول سحر ساحر  
خبيث ، خيل اليه انه وحى!؟  
قال العلامة الطبرسى : هذا لايجوز ، لان من وصفه بانه مسحور فكانه قدخيل

١- الاتقان ج ٢ ص ١٨٩

٢- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٤٨

٣- تهذيب التهذيب : ابن حجر ج ٣ ص ٢٣٩

٤- سورة الاسراء : ٦٥

عقله ، وقد ابى الله سبحانه ذلك في قوله : «وقال الظالمون ان تتبعون الارجال مسحوراً ، انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوها» (١) .

ولكن يمكن ان يكون اليهودى او بناته - على ماروى - اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا عليه ، واطلع الله نبيه ﷺ على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج ، وكان ذلك دلالة على صدقه . وكيف يجوز ان يكون المرض من فعلهم ! ؟ ولو قدروا على ذلك لقتلوه ، وقتلوا كثيراً من المؤمنين ، مع شدة عداوتهم لهم (٢) .

وقال العلامة المجلسى : المشهور بين الامامية عدم تأثير السحر في الانبياء والائمة - صلوات الله عليهم - ومن ثم اولوا بعض الاخبار الواردة في ذلك ، وطرحوا بعضها - اى ما لا يقبل التأويل (٣) .

وقال القطب الراوندى : روى ان امرأة يهودية عملت له ﷺ سحراً ، فظنت انه ينفذ فيه ﷺ كيدها . والسحر باطل محال ! الا ان الله دله عليه ، فبعث من استخرجه . وكان على الصفة التى ذكروها ، وعلى عدد العقد التى عقد فيها ووصف ما لوعاينه معاين لغفل عن بعض ذلك (٤) .

وجاء في طب الائمة : ان جبرئيل اتى النبى ﷺ وقال له : ان فلاناً اليهودى سحرك ، ووصف له السحر وموضعه . فبعث النبى ﷺ علياً عليه السلام حتى اتى القلب فبحث عنه فلم يجده ، ثم اجتهد فى طلبه حتى وجده فأتى به الى النبى ﷺ واذا هو حقة فيها قطعة كرب نخل فى جوفه وتر عليها احدى عشرة عقدة ، وكان جبرئيل عليه السلام قد انزل المعوذتين . فامر النبى صلى الله عليه وآله علياً ﷺ ان يقرأهما على الوتر ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى فرغ منها ، فكشف الله عن نبيه ما سحر

١- سورة الفرقان : ٨-٩

٢- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٦٨

٣- بحار الانوار ج ١٨ ص ٧٠

٤- نفس المصدر ص ٥٧



به وعافاه (١) .

وهذه الرواية - وان لم تصح اسنادها - ليس فيها التأثير على عقلية الرسول ﷺ نعم في رواية اخرى جاء التأثير على جسمه الشريف ، فكان يحس بوجع شديد ، وهذا معنى «كشف الله عن نبيه وعافاه» في رواية طب الائمة . اى عافاه من الوجع الذى كان يحس به . وهذا امر ممكن ، غير ان الاصح عندنا هو ما ذكره القطب الراوندى : ان السحر لم ينفذ فيه ﷺ فقد ارادوا به كيداً لكنهم اصبحوا هم الخاسرين .

## آيات مستثنيات :

تعرض الاوائل لاستثناء آيات من سور تخالفها فى النزول ، فرب سورة مكية فيها آيات مدنية او بالعكس ، واستقصى ذلك جلال الدين السيوطى فى « الاتقان » مستوعباً ، غير انه اعتمد فى الاكثر على روايات ونقول ضعيفة ، ثم جاء المتأخرون ليأخذوا بذلك تقليداً من غير تحقيق (٢) فى حين ان غالبية القائلين بهذه الاستثناءات قالوا

١- طب الائمة ص ١١٨

٢- جاءت فى المصحف الاميرى المطبوع بالقاهرة باذن مشيخة الازهر وباشراف لجنة مراقبة البحوث الاسلامية ، استثناءات بارقام كبيرة ، لكنه تقليد محض لا اصل لاكثريتها الساحقة . وهكذا سجلها من غير تحقيق الشيخ ابو عبدالله الزنجانى فى تاريخ قرآنه .  
اضف الى ذلك تناقضات جاءت فى هكذا اختيارات تقليدية :

مثلا : جاء فى المصحف الاميرى ان سورة الم تنزيل - السجدة - نزلت بعد سورة المؤمن ، وان سورة حم تنزيل - فصلت - نزلت بعد سورة غافر ! فى حين ان المؤمن وغافر اسمان لسورة واحدة !

واثبت ابو عبدالله فى تاريخ قرآنه قائمتين بشأن ترتيب نزول السور فذكر فى القائمة الاولى : ان سورة الانعام نزلت بعد الحجر . وفى الثانية : انها نزلت بعد الكهف ! كما ذكره

بها عن حدس او اجتهاد فى الرأى ، من غير ان يستندوا الى نص صحيح مأثور . قال ابن الحصار : ان من الناس من اعتمد فى الاستثناء على الاجتهاد دون النقل (١) . ونحن اذ نستطرق هذا الباب ، نضرب عن كل ما قالوه بهذا الشأن صفحاً ، اذا لم يكن مستنداً الى دليل مقبول . اذ لا شك ان الايات كانت تسجل تباعاً فى كل سورة بعد نزول بسملتها ، واحدة تلو اخرى ترتيباً طبيعياً حسب النزول . اما ان تبقى آية مكية غير مسجلة فى سورة ، حتى تنزل سورة بالمدينة ثم تسجل فيها ، فهذا امر غريب خارج عن طريقة الثبت المعروف ، كما ان آية مدنية تسجل فى سورة مكية بحاجة الى نص صريح خاص وليس بالامر الذى يتدخل فيه الحدس او الاجتهاد النظرى !

قال ابن حجر : واما نزول شيء من سورة بمكة ، ثم يتأخر نزول اصل السورة الى المدينة ، فلم اره الا نادراً ، فقد اتفقوا على ان الانفال مدنية ، لكن قيل : ان قوله تعالى : « واذيكر بك الذين كفروا ... » (٢) نزلت بمكة ، ثم نزلت سورة الانفال بالمدينة . وهذا غريب جداً (٣) . وسوف نذكر بطلان هذه المزعومة !

واليك نماذج من النوعين مردفة بمانشير اليه من تحقيق الرأى اجمالياً :

---

→ فى الاولى ان الاعراف نزلت بعد ص . وفى الثانية : نزلت بعد الانفال ! وذكر ان السور المكية : ٨٥ . والسور المدنية : ٢٨ . ولم يلتفت انها تنقص مجموع سور القرآن بواحدة ! واطنه فى ذلك قلد الامام بدر الدين الزركشى !!

كما جاء فى مصحف مطبوع على عهد القاجارية قائمتان ، الاولى تسجل عام نزول كل سورة ، والثانية تسجل ترتيب النزول . فجاء فى الاولى : نزلت الصافات فى العام الخامس من البعثة ، ونزلت الانعام فى العام الثالث عشر . ثم جاء فى القائمة الثانية : ان الصافات نزلت بعد الانعام !! وامثال هذا التناقض كثير .

١- الاتقان ج ١ ص ١٤

٢- سورة الانفال : ٣٠

٣- فتح البارى بشرح البخارى ج ٩ ص ٣٨

## استثناءات من سور مكية :

١ - سورة الفاتحة : مكية

حكى ابو الليث السمر قندى قولاً بان نصفها نزلت بالمدينة .

قال جلال الدين : لادليل لهذا القول (١) . كما سبق : انها من اوائل ما نزلت بمكة كاملة ، وكان المسلمون يقرأون بها في الصلاة .

\* \* \*

## ٢ - سورة الانعام : مكية

«نزلت بمكة جملة واحدة ، وشيعها سبعون الف ملك ، لهم زجل بالتسبيح والتحميد وقد طبقوا ما بين السماء والارض ، وكانت ليلة جمعة ، وكانت لنزولهم هيبة وعظمة ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : سبحان الله العظيم ، سبحان الله العظيم ، وخر ساجداً . ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم» .

هذا الحديث مستفيض رواه الفريقان بطرق يعضد بعضها بعضاً (٢) . قال جلال الدين : فهذه شواهد يقوى بعضها بعضاً (٣) . ومن ثم لا وقع لقول ابى عمرو بن الصلاح : ان الخبر المذكور جاء من حديث ابى بن كعب ، وفي اسناده ضعف ، ولم نر له اسناداً صحيحاً ، وقد روى ما يخالفه (٤) .

قلت : استفاضة الطرق الى عدة من الاصحاب غير ابى بن كعب ايضاً كافية للاستناد اليها .

١- الاتقان ج ١ ص ١٢ و ص ١٤

٢- تفسير العباشى ج ١ ص ٣٥٣ . مجمع البيان ج ٤ ص ٢٧١ . الدر المنثور ج ٣ ص ٢

٣- الاتقان ج ١ ص ٣٧

٤- البرهان للزركشى ج ١ ص ١٩٩



هذا .. واما رواية المخالف ضعيفة وغير ثابتة :

قال ابن الحصار : استثنى منها تسع آيات ، ولا يصح به نقل ( ١ ) . وسنتكلم فيما زعموا صحتها من روايات الاستثناء ( ٢ ) .

وجاء في المصحف الاميرى وفي بعض كتب المقلدة استثناء تسع آيات من غير تحقيق ، نبحت عن كل واحدة واحدة فيما يلي :

الاولى : قوله تعالى : «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم»  
الاية رقم : ٢٠ .

الثانية : قوله تعالى : «ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين»  
الاية رقم : ٢٣ .

ولاشاهد للاستثناء في هاتين الايتين اطلاقاً . ولعل السبب مجيء ذكر اهل الكتاب فيهما ، على غموض في الثانية . ولادليل في ذلك ، بعد ان جاء ذكر اهل الكتاب في كثير من سور مكية . كقوله تعالى : «ولا تجدوا لوالاهل الكتاب الا بالتي هي احسن»  
الاية رقم : ٤٦ من سورة العنكبوت المكية ، ولم يستثنها أحد . وكذلك قوله تعالى «وكذلك انزلنا اليك الكتاب . فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به » الاية رقم : ٤٧ من نفس السورة وامثال ذلك كثير .

\* \* \*

الثالثة - قوله تعالى : «وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء . قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس . تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً . وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون» الاية رقم : ٩١ .

---

١- الاتقان ج ١ ص ١٥

٢- عند استثناء الايات رقم : ٩٧ و ٩٨

قرأ ابن كثير وابوعمر و : « يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً » (١)  
قيل : نزلت في جماعة من اليهود ، قالوا : يا محمد ﷺ انزل الله عليك كتابا ؟ قال :  
نعم . قالوا : والله ما انزل الله من السماء كتاباً .

وقيل : نزلت في مالك بن الصيف ، وكان حبراً من أحبار يهود قريظة ، وكان  
سميناً ، فقال له النبي ﷺ : انشدك بالذي انزل التوراة على موسى ، أما تجد  
في التوراة : « ان الله يبغض الحبر السمين » ؟ . فغضب وقال : ما انزل الله على بشر من  
شيء . وقيل : الذي خاصم النبي صلى الله عليه وآله - في هذا المقال هو فنحاص بن  
عازوراء اليهودي .

وقيل : نزلت في مشركي قريش ، حيث انكروا النبوات رأساً (٢) .  
قال ابو جعفر الطبري : واولى هذه الاقوال بالصواب ، هو القول الاخير ،  
اذ لم يجز لليهود ذكر قبل ذلك . وليس انكار نزول الوحي على بشر مما تدين به  
اليهود ، بل المعروف من دينهم الاقرار بصحف ابراهيم وموسى وزبور داود .  
ولم يكن الخبر بانها نزلت في اليهود خيراً صحيحاً متصل السند ، ولا اجمع المفسرون  
على ذلك . وكان سياق السورة من اولها الى هنا جارياً في المشركين ، فناسب ان  
تكون هذه الآية ايضاً موصولة بما قبلها لامفصولة منه . فلم يجز لنا ان ندعى فصلها  
الابحجة قاطعة من خبر او عقل . ولعل الذي اوقع هذا القائل في الوهم المذكور ما وجده  
في قوله تعالى : « تجعلونه . . . » على وجه الخطاب . ولكن الاصوب من القراءة انها  
بياء الغيبة (٣) .

قلت : ونحن اذ نصدق ابا جعفر في هذا التحقيق ، نضيف اليه : ان القصة التي  
ذكروها بشأن مالك بن الصيف في محاورته تلك مع النبي ﷺ تنافي تماماً مع خلق

١- الكشف عن وجوه القراءات السبع ، لمكي بن ابي طالب ج ١ ص ٢٢٠

٢- تفسير الطبري ج ٧ ص ١٧٧ . ومجمع البيان ج ٢ ص ٣٣٣ .

٣- جامع البيان ج ٧ ص ١٧٨

رسول الله الكريم ، النبي لايجرح من عاطفة انسان اطلاقاً ، كما ونزله كتاب الله العزيز  
عن التعرض لهكذا أمور تافهة لاقيمة لها ، او تنزل بشأنها آية !!  
اذن فقوله «وعلمتم ...» خطاب موجه الى المشركين ، بعد تلك الحكاية -  
بصورة الغيبة كما رجحها ابو جعفر - عن اهل الكتاب .

واما القراءة المشهورة بتاء الخطاب في الجميع ، فلا تستدعي اختصاص الخطاب  
باهل الكتاب ، بل الى البشرية باعتبار فعل بعضهم ممن نزل عليهم الكتاب . ولا سيما  
ومساس العرب المشركين مع اليهود ومخالطتهم معهم في الجزيرة ، ومن ثم جاء  
الكلام عن بنى اسرائيل في سور مكية كثيراً ، كما في سورة الاعراف : ١٠٢ و ١٦٠ .  
ويشهد بذلك قوله تعالى : «فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون» خطاباً مع اهل  
مكة ، والاية رقم : ٤٣ من سورة النحل المكية ، ورقم : ٧ من سورة الانبياء المكية  
ايضاً . وقد كان للعرب صلة وثيقة وثقة باهل الكتاب ، ويعرفونهم اهل علم وثقافة ،  
وكثيراً ما يسألونهم عن تاريخ الامم والانبياء ويعتمدون كلامهم ، فجاز ان يخاطبوا  
بخطاب اليهود المجاورين لهم المخالطين معهم الموثوق بهم عندهم !

\* \* \*

الرابعة - قوله تعالى : «ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً . او قال اوحي الى  
ولم يوحي اليه شيء . ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله» الاية رقم : ٩٣ .  
قالوا : نزل قوله تعالى : «ومن اظلم ممن افترى ...» في عبد الله بن سعد بن ابي  
سرح اخي عثمان من الرضاة . وكان اسلم وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ولما  
نزلت : «ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين» (١) دعاه النبي ﷺ فأملاها عليه .  
فلما انتهى الى قوله : «ثم انشأناه خلقاً آخر» عجب عبد الله في تفصيل خلق الانسان ،  
فقال : تبارك الله احسن الخالقين . فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت على ، فشك عبد الله  
حينئذ ، وقال : لئن كان محمد ﷺ صادقا لقد اوحي الى كما اوحي اليه . ولئن



كان كاذباً لقد قلت كما قال . فارتد عن الاسلام ، ولحق اهل مكة ، فجعلوا يقولون له : كيف كنت تكتب لابن ابي شيبه القرآن ؟ قال : كنت اكتب كيف شئت . وذلك انه كان رسول الله ﷺ يملئ عليه «علماً حكيماً» فيكتب «غفوراً رحيماً» يزيد وينقص ويبدل في كتاب الله ، ولا يشعر به النبي ﷺ ومن ثم شك في رسالته ، وكفر ولحق بقريش . فاهدر النبي ﷺ دمه ! لكن عثمان أجاره يوم الفتح ، والح علي رسول الله ﷺ حتى عفى عنه (١) .

وقالوا - ايضاً - ان قوله : «او قال اوحى الى ولم يوح اليه شيء» نزل في مسيلمة والاسود العنسي، كانا قد تنبأ في حياة الرسول ﷺ (٢) .

لكن الحديث مكذوب من اصله . لان سورة «المؤمنون» مكية ، ولم يستثن احد تلك الاية . فكيف يكتبها ابن ابي سرح بالمدينة ثم يرتد الى مكة ؟ ! ثم انى لبشر ان يقول على الله كذباً وينتحله وحيأ ، وقد ضمن الله لكتابه الكريم بالحفظ . ثم لا يشعر الرسول بدس كاذب مفتر على الله فيما انزله الله عليه !! وهل تبقى - بعد هذا الاحتمال - ثقة بنصوص الكتاب العزيز ، الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟!

نعم هناك ثلاث آيات من ثلاث سور ، قيل فى كل واحدة منها : انها نزلت بشأن ابن ابي سرح . هذه احداها !

والثانية قوله تعالى : «ولكن من شرح بالكفر صدراً» سورة النحل المكية : آية ١٠٦ (٣) .

والثالثة: «ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً» سورة النساء

١- راجع : مجمع البيان ج ٤ ص ٣٣٥ . والدر المنثور ج ٣ ص ٣٠ . وتفسير الطبرى

ج ٧ ص ١٨١ وتفسير الامام الرازى ج ١٣ ص ٨٤ . وفى ظلال القرآن ج ٧ ص ٣٠٦ ، والبرهان

للزركشى ج ١ ص ٢٠٠

٢- نفس المصادر

٣- تفسير الطبرى ج ٧ ص ١٨١

وهذه الاخيرة انسب واولى بالقبول ، كما روى ذلك عن الامامين : محمد بن علي الباقر ، وجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١) .

اذن فالصحيح في الاية الاولى هو مقاله ابو جعفر الطبري : هي عامة ، تصف موقف الانسان عموماً تجاه رسالات الانبياء - عليهم السلام - : فمن منكر معاند لا يصدق باى رسالة جاءت من قبل الله . و آخر مسترسل ضعيف يؤمن بكل دعوى رسالية ، حتى ولو كانت نزغة شيطانية ، من غير تدبر ولا تفكير صحيح . ومن ثم وبخت الاية هذا النمط من الاسترسال الهابط ، وتلك الجرأة الظالمة تجاه رب العزة ، فيفتري عليه تعالى ظلماً وعدواناً . ولا ماساس للاية بقضية ابن ابي سرح بالخصوص .

على ان قوله تعالى : « سانزل مثل ما انزل الله » لا ينطبق مع موقف ابن ابي سرح تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله . نعم كان ينطبق عليه لو كانت الاية هكذا : « سانزل مثل ما انزل محمد » ... !

وقد ناقض سيد قطب هنا بشأن الاية ، ففي موضع رجح كون السورة مكية كلها ، وفي موضع آخر اعتمد على روايات الاستثناء ! (٢)

\* \* \*

الخامسة : قوله تعالى : « افغير الله ابتغى حكماً وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلاً . والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق » الاية رقم : ١١٤ . وليس في الاية ما يدعو الى الظن بأنها مدنية الاذكر اهل الكتاب فيها . وقد سبق ان هذا وحده ليس دليلاً ، فقد ورد مثلها في آيات مكية كثيراً . ويرجع السبب الى ثقة العرب المشركين بمن جاور بلادهم من اهل الكتاب ، فيرونهم اهل علم ودراية ،

١- تفسير العياشى ج ١ ص ٢٨١

٢- في ظلال ج ٧ ص ١٠٦ و ص ٣٠٦

ومن ثم قال تعالى : « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر (١) »  
يعنى اهل الكتاب ولاسيما اليهود. وهذه الاية مكية بالاجماع .

\* \* \*

السادسة : قوله تعالى : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات...  
الى قوله : كلوا من ثمره اذا اثمروا وآتوا حقه يوم حصاده » الاية رقم : ١٤١ .  
ولعل القائل بمدنيتها فسر الحق الواجب بالزكاة ، والزكاة لم تقرر بأنصبتها  
المحددة فى الزروع والثمار الا فى المدينة .

ولكن هذا المعنى ليس متعينا فى الاية ، لانها فسرت بمطلق الصدقة من غير  
تحديد ، وهى بهذا الاطلاق كانت واجبة فى مكة وجاءت الاشارة اليها فى قوله :  
« وفى اموالهم حق للسائل والمحروم » الاية رقم : ١٩ من سورة الذاريات المكية  
بالجماع . وجاء ذكر الانفاق والصدقة فى كثير من آيات مكية .

وجاءت روايات مأثورة ، بان الحق فى هذه الاية يعنى الانفاق واعطاء اليتامى  
والمساكين - عن سعيد بن جبير وغيره - ثم نسخت بآية الزكاة فيما بعد (٢) وروى  
ذلك عن الامام ابى عبدالله الصادق ، عن آبائه - عليهم السلام - (٣) .

\* \* \*

السابعة : قوله تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم... » الاية رقم : ١٥١ .  
الثامنة : قوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى احسن . . . » الاية  
رقم : ١٥٢ .

التاسعة : قوله تعالى : « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه... » الاية رقم : ١٥٣ .

---

١- سورة النحل : ٢٣ . وسورة الانبياء : ٧

٢- راجع : الدر المنثور ج ٣ ص ٣٩ . وتفسير الطبرى ج ٨ ص ٢٢

٣- مجمع البيان ج ٢ ص ٣٧٥



قال السيوطي : وقد صح النقل عن ابن عباس باستثناء هذه الايات الثلاث (١) والرواية هي : ماخرجه ابو جعفر النحاس في كتابه «الناسخ والمنسوخ» عن طريق ابي عبيدة معمر بن المثنى عن يونس عن ابي عمرو عن مجاهد عن ابن عباس... (٢) و ابو عبيدة هذا كان رجلا به شذوذ ، كان يرى رأى الخوارج ، وكان بذىء اللسان متهتكا ، قليل العناية بالقرآن ، واذا قرأه قرأه نظراً (٣) ، ومن ثم لا يعتمد على نقله فيما يخص الكتاب والسنة ، اللهم الا في رواية الشعر والادب . ولاندرى بم صحح جلال الدين سند هذا النقل ؟ !

هذا وقد روى ابو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال : لما امر الله نبيه ان يعرض نفسه على القبائل ، خرج الى منى وانامعه وابوبكر ، وكان رجلا نسابه ، فوقف على مضاربهم بمنى وسلم عليهم فردوا عليه السلام ، فتكلم معه القوم ، حتى سألوه : الى ما تدعو يا اخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «قل تعالوا اتل ما حرم ربكم - الى قوله : لعلكم تتقون» تمام الايات الثلاث . فاعجبهم كلام الله ، وقالوا : فوالله ما هذا من كلام اهل الارض ، ولو كان لعرفناه ...» (٤) فالايات كانت نازلة حينذاك بمكة (٥) . على ان لحن الايات واسلوب التعبير فيها - ايضاً - يشهد بمكيته .

وتلخص : ان سورة الانعام كلها مكية ، ليست منها آية مدنية اطلاقاً . ولم يثبت شيء مما قيل باستثنائه اصلاً ، لانقلا ولا عقلاً ، على ما سلفنا .

١- الاتقان ج ١ ص ١٥

٢- » » » ص ٩

٣- الفهرست لابن التميم ص ٥٩ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٠ ص ٢٤٧ وميزان

الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ١٥٥ وتقدم في ص ١١٧

٤- الدر المنثور ج ٣ ص ٥٤

٥- تفسير الطبري ج ٨ ص ٦٠

### ٣- سورة الاعراف : مكية

أخرج ابن ضريس والنحاس وابن مردويه من عدة طرق عن ابن عباس : انها نزلت بمكة . (١)

قال قتادة : سوى آية واحدة : «واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر» الاية رقم : ١٦٣ . قال : نزلت بالمدينة (٢) .

وقال غيره : الى نهاية الاية رقم : ١٧١ (٣) . وهى قوله : « واذنتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ... » .

قلت : ودليل قتادة هو الامر بسؤال اليهود ، وهو يناسب - كما زعم - أيام كونه <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> بالمدينة . وهذا ليس دليلاً ، اذ لا مستند لعود الضمير الى اليهود ، فلعله يعود الى المشركين انفسهم ، لمكان معرفتهم بقصة اصحاب السبت ، والقرية - وهى أيلة - كانت على ساحل البحر الاحمر ، مما يلى الشام . وهى آخر الحجاز واول الشام ، مدينة يهودية صغيرة كانت عامرة (٤) ، وكانت قريش تمر عليها فى رحلتها الصيفية التجارية ، وكانت تتصل بهم اخبارها ، ومن ثم كانوا على معرفة من اهلها اليهود الذين عتوا عن امر ربهم .

واما قول غيره فلامستند له اطلاقاً ، ولا سند معروف . فالصحيح ان هذه الايات متناسقة مع غيرها من قصص امم الانبياء نزلت على قريش ليعتبر أولوا البصائر منهم ، اذن يكون الترجيح مع القول بان جميعها مكية ، لاستثناء فيها .

١- الدر المنثور ج ٣ ص ٤٧

٢- الكشف عن وجوه القراءات ج ١ ص ٤٦٠

٣- الاتقان ج ١ ص ١٥

٤- معجم البلدان : الياقوت ج ١ ص ٢٩٢

## ٤- سورة يونس : مكية

استثنى بعضهم منها اربع آيات :

الاولى : قوله تعالى : «ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين» الآية رقم : ٤٠ .

زعم بعضهم انها نزلت في اليهود (١) . لكن السياق يأباه .

الثانية : قوله تعالى : «فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ..» الآية رقم : ٩٤ .

الثالثة : قوله تعالى : «ولاتكونن من الذين كذبوا ..» الآية رقم : ٩٥ .

الرابعة : قوله تعالى : «ان الذين حقت عليهم كلمة ربك ..» الآية رقم : ٩٦ .  
زعموها - ايضاً نزلت في اليهود . ولادليل لهم في ذلك ، والسياق واحد متصل .  
ولعل ذكر اهل الكتاب هو الذي اوقعهم في هذا الزعم ! مع العلم ان هذه الايات ليست باصرح من قوله : «فاسألوا اهل الذكر» (٢) الآية المكية بالاجماع .

وقيل : من الآية رقم : ٤٠ الى نهاية السورة كلها نزلت بالمدينة (٣) ولاشاهد لهذا القول اطلاقاً . ولحن الايات ولهجتها ايضاً تأباه .

والخلاصة : القائل بالاستثناء في هذه السورة ، لا يملك دليلاً موثقاً به ولا سنداً يعتمد عليه . كما ان سياقها ينادى بمكيته بوضوح . ومن ثم نرجح كونها مكية اجمع .

\* \* \*

---

١- الاتقان ج ١ ص ١٥

٢- سورة النحل المكية : ٤٣

٣- الاتقان ج ١ ص ١٥



## ٥- سورة هود : مكية

استثنى منها ثلاث آيات :

الاولى : قوله تعالى : « فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك

ان يقولوا لولا انزل اليه كنز اوجاء معه ملك » الآية رقم : ١٢ .

لكن السياق يشهد - صراحة - بانها مكية . وقد روى في سبب نزولها ما يجعلها

ايضاً مكية قطعياً (١) .

الثانية : قوله تعالى : « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه . ومن

قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به . ومن يكفر به من الاحزاب فالنار

موعه » الآية رقم : ١٧ . استشهد من قال بمكيته بقوله : « كتاب موسى » . وبقوله :

« من الاحزاب » .

لكن لاشاهد فيهما ، بعد ان جرى ذكر موسى في كثير من آيات مكية .

والاحزاب اشارة الى قبائل عربية متحزبة ضد الرسول ، وقد كانت تحزبت

منذ ان شعر المشركون بخطر نفوذ الاسلام في الجزيرة وسرعة انتشار الدعوة (٢) .

ولاشاهد على ارادة وقعة الاحزاب .

الثالثة : قوله تعالى : « اقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات

يذهبن السيئات » الآية رقم : ١١٤ .

روى ابو جعفر الطبرى باسناده عن ابى ميسرة . قال : جائتني امرأة تبتاع منى

تمراً ، فقلت لها : ان فى البيت تمراً اجود ، فادخلتها البيت واهويت اليها اقبلها وأتى

منها ما يأتى الرجل من امرأته سوى الجماع ، حتى مسست بيدي دبرها . ثم خرجت

فذكرت ذلك لابي بكر وعمر ، فقالا : استر ذلك على نفسك ولا تخبرن احداً . ثم

ذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : هل جهزت غازياً ؟ قلت : لا . فقال : هل خلفت غازياً

٢- تفسير البيان ج ٥ ص ٤٦١

١- مجمع البيان ج ٥ ص ١٤٦

فى أهله ؟ قلت : لا . فقال استغفر ربك وصل اربع ركعات . ثم تلا : « اقم الصلاة  
طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات » ثم قال : انها للناس عامة ،  
وفى رواية : نزل بها جبرئيل لساعته . (١)

وهذه الرواية بهذا السياق باطلة عندنا البتة . لانها تجرئة على المعاصى ، فليفعل  
اى انسان ما يريد ثم يعمد الى صلاة يصليها لتكون كفارة عن كل ذنب يقترفه . هذا  
فضلا عن التهافت فى نفس الرواية وعدم انسجامها مع الاية ، وهو دليل آخر على  
وهنها . واخيراً فى اكثر الروايات : ثم تلا عليه الاية ، وليس فيها انها نزلت حينذاك .  
كما روى غير هذه الاقصوصة ايضاً .

والصحيح عندنا : ان سورة هود مكية باجمعها ، نظراً لوحدة سياقها المنتظم  
على اسلوب تقريعى بديع - يتناسب والدعوة فى مكة .

\* \* \*

## ٦- سورة يوسف : مكية

فى المصحف الاميرى : استثناء ثلاث آيات من اولها (١ - ٣) وقوله : «لقد  
كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين» الاية رقم : ٧ . قال جلال الدين : وهو واه  
جداً ، لا يلتفت اليه (٢) قلت : ونحن نربأ بمثل العلامة ابى عبدالله الزنجانى ان يتابع  
ثبت المصحف المصرى من غير تحقيق ، فيسجله فى كتابه القيم (٣) : وفضح الامر  
اوضح من ان يستره وهم .

---

١- تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٨٢ - ٨٣

٢- الاتقان ج ١ ص ١٥

٣- تاريخ القرآن ص ٢٨

## ٧- سورة ابراهيم : مكية

قال الزركشى : سوى آيتين نزلتا فى قتلى بدر من المشركين وهما قوله تعالى :  
«الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دارالبوار . جهنم يصلونها وبئس  
القرار، (١) الاية رقم : ٢٨ و ٢٩ .

والاصل فى ذلك : ماروى عن سعد عن عمر بن الخطاب قال : الذين بدلوا  
نعمة الله كفراً ، هما : الافجران من قريش : بنو المغيرة وبنو امية . اما بنو المغيرة  
فكفيتمومهم يوم بدر . اوقال : استأصلهم الله يوم بدر . واما بنو امية فتمتعوا الى  
حين (٢) وهكذا روى عن الامام الصادق ، وزاد : بلى هى قريش قاطبة (٣) .  
لكن لادلالة فى ذلك على انهما نزلتا يوم بدر او بعده . وانما كانت وقعة بدر  
مصادقا من مصاديق البوار الذى انذروا به . اما المصداق الاوفى فهى جهنم يصلونها  
وبئس القرار . فهذا الاستثناء كان نتيجة عدم التدبر فى تأويل الاية بزعم أنه السبب  
الداعى للنزول !

## ٨- سورة الحجر : مكية

قال جلال الدين : وينبغى استثناء قوله تعالى : «ولقد علمنا المستقدمين منكم  
ولقد علمنا المستأخرين» الاية رقم : ٢٤ . لما اخرجه الترمذى : انها نزلت فى صفوف  
الصلاة (٤) .

وقال الحسن : الاقوله تعالى : « ولقد آتيناك سبعاً من المثانى . . » الاية

١- البرهان ج ١ ص ٢٠٠

٢- تفسير الطبرى ج ١٣ ص ١٤٦

٣- العياشى ج ٢ ص ٢٢٩ والشافى ج ١ ص ٨٨٨

٤- الاتقان ج ١ ص ١٥



رقم : ٨٧ . وقوله تعالى : « كما انزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين »  
الاية رقم : ٩٠ و ٩١ . (١)

قلت : سياق الاية يأبى حملها على صلاة الجماعة . بشاهد قوله تعالى قبل  
هذه الاية : « وانا لنحن نحبي ونميت ونحن الوارثون » ، وكذا الاية بعدها : « وان  
ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم » ، وانما المعنى : ولقد علمنا بالاموات الماضين  
وبالاحياء الباقين (٢) . اما رواية الترمذى فهى مقطوعة وفى اسنادها ضعف ، مضافاً  
الى عدم انسجامها مع الاية .

واما استثناء الاية رقم : ٨٧ فمستند الى قول مجاهد : ان سورة الفاتحة نزلت  
بالمدينة . وتقدم انها هفوة منه ، والاجماع على خلاف قوله (٣) .

واما آية المقتسمين ، فزعموها نزلت فى اليهود والنصارى ممن آمنوا ببعض  
القرآن وكفروا ببعض (٤) لكنه زعم باطل ، لان اليهود لم يؤمنوا بالقرآن اطلاقاً ،  
ولم يكونوا هم المنزل عليهم . نعم كان ايمانهم بالكتب النازلة عليهم كذلك يؤمنون  
بالبعض ويكفرون بالبعض .

والصحيح ان الاية المذكورة نزلت فى المشركين الذين جعلوا من القرآن  
بعضه سحراً وبعضه اساطير الاولين وبعضه مفترى وغير ذلك ، وكانوا يتفرون على ابواب  
مكة يصدون الناس عن القرآن ويقولون على الله الكذب . (٥) وقد روى العياشى عن  
الامامين الباقر و الصادق عليهما السلام : انها نزلت فى قريش (٦) .

١- مجمع البيان ج ٦ ص ٣٢٦

٢- راجع : الطبرى ج ١٤ ص ١٦ و ص ١٨

٣- راجع : الاتقان ج ١ ص ١٢

٤- تفسير الطبرى ج ١٤ ص ٤٢

٥- راجع : الميزان ج ١٢ ص ٢٠٥

٦- تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٥١ - ٢٥٢

## ٩- سورة النحل : مكية

قال قتادة : الاقوله : «والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا...» الآية رقم

٤١ و ٤٢ . وقيل : الى آخر السورة نزلن بالمدينة . (١)

وعن عطاء بن يسار : استثناء قوله : « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم

به ... الى آخر السورة - وهن ثلاث آيات - نزلن في حادثة أحد ، بعد مقتل حمزة

عليه السلام . (٢)

وفي رواية عن ابن عباس قوله : «ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ... الى قوله :

بأحسن ما كانوا يعملون» الآية رقم : ٩٥ و ٩٦ نزلنا بالمدينة (٣) .

قلت : اما الآية رقم ٤١ و ٤٢ فلا دلالة فيها على ان المراد هي الهجرة الثانية

الى المدينة ، بل الظاهر منها انها : الهجرة الاولى الى الحبشة ، كما روى ذلك عن

قتادة ايضاً (٤) واما القول بنزول ما بعد آية الاربعين الى آخر السورة بالمدينة فلامستند

له وسياق الايات ايضاً ينافية .

واما الآية رقم ٩٥ و ٩٦ فقول : نزلت بشأن امرء القيس الكندي ، كان قد غضب ارضاً

من عبدان الاشرع الحضرمي . فشكاه الى النبي ﷺ فانكر امرؤ القيس ،

فاستحلفه فاستعظم ان يحلف كاذباً ، فنزلت الآية (٥) . وهذه القصة وقعت بالمدينة !

لكن القصة لم تثبت ، ولهجة الآية عامة ، وسياقها يشهد بانسجامها الوثيق مع

آيات قبلها ، تهدف تقريباً عنيفاً باولئك المشركين المعاندين . وملاحظة عابرة بالآية

---

١- الاتقان ج ١ ص ١٥

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ١٣٥

٣- مجمع البيان ج ٦ ص ٣٢٧

٤- الدر المنثور ج ٢ ص ١١٨

٥- مجمع البيان ج ٦ ص ٣٨٢

تجعلنا نظمئن بأنها مرتبطة تمام الارتباط مع الآية رقم : ٩١ « ووفوا بعهد الله اذا عاهدتم » ، تو كيداً منها ، وتثبيتاً بموقف المؤمنين آنذاك ، فلا يشتروا بما عاهدوا الله عليه ثمناً بخساً : عرض هذه الحياة الدنيا ، تجاه ما اعد لهم من عظيم الاجر والثواب وحسن الخاتمة (١) .

\* \* \*

وأما آية «وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» فقد اختلف المفسرون فيها على ثلاثة اقوال :

الاول : انها نزلت يوم أحد ، عند ما وقف النبي صلى الله عليه وآله على حمزة وقد مثل به ، فما كان اوجع لقبه الكريم . فقال : اما والله لا مثلن بسبعين ، او قال : بثلاثين منهم مكانك !

وهكذا لما سمع المسلمون ذلك ، قالوا : لئن امكنا الله منهم لتمثلن بالاحياء منهم فضلا عن الاموات ، وقال بعضهم : لتمثلن بهم مثله لم يمثلها احد من العرب ! فنزل جبرئيل بالآية ، فكفر النبي ﷺ عن يمينه وامسك عن الذي اراد .!

الثاني : انها نزلت يوم الفتح ، فهم المسلمون ان يقعوا في المشركين ، ويقتلوهم شر قتلة ، تشفياً بما كانوا فعلوا بهم يوم احد : كان قد اصيب من الانصار يومذاك اربعة وستون ، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة بن عبدالمطلب ، وقدمثل بهم المشركون ! فقالت الانصار : لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لئربين عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة ، وامكن الله المسلمين من المشركين ، نزلت الآية للاخذ من حدة المسلمين ، وان لا يتجاوزوا حدود ما انزل الله !

الثالث : أنها عامة في كل ظلم ، يحاول المظلوم الانتقام من الظالم ، بعدما يمكنه الله منه .



وهذه الآية جاءت مزيجة بين الانتقام العادل والصفح الجميل ، الامر الذى يتناسب مع حالة المسلمين يوم كانوا بمكة . ومن ثم قالوا : انها منسوخة بآية القتال . وهى نظيرة قوله تعالى : «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين» وقوله : «فان قاتلوكم فاقتلوهم» (١) نزلت اوائل عهد المسلمين بالمدينة . وهذا الرأى الاخير هو الصحيح ، نظراً الى سياق الآية نفسها ، ومناسبتها الوثيقة مع آيات قبلها وبعدها :

قال تعالى : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي احسن ...»

«وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ...»

«واصبر وماصبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون» (٢) . وهذه الآية جاءت تصبر النبى ﷺ على اذى المشركين وتسليه عن حزنه عليهم لاحزنه منهم ، وهو دليل على ان الآية نزلت يوم كان المشركون صموداً تجاه دعاء النبى ﷺ ومتعرضين اذاه . وكانت نفوس مؤمنة تأبى تحمل الضيم ، وتحاول الانتقام منهم مهما كلف الامر (٣) .

## ١ - سورة الاسراء : مكية

قالوا : فيها سبعة عشرة آية نزلن بالمدينة ، وهن : ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٧ . وهذه مبالغة فى القول ، لاسند لاكثرها ، واليك بعض التفصيل :

الآية الاولى : قوله تعالى : وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر

١- سورة البقرة : ١٩١

٢- سورة النحل : ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧

٣- راجع : مجمع البيان ج ٦ ص ٣٩٣ والدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥

تبديراً» الآية رقم : ٢٦ .

قيل : نزلت بالمدينة بعد ما فتح الله خيبر على رسول الله ﷺ فاعطى فاطمة

فدكاً (١) .

واخرج ابو جعفر الطبرى عن السدى عن ابى الديلم ، قال : قال على بن الحسين  
- عليهما السلام - لرجل من اهل الشام : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ! قال : أفأقرأت  
فى بنى اسرائيل : « وآت ذا القربى حقه » ؟ قال : وانكم للقراة التى امر الله - جل  
ثناؤه - ان يؤتى حقه ؟ قال ﷺ . نعم . (٢)

واخرج الحافظ الحسكاني حديث نزول الآية بشأن اعطاء رسول الله ﷺ

فاطمة - عليها السلام - فدكاً ، باسانيد وطرق عديدة (٣) .

قلت : ولكن ظاهر الآية كونها شريعة عامة ، وظيفة لكل مسلم ، وجاءت  
مجملة بوجوب الانفاق على ذوى القربى والمساكين ، كما هو طابع التشريعات  
المكية ، ثم فصلت حدودها بعد الهجرة بالمدينة .

والآية بعمومها شاملة للنبي ﷺ فهو ايضاً مأمور بمواصلة الارحام والانفاق  
عليهم وعلى الفقراء ، كأحد المسلمين .

اذن فالآية - لعلها - نزلت للمرة الثانية بعد فتح خيبر ، وبعد ما افاء الله على  
رسوله والمؤمنين ، نزل بها جبرئيل يذكره بها وجوب مواصلة قرباه ، فدعى فاطمة  
- عليها السلام - واعطاها فدكاً ، ولادليل على ان الآية نزلت - فى اول نزولها -  
حينذاك .

اولعل الآية التى نزلت بخيبر ، بشأن مواصلة القربى ، كانت غيرها : فقدورد

فى حديث «منهال بن عمرو» بالشام - ايضاً - عن على بن الحسين زين العابدين ﷺ

١- الدر المنثور ج ٤ ص ١٧٧ . ومجمع البيان ج ٦ ص ٤١١ .

٢- تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٥٣ .

٣- شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٣٨ - ٣٤١ .

فى قوله تعالى : «ما افاء الله على رسوله من اهل القرى ، فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل» (١) . واهل القرى : هم بنو قريظة وبنو النضير . والقرى ، هى : فدك وخيبر وعرينة و ينيع ، اصبحت غنائم فى يد المسلمين . وقد نزلت الاية بشأنها حينذاك (٢) .

فلو صح ان جبرئيل عليه السلام جاء بالاية الاولى ايضاً ، فهو تذكير للنبي صلى الله عليه وسلم بحكم سابق ، وتاكيد لحكم حاضر . هذا اذا لم يكن الراوى قد اشتبهت عليه احدى الايتين بالاخرى !

\* \* \*

الاية الثانية : قوله تعالى : «ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلاً»  
الاية رقم : ٣٢ .

الاية الثالثة : قوله تعالى : «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق» الاية  
رقم : ٣٣ .

والقائل باستثناء هاتين الايتين لم يعلل استثناءه بشيء (٣) .  
ولعله نظر الى ظاهر تشريع حرمة الزنا وقتل النفس ، حيث كان تشريع الاحكام بالمدينة !

لكن فاته ان تحديدات الحدود وتفصيل الاحكام جاءت بالمدينة ، اما اساس الشريعة وكليات الاحكام فى صورها الاجمالية فقد جاءت فى سورمكية وبمكة كثيراً . وهاتان الايتان جاءتا بمكة على نفس النمط .

قال السدى : آية : «ولا تقربوا الزنا» نزلت يوم لم تكن حدود . فجاءت بعد

١- سورة الحشر المدنية : ٨ .

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠-٢٦١ . وجاء فى الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ اشارة .

٣- تاريخ القرآن : الزنجاني ص ٢٨ .



ذلك في سورة النور - وهي مدنية - (١). وقال الضحاك في آية القتل : كان هذا بمكة ، والنبي ﷺ بها. وهو اول شيء نزل من القرآن في شأن القتل ، كان المشركون يقاتلون اصحاب النبي ﷺ يومذاك ، فهم اصحابه ﷺ ان يفعلوا بهم مثل ذلك ، فقال - جل ثناؤه - : من قتلكم فلا يحملنكم عمله على ان تقتلوا اباه او اخاه او احداً من المشركين ، كما كانت العادة الجاهلية جارية على قتل الاخ باخيه او آخرين من افراد قبيلته ، فلا يقتلن احدكم الا القاتل نفسه (٢) .

\* \* \*

الاية الرابعة : «اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب»  
الاية رقم : ٥٧ .

و الاية ، بقرينة الاية قبلها تتناسب مع نزولها بمكة ، ولم نعرف وجه هذا الاستثناء الذي جاء في المصحف الاميرى وغيره !

الخامسة : «وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن» الاية رقم : ٦٠ .

جاء هذا الاستثناء في كلام جلال الدين ، نظراً لان الاية نزلت في رؤيا رسول الله ﷺ اهمته ، رأى بنى امية ينزون على منبره نزوا القردة فساءه ذلك ، ولم يرضاحكاً حتى مات ﷺ (٣) .

هذا ... والنبي ﷺ لم يكن له منبر بمكة !

وقد تقدم كلامنا في ذلك ، وانه ﷺ ارى اعتلاء دعوته المباركة ، وارى ايضاً تناول ايدي الغاصبين لمنصبه الالهى فساءه ذلك (٤).

١- الدر المنثور ج ٤ ص ١٧٩ .

٢- نفس المصدر ص ١٨١ .

٣- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩١ .

٤- تقدم في صفحة : ١٢٦

\* \* \*

السادسة و السابعة والثامنة : قوله تعالى : « وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذأ لاتخذوك خليلا . ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذأ لاذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لاتجدلك علينا نصيراً »  
الايات رقم : ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ .

لاشك ان الايات مكيات ، نزلن بشأن مشركى قريش عرضوا على النبي ﷺ مسالته مع آلهتهم ، فنهزم نهراً ، ونزلت الايات تثبيتاً بموقف النبي ﷺ ذلك المشرف ، و تقيساً للمشركين نهائياً ، لثلا يطمعوا فى رسول الله ، وهو داعية السى التوحيد الخالص ونبذ الاشراك كلياً ، ان يجامل فيما يناقض دعوته السى الله وحده لاشريك له ! (١) .

ولم نعرف وجهاً صحيحاً لاستثناء هذه الايات الثلاث ، كما جاء فى كلام جلال الدين (٢) وفى المصحف الاميرى وغيرهما !

\* \* \*

التاسعة والعاشره : قوله تعالى : « وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذأ لايلبثون خلافاك الا قليلا . سنة من قد ارسلنا قبلك ولن تجد لسنة الله تحويلاً »  
الايات رقم : ٧٦ و ٧٧ .

وجه الاستثناء : ما قيل فى سبب نزولهما : ان اليهود اتوا النبي ﷺ وقالوا له : ان كنت نبياً فأت الشام ارض الانبياء ، فصدقهم على ذلك . وغزا غزوة تبوك ، لا يريد الا اللحاق بالشام ، فلما بلغ تبوك انزل الله عليه هاتين الايتين ، فأمره بالرجوع الى المدينة ، ففيها محياه ومماته ومبعثه يوم القيامة (٣) .

١- راجع : مجمع البيان ج ٦ ص ٤٣١ . والدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ .

٢- الاتقان ج ١ ص ١٥ .

٣- مجمع البيان ج ٦ ص ٤٣٢ . والدر المنثور ج ٤ ص ١٩٥ .

لكنه معارض بماورد: انهما نزلتا بشأن مشركى مكة، هموا باخراج الرسول من مكة بنفس الاسلوب ، قالوا له ﷺ : كانت الانبياء - عليهم السلام - يسكنون الشام فما لك وسكنى هذه البلدة ! او هموا باخراجه عنفاً ، لان الاستفزاز هو الازعاج بعنف ، وظاهر الاية يرجح المعنى الثانى ، كما ان المشركين لما فعلوا ذلك بعدئذ طبقت عليهم سنة الله فى الخلق ، بدأت بقتلى بدر ، وانتهت بفتح مكة واخراج المشركين منها نهائياً (١) .

\* \* \*

الحادية عشرة الى الرابعة عشرة : قوله تعالى : « اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهوداً . ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً . وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً . وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » الايات رقم : ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ .

زعم المستثنى : انها من تنمة الايتين السابقتين نزولا بالمدينة (٢) . وهو زعم باطل ، بعد ان لم يثبت الاصل فكيف بالفرع ! وقد اخرج ابونعيم والبيهقى عن ابن عباس : ان قوله : « وقل رب ادخلنى مدخل صدق ... » نزل بمكة قبيل هجرته ﷺ (٣) . على ان الايات فى سياقها المتصل ، سبقاً ولحوقاً ، بنفسها تشهد بنزولها بمكة ، ولا تنسجم مع القول بنزولها فى المدينة بشيء .

\* \* \*

الخامسة عشرة : قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي »

١- راجع: نفس المصادر.

٢- الاتقان ج ١ ص ١٥

٣- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨ وتفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٠٠



وما اوتيتم من العلم الا قليلا» الاية رقم : ٨٥ .

اخرج جماعة من اهل الحديث : ان هذا السؤال كان من يهود المدينة ، بعد الهجرة (١) .

لكنه معارض بماورد ان هذا السؤال وقع من مشركى قريش ، سألوه عن الروح الذى جاء ذكره فى القرآن (٢) او ان اليهود او عزوا الى المشركين توجيه هكذا سؤال الى محمد صلى الله عليه وآله . قالوا : فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجيبكم فهو نبي (٣) .

هذا مضافاً الى ان ذيل الاية تشهد بانها خطاب مع المشركين ، وعن عطاء بن يسار : ان قوله تعالى : «وما اوتيتم من العلم الا قليلا» نزلت بمكة (٤) .

\* \* \*

السادسة عشرة : قوله تعالى : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» الاية رقم : ٨٨ .  
اخرج الطبرى : ان الاية نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة ، بسبب قوم من اليهود جادلوه فى تناسق القرآن ، فانكروا تناسقه وزعموا ان التوراة أنسق منه (٥) .

لكن رنة الاية الاخاذة تشي بنزولها بشأن مشركى قريش تحدياً معهم حينما سألوه مخاريق غريبة الى جنب مطالب تافهة ، تجاه نزول القرآن .  
وهذه الاية نزلت تمهيداً للتشنيع المتوجه اليهم فى آيات بعدها : « وقالوا لن

١- الدر المنثور ج ٢ ص ١٩٩ وتفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٠٥

٢- راجع : مجمع البيان ج ٦ ص ٢٣٧ . والدر المنثور ج ٢ ص ١٩٩ .

٣- نفس المصدر

٤- تفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٠٦

٥- نفس المصدر

نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً» الى تمام الاربعة آيات ، والتي تستتبعها الى الاية السابعة والتسعين . فراجع نفس الآيات .

\* \* \*

الاية الاخيرة وهى السابعة عشرة : قوله تعالى : «قل آمنوا به اولا تؤمنوا به ان الذين اتوا العلم من قبله اذابتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً» الاية رقم : ١٠٧ . قال جلال الدين : نزلت بالمدينة ، لما اخرجناه فى اسباب النزول (١) . لكنه لم يخرج شيئاً بهذا الشأن ، لافى لباب النقول ولافى الدر المنثور !! والاية بسياقها تشهد بانها مكية ، نزلت توييحاً لصمود المشركين تجاه نزول القرآن وابعاءهم عن الايمان به ، وتلميحاً بان هذا العناد هو اثر الجهل الاعمى والتوحش الفادح الذى تمكن من نفوسهم القاسية ، اماهل المدنية والثقافة فانهم اذالمسوا من حقيقة القرآن الواضحة يؤمنون به فوراً بلاارتباب ، كناية بان هؤلاء المشركين بعيدون عن الحضارة والعلم ، ومن ثم هذا التأنف والشموخ الجاهل . !

\* \* \*

## ١١ - سورة الكهف : مكية

استثنى بعضهم منها اثنتين وثلاثين آية : زعمها نزلت بالمدينة . وهذا اسراف فى القول ، لان هذا يعنى : ان ثلث السورة ، ولاسيما ثمانى آيات من اولها مدنية ، فكان جديراً ثبوتها فى المدنيات ! قال جلال الدين : استثنى من اولها الى قوله : «جرزاً» الايات رقم : ١ - ٨ نزلت بالمدينة (٢) .

ولادليل لهذا الاستثناء اطلاقاً ، مضافاً الى استلزامه ان تكون السورة مدنية

---

١ - الاتقان ج ١ ص ١٥

٢ - نفس المصدر

لامكية ! لان الاعتبار في المكية والمدنية انما هو بمفتتح السورة وشيء من آيات من أولها . هذا والاجماع منعقد على ان سورة الكهف مكية لاختلاف فيها (١) .  
ولعل المستثنى نظر الى قوله تعالى : « وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً »  
الاية رقم : ٤ .

ولكن ذلك لا يستدعي نزولها بالمدينة لمناسبة وجود اليهود فيها ، بل هي عامة تشمل النصارى والمشركين ايضاً ، على ان نزول آية بشأن قصة يهودية لا تستوجب مقارنة نزولها يوم كانوا ينادون الاسلام ، والايات بهذا النمط كثيرة في سور مكية ، وذلك لوجود الصلة القريبة بين اليهود والمشركين قبل مهاجرة النبي ﷺ الى المدينة ، كما تقدمت الاشارة الى ذلك .

\* \* \*

وقال ايضاً باستثناء قوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي .. الى قوله : فرطاً » الاية رقم : ٢٨ (٢) .  
زعموها نزلت في عيينة بن حصن ، عرض على رسول الله ﷺ وهو آنذاك بالمدينة ، ان يتباعد مجلس فقراء المؤمنين ، ان كان يريد اسلام عظماء البلد (٣) .  
لكن الصحيح انها نزلت في أمية بن خلف ، عرض عليه ﷺ ذلك وهو بمكة فدعى النبي ﷺ الى طرد الفقراء وتقريب صناديد قريش (٤) ولهجة الاية وسياقها ايضاً تشي بذلك .

\* \* \*

وفي المصحف الاميرى وتاريخ القرآن للزنجاني : استثناء قوله تعالى :

١- راجع : الدد المنشور ج ٤ ص ٢٠٨

٢- الاتقان ج ١ ص ١٥ ، وتاريخ الزنجاني ص ٢٩

٣- الدد المنشور ج ٤ ص ٢٢٠

٤- اسباب النزول للسيوطي بهامش الجلالين ج ١ ص ٢٣٠ والدد المنشور ج ٤ ص ٢٢٠



«ويسألونك عن ذى القرنين ... الى قوله :لايستطيعون سمعاً» الايات رقم : ٨٣ - الى  
١٠١ تسع عشرة آية .

زعموا ان الذين وجهوا هذا السؤال الى النبي ﷺ كانوا هم اليهود انفسهم ،  
ومن ثم كان نزول الايات - بصدد الاجابة - فى المدينة (١) .  
والصحيح ان المشركين هم الذين سألوا هذا السؤال ، لكن بتعليم من اليهود ،  
كان المشركون بعثوا من يسأل اليهود عن اوصاف رسول الله ، فاجابوهم بأسئلة يوجهونها  
الى رسول الله ﷺ فان أجاب فهو نبي حقاً :

روى ابو جعفر الطبرى : ان قريشاً بعثت النضر بن الحرث وعقبة بن ابى معيط  
الى احبار اليهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، واخبروهم  
بقوله ، فانهم اهل الكتاب الاول - التوراة - وعندهم علم مالمس عندنا ، من علم  
الانبياء . فخرجوا حتى قدما المدينة ، فسألوا احبار اليهود عن رسول الله ﷺ - ووصفوا  
لهم امره وبعض قوله ، وقالوا : انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا  
هذا . فقالت لهم احبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فان اخبركم بهن فهو  
نبي مرسل ، وان لم يفعل فالرجل متقول . سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ، ما كان  
من امرهم ، فانه قد كان لهم حديث عجيب . سلوه عن رجل طواف بلغ مشارق  
الارض ومغاربها ، ما كان نبأوه ؟ . سلوه عن الروح ماهو ؟ فان أخبركم بذلك فانه  
نبي فاتبعوه ... الخ . والحديث طويل وفى نفس الوقت طريف (٢) .

\* \* \*

وفى الاتقان جاء استثناء قوله تعالى : «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت

---

١- الدر المنثور ج ٤ ص ٣٢٠

٢- جامع البيان ج ١٥ ص ١٢٧ و ج ١٦ ص ١٧ والدر المنثور ج ٤ ص ٢١٠ ولباب النقول

فى اسباب النزول بهامش الجلالين ج ١ ص ٢٢٨

لهم جنة الفردوس نزلاً - الى آخر السورة . الايات رقم : ١٠٧ - الى - ١١٠ اربع آيات (١) .

هذا .. ولم يبين سند هذا الاستثناء الغريب ! ولعله سهو او جزاف من الكلام ، اذ لا شيء في الايات يصلح دليلاً على مدنيتهما ، ولاورد في تفسيرها ما يتناسب ونزولها بالمدينة !!

## ١٢ - سورة مريم : مكية

قال جلال الدين : استثنى منها آيتان (٢) :

١- آية السجدة : «اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم - الى

قوله - : خروا سجداً وبكياً» الآية رقم : ٥٨ .

ويكذبه : ان هذه الآية نزلت تعقياً على الايات التي سبقتها من اول السورة الى هنا ، ذكرت احوال الانبياء وامم سالفه بتفصيل ، ثم جاء مدحهم جميعاً بصورة اجمالية في هذه الآية ، كانها تلخيص لتلك السمات والاصناف ، وكانت نتيجة عليها ، فاما ان نقول بان جميعها من اول السورة الى هذه الآية مدنية او كلها مكية ، ولا موقع لهذا الاستثناء الغريب ، والذي لم يبين المستثنى سنده في ذلك !؟

٢- قوله تعالى : «وان منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً» الآية

رقم : ٧١ .

وهذه كسابقها مرتبطة تمام الارتباط بآيات اكتنفتها سبقاً ولحوقاً ، بما لا يدع مجالاً لاستثنائها وحدها .

---

١- الانتقال ج ١ ص ١٥

٢- نفس المصدر

## ١٣ - سورة طه : مكية

استثنى منها آيتان : الاولى قوله تعالى : «فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الفجر وقبل الغروب» الآية رقم : ١٣٠ .

لكن الآية تفريع على آيات سبقتها ، مضافاً الى لهجتها الخاصة بآيات مكية .  
وورد في تفسيرها ما يؤكد نزولها بمكة (١) .

الثانية قوله تعالى : «ولاتمدن عينيك الى ما تمنعنا به ازواجاً منهم ...» الآية

رقم : ١٣١ .

قال جلال الدين : لما اخرج به البزار عن ابي رافع ، كان بعثه النبي ﷺ ليستسلف من يهودى طعاماً ، فابى الابرهن ، فحزن رسول الله ﷺ على ذلك ، فنزلت الآية (٢) .

لكن القصة - على فرض صحتها - لاتصلح داعية لنزول هذه الآية بشأنها ، ولا مناسبة بينها وبين فحوى الآية رأساً .

## ١٤ - سورة الانبياء : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من اطرافها» الآية رقم : ٤٤ . ولم يذكروا سند الاستثناء (٣) .

لكن السياق مكى بلا كلام . وجاءت نظيرتها في سورة الرعد : ٤١ ايضاً ، ولهجتها مكية ، لولا اتفاق روايات الترتيب على مدينتها - على ما سبق .

---

١- الطبرى ج ١٦ ص ١٦٨

٢- الاتقان ج ١ ص ١٦ . وراجع : تفسير الطبرى ايضاً ج ١٦ ص ١٦٩

٣- الاتقان ج ١ ص ١٦



## ١٥- سورة المؤمنون : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «حتى اذا اخذنا متر فيهم - الى قوله - : مبلسون»  
ثلاث عشرة آية من رقم : ٦٤ - الى - ٧٧ . (١)  
ولاشاهد لهذا الاستثناء بتاتا . ولعل المستثنى نظر الى روايات فسرت العذاب  
بماصيب المشركون يوم بدر او يوم الفتح . لكنه غفل عن أنها تفسير لوعد سابق ،  
لاحكاية عن أمر كان . راجع ابا جعفر الطبرى وغيره (٢) .

## ١٦- سورة الفرقان : مكية

استثنى منها ثلاث آيات : ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ .  
لكن الايات منسجمة مع قربانها سبقا ولحوقاً تمام الانسجام ، بما يستحيل  
استثناؤها لوحدها . وفي تفسير الطبرى وغيرها ما يؤكد نزولها بمكة فراجع (٣) .

## ١٧- سورة الشعراء : مكية

استثنى منها خمس آيات :  
١- قوله تعالى : «اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل » الاية رقم :  
١٩٧ .  
حكى ابن غرس : انها مدنية (٤) ولعله لماورد في تفسيرها من ان المراد من  
علماء بنى اسرائيل - هنا - هم : اسد واسيد وابن يامين وثعلبة وعبدالله بن سلام (٥) .

١- نفس المصدر

٢- تفسير الطبرى ج ١٨ ص ٢٨

٣- » » ج ١٩ ص ٢٦

٤- الاتقان ج ١ ص ١٦

٥- تفسير الطبرى ج ١٩ ص ٦٩ . والدر المنثور ج ٥ ص ٩٥

لكن وجه الآية بلاشك مع مشركى قريش ، وتوييح لاذع بهم . اما التفسير  
الوارد فلايعنى نزول الآية بعد ايمان هؤلاء اليهود ، وانما هو بيان مصداق من مصاديق  
الآية تحققت فيما بعد .

وقد تقدم (١) مراجعة المشركين الى اليهود فيما يخص معرفة رسول الله ﷺ  
فكانوا يعرفونهم خصائص وسمات كانت موجودة فيه ﷺ والآية انما تعنى ذلك ،  
وان هذا شىء كان يعرفه اهل الكتاب . كما اعترفوا هم قبل هجرته ﷺ وانما  
نكروه بعد ذلك طمعاً فى حطام الدنيا . ولم تعن الآية ايمانهم ، وانما عنت معرفتهم . وبذلك  
لا يصلح التفسير الوارد لتعيين نزول الآية بالمدينة .

٢- ٥ - قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون - الى آخر السورة : اربع  
آيات .

حكى استثناء ذلك عن ابن عباس (٢) . وسند الاستثناء ماروى انها نزلت فى  
رجلين تهاجبا على عهد رسول الله ﷺ احدهما من الانصار والآخر من المهاجرين (٣) .  
لكنه معارض بما هو اقوى سنداً واكثر عدداً : انها نزلت فى مشركى قريش ،  
كان شعراؤهم يهجون رسول الله ﷺ ويقرأها سفلتهم على ملاء من الناس امتهاناً  
بموقف رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت الآية تقریباً بشأنهم وتنديداً بسلوهم  
الشنئ . وقد جاء الطبرسى باسماء هؤلاء المشركين فى تفصيل عريض (٤) . وهكذا  
رجحه ابو جعفر الطبرى (٥) .

١- فى صفحة ١٦٢

٢- الاتقان ج ١ ص ٩ و ١٦٥

٣- الدر المشور ج ٥ ص ٩٩ والطبرى ج ١٩ ص ٧٨

٤- مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٨

٥- جامع البيان ج ١٩ ص ٧٨

## ١٨ - سورة القصص : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون - الى قوله - : سلام عليكم لانبغى الجاهلين» اربع آيات من رقم : ٥٢ الى ٥٥ .  
قيل : نزلت في جماعة من اهل الكتاب كانوا قد اسلموا ، منهم : عبدالله بن سلام وتميم الدارى والجارود والعبدى وسلمان الفارسى (١) .  
وقيل : نزلت في اصحاب النجاشى قدموا المدينة وشهدوا وقعة احد (٢) .  
لكن لو صح تفسير الاية بالمدكورين فانما عنت الاخبار عما سيكون لاعما كان افضلًا عن معارضة هذا التفسير بتفسيرها بجماعة من اهل الكتاب كانوا مسلمين بالنبي ﷺ قبل مبعثه ، وهم اربعون رجلاً على ما جاء في تفسير الطبرسى وتفسير الطبرى وغيرهما فراجع (٣) .  
ويؤكد ما ذكرنا قوله تعالى : «ولانجادلوا اهل الكتاب الابالتي هى احسن ، الاالذين ظلموا منهم ...» الاية رقم : ٤٦ من سورة العنكبوت .  
هذه الاية مكية وردت بشأن مجادلة اهل الكتاب .  
وقوله تعالى - ايضاً - : «وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به ...» الاية رقم : ٤٨ من نفس السورة . وهى مكية ايضاً بالاتفاق .

وهذه نظيرة الاية المبحوث عنها تماماً ، اخبار عما سيكون .

\* \* \*

واستثنى منها - ايضاً - قوله تعالى : «ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى

---

١ - مجمع البيان ج ٧ ص ٢٥٨

٢ - الاتقان ج ١ ص ١٦

٣ - مجمع البيان ج ٧ ص ٣٥٨ وجامع البيان ج ٢٠ ص ٥٧ والدر المنثور ج ٥ ص ١٣٣



معاد ...» الآية رقم : ٨٥ .

قيل : نزلت على رسول الله ﷺ وهو مهاجر الى المدينة ، عند وصوله الى الجحفة (١) فالاية - على الاصطلاح الثانى (٢) - لامكية ولامدنية .  
لكن الاختيار المشهور هو المصطلح الاول . وعليه فالاية مكية . وقد سبق ذلك .

## ١٩ - سورة العنكبوت : مكية

استثنى من اولها الى الآية الحادية عشرة ، قالوا : نزلن بالمدينة (٣) قالوا :  
نزلت الايات فى اناس من الملمين تخلفوا عن الهجرة ، ثم كتب اليهم اصحاب  
رسول الله ﷺ فى ذلك ، فعمدوا الى المهاجرة فرددتهم قريش ووقع بينهم قتال  
وعنف (٤) .

لكن الاية عامة ، نزلت فى مؤمنى مكة وقعوا تحت شدة ، وكانت ابتلاء لهم  
ليعلم الصادق من الكاذب . وهكذا فسرها ابو جعفر الطبرى (٥) وجاءت به الرواية  
عن الامام ابى عبدالله الصادق عليه السلام (٦) .

هذا فضلا عن ان مفتتح السورة لوصح نزولها بالمدينة لاصبحت السورة  
مدنية ، وفق المصطلح المتقدم (٧) هذا ولم يخالف احد فى مكيتها .

\* \* \*

١- مجمع البيان ج ٧ ص ٢٦٨

٢- تقدم فى ص ١٠٠

٣- الاتقان ج ١ ص ١٦

٤- اسباب النزول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٣٢

٥- جامع البيان ج ٢٠ ص ٨٣

٦- مجمع البيان ج ٧ ص ٢٧٢

٧- تقدم فى ذلك ص ١٠٣

واستثنى منها - ايضاً - قوله تعالى : «وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم» الاية رقم : ٤٠ .

استثناها جلال الدين ، لما رواه ابن ابي حاتم - بسند ضعيف - عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل ، ثم قال ﷺ : «ذمه صبح رابعة منذلم اذق طعاماً ولم أجده . . . قال ابن عمر : فوالله ما برحنا ولارنا حتى نزلت : «وكأين من دابة ...» (١) .  
والرواية مطعون في سندها ، فضلاً عن اضطراب متنها وعدم معقولية فحواها !  
هذا . . . وقدرى عن مقاتل والكلبي : انها نزلت في جماعة من المؤمنين المستضعفين ، ضاق بهم المقام بمكة قبل هجرة الرسول ﷺ ووقعوا في عسر وشدة ، فامروا بالهجرة الى المدينة ، قالوا : كيف نخرج الى بلد ليس لنا به دار ولاعقار ولا معيشة ! فنزلت الاية : «ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فايأى فاعبدون - الى قوله - : وكأين من دابة . . . الخ (٢) .

والرواية الثانية اوفق بنص الكتاب واولى بالاعتبار ، ومن ثم فهى الصحيحة المقبولة !

## ٢٠ - سورة الروم : مكية

جاء في المصحف الاميرى وتاريخ القرآن لابي عبدالله الزنجانى : استثناء قوله تعالى : «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون» الاية رقم : ١٧ . (٣)  
ولاسند لهذا الاستثناء ، فضلاً عن ارتباطها الوثيق مع آيات سبقتها وآيات لحقتها !

١ - الاتقان ج ١ ص ١٦ . والدر المنثور ج ٥ ص ١٤٩

٢ - مجمع البيان ج ٨ ص ٢٩٠

٣ - تاريخ القرآن ص ٣٠

## ٢١- سورة لقمان : مكية

روى عن ابن عباس : استثناء قوله تعالى : « لو ان مافى الارض من شجرة اقلام والبحر يمد من بعده سبعة ابحر - الى قوله - : بما تعملون خبير » ثلاث آيات رقم : ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

وذلك لانه - رضى الله عنه - روى فى سبب نزولها : ان احبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة انا قد اوتينا التوراة وفيها علم كثير ، فقال ﷺ : انها فى جنب علم الله قليل ، فنزلت الايات (١) .

ولكن التعليل ان كان يتناسب مع الاية رقم : ٢٧ فرضاً ، فانه لا يتناسب مع الايتين بعدها ، ولا يصلح داعية لنزولهما البتة .

والصحيح ان الايات الثلاث ، هى كسوابقها ولوا حقها منسجمة بعضها مع بعض وهى جميعاً عرض لعظمة رب العالمين ، لا يدانيه احد ، ولا يماثله شىء . . . فلا سبب يفصلها عن قريناتها ، ومن ثم لا وجه لاستثنائها اصلاً .

ولو صحت الرواية المذكورة عن ابن عباس ، فلا بد انه ﷺ قرأها عليهم حينما عرضوا عليه ذلك التحدى الغريب ! لأنها نزلت حينذاك .

## ٢٢- سورة السجدة : مكية

استثنى منها قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون » الاية رقم : ١٦ .

قال جلال الدين : لما خرج البزار وابن مردويه عن بلال ، قال : كنا جلوساً وناس من اصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب الى العشاء فنزلت (٢) .

١- الدر المنثور ج ٥ ص ١٦٧ . والاتقان ج ١ ص ١٦

٢- الاتقان ج ١ ص ١٦ . والدر المنثور ج ٥ ص ١٧٥



قلت : الاية عامة . وانسجامها مع قريناتها من آيات بادية الوضوح . فضلاً  
عن عدم الثامها مع فحوى الرواية فى شىء .

\* \* \*

وفى المصحف الاميرى وتاريخ الزنجانى : استثناء قوله تعالى : «فلا تعلم نفس  
ما اخفى لهم من قرآءة أعين» الاية رقم : ١٧ .  
ولعل ذلك نظراً لانها تتميم للاية السابقة . والاصح انها كسابقتها عامة .

\* \* \*

وروى عن ابن عباس استثناء قوله تعالى : «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً  
- الى قوله - نزلاً بما كانوا يعملون» ثلاث آيات رقم : ١٨ و ١٩ و ٢٠ (١) .  
وذلك لما روى بطرق واسانيد كثيرة ومعتبرة : انها نزلت فى على بن ابيطالب  
عليه السلام والوليد بن عقبة بن ابي معيط ، فى مشاجرة جرت بينهما يوم بدر ، قال له الوليد :  
اسكت فانك صبي وانا ابسط منك لسانا واحدمك سنانا وارد منك للكثيبة ! فقال له  
على عليه السلام : على رسلك فانك فاسق ، وليس كما تقول .  
اخرجهما ابو الفرج الاصبهاني فى كتاب الاغانى . والواحدى فى اسباب النزول  
وابن مردويه . والخطيب البغدادي . وابن عساكر من طرق عن ابن عباس . واخرجهما  
ابن اسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار . واخرجهما ابن ابي حاتم عن السدى  
وعبدالرحمان بن ابي ليلي . فالؤمن الذى عنته الاية الكريمة هو على بن ابيطالب .  
والفاسق هو الوليد (٢) .  
واخرجهما الحافظ الحسكاني باثنى عشر طريقاً ، ربما بلغت بذلك حد التواتر (٣) .

---

١- الاتقان ج ١ ص ٩

٢- راجع : الدر المنثور ج ٥ ص ١٧٨ . وتفسير الطبرى ج ٢١ ص ٦٨ . والنيسابورى

بهامش الطبرى ج ٢١ ص ٧٢ . ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٢ .

٣- شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٥٣

قلت : سياق الآية عام ، وهي مرتبطة مع بقية الآيات ، سابقة ولاحقة . يبدو ذلك لادنى مراجعة الى السورة .

نعم يجوز نزول آية مرة ثانية لمناسبة تستدعي ذلك ، الامر الذى حدث فى كثير من آيات سوف ننبه عليها . ويحتمل ان المحاوراة المذكورة بلغت النبى صلى الله عليه وآله فقرأ الآية الكريمة ، تطبيقاً مع المورد ، فقد فسق الوليد هذا فى آيات أخرى ، ونزلت : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » (١) بشأنه الخاص ، أخرجه جلال الدين باسانيدر جالها نقات (٢) .

## ٢٣ - سورة سبأ : مكية

استثنى منها قوله تعالى : « ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد » الآية رقم : ٤ .  
هذه الآية اشارة الى ان اهل العلم الواقعيين يؤمنون بهذا الكتاب ايماناً صادقاً عن علم ويقين ، ولا شك ان الامر كذلك ، فالنابهون العقلاء وارباب الفضيلة والكمال لا يترددون فى الايمان بهذا الكتاب العزيز الذى لا ريب فيه ، فور معرفتهم به . وهذا شأن كل حق صريح . وهكذا رجح هذا المعنى العلامة الطبرسى ، قال : وهذا اولى ، لعمومه . . . ثم قال : لانهم يتدبرونه ويتفكرون فيه ، فيعلمون بالنظر والاستدلال انه ليس من قبل البشر (٣) .

لكن ابا جعفر الطبرى فسر الآية - ابتداء - بمسلمى اهل الكتاب كعبد الله

١- سورة الحجرات : ٤

٢- باب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٨٠ - ٨٢ . واخرجه ايضاً اصحاب مجاميع

معتبرة فراجع .

٣- مجمع البيان ج ٨ ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

ابن سلام ونظرائه (١) . ومن ثم زعم بعضهم ان الاية مدنية نزلت بعد اسلام هؤلاء (٢) . هذا .. و ابو جعفر لم يستند في تفسيره ذلك الى نقل مأثور (٣) وانما نقل عن قتادة : انهم اصحاب محمد ﷺ السابقين الاولين ممن وجدوا الاسلام حقيقة ناصعة فاحتضنوها عن معرفة . يقين . فنقله يختلف عن رأيه هو !

\* \* \*

واستثنى منها - ايضاً - قوله تعالى : «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية - الى قوله - : وربك على كل شيء حفيظ» سبع آيات : ١٥ الى ٢١ .  
 يروى عن فروة بن مسيك : انه سأل رسول الله ﷺ اوسمع رجلاً يسأله ﷺ عن سبأ : جبل ام ارض ، رجل ام امرأة ؟ فنزلت الايات ، وكان هذا السؤال بعد مرجعه من غزو قبائل سبأ ، ارجعه رسول الله ﷺ لانه لم يؤمر بذلك (٤) .  
 قال ابن الحصار : وهذا يدل على ان نزول الايات كان بالمدينة ، لان مهاجرة فروة كانت بعد اسلام ثقيف سنة تسع من الهجرة (٥) .  
 لكنه قال بعد ذلك : ويحتمل ان يكون قوله « وانزل في سبأ ما انزل » حكاية عما تقدم نزوله قبل الهجرة بمكة ، لانزوله حينذاك .  
 قلت : لو صدقت القصة لابد من حمل قوله في ذلك على الحكاية ، اذ بعد جداً نزول آية او آيات لمجرد سؤال رجل كان جوابه ﷺ كافياً لارضاء حس استطلاعهم - كما جاء في الرواية - ولم يستدع تفصيلاً تعرضت له الايات .

١- جامع البيان ج ٢٢ ص ٢٢

٢- الاتقان ج ١ ص ١٦

٣- وفي المجمع ج ٨ ص ٣٧٨ : انه قول الضحاك

٤- مجمع البيان ج ٨ ص ٣٨٦ . وجامع البيان ج ٢٢ ص ٥٣ . والدر المنثور ج ٥

ص ٢٣١ .

٥- الاتقان ج ١ ص ١٦



على ان ملاحظة عبرى بشأن قصة سبأ كماوردت فى القرآن تكفى للدلالة على ان الهدف منها عام كسائر القصص الواردة فى القرآن تروم توجيه البشرية الى معالم السير الصحيح ، تنبيها لها على مواضع الخطاء فى حياتها الغابرة ، لتأخذ منها درساً تسير عليه فى حياتها الحاضرة .

والصحيح فى قصة فروة بن مسيك : انه سأل النبى ﷺ عن قصة سبأ بعد أن قرأها فى القرآن ، فسأله ﷺ عن سبأ أ رجل هو ام امرأة ، ام هو اسم ارض ام جبل ؟ فشرح له النبى ﷺ انه رجل من العرب كان له من الاولاد كذا وكذا (١) . وهذا يدل على تأخر السؤال عن نزول الايات .

واخيراً فان الرواية بهذا الشأن عن فروة مضطربة ومتناقضة بعضها مع بعض ، بما يجعل الاستناد اليها فى الحكم بنزول الايات بشأنها مستحيلاً .

فقد اخرج ابن ابى حاتم عن على بن رباح قال : حدثنى فلان - ؟ - ان فروة ابن مسيك الغطفانى - ؟ - قدم على رسول الله ﷺ فقال : يا نبى الله ان سبأ قوم كان لهم فى الجاهلية غزو . وانى اخشى ان يرتدوا عن الاسلام - ؟ - أفأقاتلهم ؟ فقال : ما امرت فيهم بشىء بعد ، فانزلت هذه الاية : «لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ...» (٢) انظر الى هذه الرواية المتفككة سنداً ومتناً واسلوباً ، وعدم اى مناسبة بين مضمونها ونزول هكذا آيات ! ! الامر الذى يجعلنا نطمئن بانها لم تكن من حياكة انسان نابه يلتفت الى مايقوله من كلام !

وهكذا سائر الروايات الواردة بهذا الشأن ، فراجع : الطبرى والدر المنثور وغيرهما فان كانت هكذا مناسبات تستدعى نزول قرآن ، فاجد ربنا ان نقول : انه كان

ينزل بلامناسبة ! !

١- مجمع البيان ج ٨ ص ٣٨٦

٢- لياب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٥٥

## ٢٤- سورة يس : مكية

استثنت منها آيتان :

الاولى : قوله تعالى : «انا نحن نحيب الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه فى امام مبين» الاية رقم : ١٢ .

اخرج الحاكم والترمذى عن ابى سعيد الخدرى ، قال : كانت بنو سلمة فى ناحية من المدينة ، فشكوا الى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد والصلاة معه ، فنزلت الاية ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ان آثاركم تكتب ، فلم ينتقلوا (١) .  
لكن القصة لاتصلح سبباً لنزول جميع فقرات الاية ، لعدم المناسبة ! ولعل رسول الله ﷺ استشهد بفقرة منها بعدما شكوا اليه بعد منازلهم ، حيث افضل الاعمال احمزها .

الثانية : قوله تعالى : «واذ قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لويشاء الله اطعمه ان انتم الا فى ضلال مبين» الاية رقم : ٢٧ .

قال ابن عباس : نزلت بالمدينة بشأن المنافقين (٢) .

لكنها صريحة فى خطابها مع الذين كفروا ، وقد نص ابو جعفر نزولها بشأن المشركين (٣) وهكذا يشهد بذلك سياق الاية ذاتها .

وفى المصحف الاميرى وتاريخ الزنجانى : استثناء الاية رقم : ٤٥ .

ولعله سهو جاء فى اشتباه الرقم . وعلى الفرض فسياقها نفس سياق الاية رقم :

٤٧ والكلام فيها هو الكلام فى تلك .

١- مجمع البيان ج ٨ ص ٤١٨ . والاتقان ج ١ ص ١٦ . والطبرى ج ٢٢ ص ١٠٠ .

٢- الاتقان ج ١ ص ١٦ والمجمع ج ٨ ص ٤١٣ .

٣- جامع البيان ج ٢٣ ص ٩

## ٢٥- سورة الزمر : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا  
فى هذه الدنيا حسنة ، وارض الله واسعة وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب»  
الاية رقم : ١٠ .

نقل السخاوى فى «جمال القراء» عن بعضهم : انها نزلت بالمدينة (١) .  
لكن الاية بنفسها تشى بانها مكية ، نزلت تحرض المؤمنين المستضعفين على  
المهاجرة . وهكذا روى عن ابن عباس (٢) .

\* \* \*

واستثنى - ايضاً - قوله تعالى : «الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى  
تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم...» الاية رقم : ٢٣ .  
حكى ابن الجزرى عن بعضهم - ايضاً - : انها نزلت بالمدينة (٣) .  
لكن لهجة الاية الرنانة الاخاذة بمجامع القلوب ، بذاتها شاهدة على انها مكية ،  
كما أن السياق ايضاً يشهد بذلك ، ولاوجه لهذا الاستثناء بتاتا .

\* \* \*

وهكذا استثنى منها قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم  
- الى قوله - : وانتم لاتشعرون» ثلاث آيات رقم : ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ .  
قيل : نزلن فى وحشى قاتل حمزة اروى ذلك عن ابن عباس بسند ضعيف (٤) .  
نعم اخرج ابن ابى حاتم بسند صحيح عن ابن عباس ، قال : انزلت هذه الاية

---

١- الاتقان ج ١ ص ١٦

٢- مجمع البيان ج ٨ ص ٢٩٢

٣- الاتقان ج ١ ص ١٦

٤- لباب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٦٣



في مشركى اهل مكة (١) وهكذا فسرهما ابو جعفر بعدة طرق (٢) .  
 قلت : لا يستحق وحشى - وهو وحش في صورة انس - ان تنزل عليه بالخصوص  
 آية هي ذات صدى عاطفى رقيق ، وذات اشارات خفية لا يلمسها الا ذوا افهام ناضجة  
 وقرائح متوقدة !  
 قال العلامة الطبرسى : ولا يصح نزولها بشأن «وحشى» لان الاية نزلت بمكة ،  
 ووحشى اسلم بعدها بسنين كثيرة ، ولكن يحتمل ان يكون قرئت عليه الاية فكانت  
 سبب اسلامه (٣) .

## ٢٦- سورة المؤمن (غافر) : مكية

استثنت منها ثلاث آيات :  
 الاولى : قوله تعالى : «وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار» الاية رقم : ٥٥ .  
 قال الحسن : لانها تعنى بذلك صلاة المغرب وصلاة الفجر ، وقد ثبت ان فرض  
 الصلاة نزل بالمدينة (٤) .  
 قلت : وهذا غريب لان الصلاة اول ما فرضت فرضت بمكة ، وكان المسلمون  
 يصلون بها جماعة وفرادى . وتقدم : ان الصلاة هي اول شىء جاء به جبرائيل وعلم رسول الله  
 ﷺ الوضوء والصلاة في بدء بعثته ﷺ (٥) .  
 وايضاً فان صدر الاية : فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك» دليل على مكيتها ،  
 فضلاً عن السياق المتناسب !

١- نفس المصدر

٢- جامع البيان ج ٢٤ ص ١٠

٣- مجمع البيان ج ٨ ص ٥٠٣

٤- مجمع البيان ج ٨ ص ٥١٢

٥- تقدم في صفحة : ٩٥

الثانية والثالثة : قوله تعالى : « ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم - الى قوله - : ولكن اكثر الناس لا يعلمون » الآية رقم : ٥٤ و ٥٧ . قال جلال الدين : اخرج ابن حميد وابن ابى حاتم بسند صحيح - ! - عن ابى العالية ، قال : ان اليهود اتوا النبى ﷺ فقالوا : الدجال منا يخرج فى آخر الزمان . . وجعلوا يعظمون من شأنه ، فانزل الله هاتين الايتين ، وفيهما : « لخلق السماوات والارض اكبر » (١) .

قلت : نعوذ بالله من سفاسف الكلام ، كيف تنزل آية قرآنية فى رد مزعومة تافهة تبجح بها يهودى ، لتجعل المقايسة بين دجل دجال وخلق السماوات والارض؟! ولقد احسن ابو جعفر الطبرى (٢) فلم يذكر شيئاً من تلكم الاحاديث الفارغة التى ملاء بها جلال الدين السيوطى تفسيره ، ونحن ننزه القرآن الكريم منها بتاتا !

## ٢٧- سورة الشورى : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «ام يقولون افترى على الله كذباً - الى قوله - : والكافرون لهم عذاب شديد» ثلاث آيات رقم : ٢٢ و ٢٥ و ٢٦ .

قيل : نزلن فى الانصار . رواه الطبرانى عن ابن عباس بسند ضعيف (٣) .  
وقوله : «ولوبسط الله الرزق لعباده - الى قوله - : خبير بصير» الآية رقم : ٢٧ .  
قيل : نزلت فى اصحاب الصفة . اخرجها الحاكم وصححه (٤) .

قلت : من المستبعد جداً نزول الايات الاول فى الانصار ، اذ كيف يعقل نسبة

١- اللد المشور ج ٥ ص ٣٥٣ . واسباب النزول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٦٥

٢- جامع البيان ج ٢٤ ص ٥٠

٣- لباب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٦٨

٤- نفس المصدر

هذا الكلام اليهم : «افتري - يعنى محمد - على الله كذباً» ١٩  
ثم الرواية تذكر ان الانصار أساؤا الظن برسول ﷺ فحسبوه يقاتل دون  
اهل بيته خاصة ، فنزلت الاية ..!٩

اما الاية الاخيرة فهى عامة ، ولوصحت الرواية عن على عليه السلام فانما تعنى  
شمولها لهم بعمومها ، لانها نزلت بشأنهم الخاص ، اذ ذلك - على هذا الفرض -  
قدح لاذع باهل الصفة ، وحاشا القرآن ان يجرح من عاطفة جماعة من المؤمنين لمكان  
فقرهم !!

\* \* \*

واستثنى - ايضاً - قوله تعالى : «والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون» الى قوله :-  
فاولئك ما عليهم من سبيل» الايات رقم : ٣٩ و ٤٠ و ٤١ .

حكى ابى غرس عن بعضهم : انهن نزلن بالمدينة (١) .  
غير ان السياق مكى لاغير ، وآيات تقدمتها وآيات تأخرتها مرتبطة بهاتمام  
الارتباط ، مما يجعل التفكيك مستحيلا ، وكلهن نزلن بشأن المؤمنين فى مكة ايام  
كانوا مستضعفين ، هذا لايشك فيه من راجع الايات .

## ٢٨ - سورة الزخرف : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا : أجعلنا من دون  
الرحمان آلهة يعبدون؟» الاية رقم : ٤٥ .  
قال قتادة : نزلت ببيت المقدس ليلة المعراج (٢) وقيل : نزلت بالمدينة (٣)  
لكن الاية مرتبطة بقربانها المكتنفة بها ارتباطاً وثيقاً . ونزلت : «اياك اعنى واسمعى

١ - الاتقان ج ١ ص ١٦

٢ - مجمع البيان ج ٩ ص ٣٨ . والدر المشور ج ٦ ص ١٩

٣ - الاتقان ج ١ ص ١٦



ياجارة» فهي مكية بلاشك ،نزلت بشأن المشركين .اما نزولها في السماء (١) او بيت المقدس فلا تجعلها مدنية ،وانما هي مكية باعتبار نزولها قبل الهجرة ،وفق الاصطلاح المتقدم (٢) .

وجاء في المصحف الاميرى ومقلدته : استثناء آية رقم : ٥٤ . ولعله اشتباه في الرقم .

## ٢٩- سورة البجائية : مكية

استثنى منها قوله تعالى : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله » الاية رقم : ١٤ .

قال قتادة : نزلت بالمدينة (٣) .

والصحيح : انها من آيات الصفح التي نزلت بمكة ايام كان المؤمنون مستضعفين ، ومن ثم نسخت فيما بعد ، عندما قويت شوكة الاسلام بالمدينة (٤) .

## ٣٠- سورة الاحقاف : مكية

استثنى منها قوله تعالى : « قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم » الاية رقم : ١٠ .

اخرج الطبراني انها نزلت بالمدينة في قصة اسلام عبدالله بن سلام (٥) .

---

١- الاتقان ج ١ ص ١٦

٢- في صفحة : ٩٩ - ١٠٠

٣- المجمع ج ٩ ص ٧٠ . والاتقان ج ١ ص ١٦

٤- راجع : تفسير الطبري ج ٢٥ ص ٨٧

٥- لباب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٧٢ . والطبري ج ٢٦ ص ٨ . والاتقان ج ١ ص ١٦

قلت : ماغرب ولع المفسرين بكل آية جاء فيها الماح بايمان اهل الكتاب  
فسرعان ما اولوها بعبدا لله بن سلام واضرابه !؟

والصحيح : انها تشنيع بقريش تقاعست عن الايمان بدين جاء على يدرجل  
منهم وعلى لغتهم ، ثم يؤمن به غيرهم من بنى اسرائيل وغيرهم . وانما خص بنو  
اسرائيل بالذكر - هنا - لمزيد عناية العرب آنذك بهم وثقتهم بعلمهم وثقاتهم .  
هذا .. وقد اخرج ابن ابي حاتم عن مسروق قال : انزلت هذه الاية بمكة بشأن  
المشركين ، وهكذا اخرج ابو جعفر الطبرى بعدة اسناد (١) .

\* \* \*

واستثنى - ايضاً - قوله : «ووصينا الانسان بوالديه احسانا - الى قوله - :  
وهم لا يظلمون» خمس آيات رقم : ١٥ الى ١٩ قيل : نزلت الايات فى ابى بكر حيث بر بوالديه  
وفى ابنه عبدالرحمان عندما عقى والديه ، وهما يحاولان اسلامه (٢) .  
لكن الايات فى كلا الموضوعين عامة ، بسدليل صيغة الجمع تعقياً على كل  
من الفقرتين ، فالآيات تصوير تفصيلى عن الذى يبر بوالديه والذى يعقهما بصورة  
عامة (٣) .

وعلى تقدير نزولها بشأن ابى بكر وابنه عبدالرحمان فلاموجب لعددها مدينة  
بعدان كانت تلك القصة بشأنهما - على فرض الصحة - بمكة .

\* \* \*

وكذلك لاوجه لاستثناء قوله : «فاصبر كماصبر اولوا العزم من الرسل» الاية  
رقم : ٣٥ (٤) بعدان كانت لهجتها مكية ، وسياق لحنها موجه الى مشركى قريش ،

١- جامع البيان ج ٢٦ ص ٧٠ . والدر المنثور ج ٦ ص ٣٩ .

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٤١ . والطبرى ج ٢٦ ص ١٣ .

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٨٧ .

٤- الاتقان ج ١ ص ١٦ .

نزلت ايام كان المسلمون على ضعف ومن ثم نسخت بعدئذ بآية القتال .

### ٣١- سورة ق : مكية

اخرج الحاكم وغيره : ان قوله تعالى : «ولقد خلقنا السماوات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب» الاية رقم : ٣٨ نزلت بالمدينة ، ردأعلى مزعومة يهودية ، قالوا : ان الله استراح يوم السبت بعد ان خلق السماوات والارض في ستة ايام من يوم الاحد الى يوم الجمعة (١) .

قلت : اما نزولها ردأعلى تلك المزعومة الباطلة فنعم ، واما انها نزلت بالمدينة فلا ! وذلك لان العرب - كما سبق مراراً - كانوا على اتصال دائم باهل الكتاب ، وربما كانوا يأخذون منهم تعاليم او معارف مما يخص خلق السماوات والارض ، فكانت مشهورة بين العرب المشركين ، فهذا الرد - لوصح انه رد - لا يدل على انه نزل بالمدينة ! فلعل الرواية القائلة بانها نزلت في اليهود : انما تعنى ما ذكرنا ، اي نزلت في تعاليم كانوا بثوها بين العرب .

والشاهد على ان الاية مكية : ما جاء تفريعاً عليها : «فاصبر على ما يقولون ...» التي هي من آيات الصفح المكية ، والتي نسخت فيما بعد .

### ٣٢- سورة النجم : مكية

استثنى منها قوله : «... هو اعلم بكم اذنشأكم من الارض واذانتم أجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى» الاية : ٣٢ .

اخرج الواحدى عن ثابت بن الحرث الانصارى ، قال : كانت اليهود تقول - اذا هلك لهم صبي صغير - : صديق . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : كذبوا ، ما من نسمة يخلقها الله في بطن امه الا انه شقى او سعيد ، فانزل الله عند ذلك : « هو اعلم

١- اللد المنشور ج ٦ ص ١١٠ والاتقان ج ١ ص ١٦



بكم ٠٠٠» (١) .

قلت لوصحت الرواية فلادلالة فيها على نزول الآية بالمدينة ، فلعل قوله اليهود - وهم يشون تعاليمهم الفاسدة بين العرب - بلغت الرسول ﷺ وهو بمكة ، فنزلت الآية بها !

لكن الرواية المذكورة لامساس لها بفحوى الآية رأساً ، لان قوله : ربكم اعلم بكم ٠٠٠» تحليل لقوله : واسع المغفرة» .

يعنى : ان هذا الانسان مفطور على اقتراف مطالب ارضية سافلة وفقاً لفطرته البشرية المتركة من نزعات ورغبات ، والله اعلم بذلك ، ومن ثم عهد على نفسه الغفران ، رحمة بهذا الانسان ورأفة بموقفه الخاص تجاهه ورغباته ونزغاته .

\* \* \*

واستثنى - ايضاً - قوله : «افرايت الذى تولى ٠٠٠» الى تمام الايات التسع

٣٣ الى ٤١ .

قيل : نزلت فى رجل اتى النبى ﷺ عند خروجه الى غزاة ، يطلب مركباً وسلاحاً فلم يجد ، فلقي صديقاً له فقال : اعطني شيئاً . فقال : اعطيك بكرى هذا على ان تتحمل بذنوبى ، فقال : نعم . فنزلت الايات (٢) .

لكن الايات لا تنطبق على فحوى القصة فى شىء ، وانما نزلت فى صنديد من صناديد قريش فى تفصيل ذكره ابو جعفر الطبرى ، فراجع (٣) .

١- لباب القول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٨٩ . والدر المنثور ج ٦ ص ١٢٨

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ١٢٨

٣- جامع البيان ج ٢٧ ص ٤١ - ٤٢

## ٣٣- سورة القمر : مكية

استثنى منها ثلاث آيات :

الاولى : قوله تعالى : «سيهزم الجمع ويولون الدبر» الاية رقم : ٤٥ زعموها نزلت يوم بدر . (١) .

والصحيح : انها وعد بظفر المسلمين فيما يأتى ، فتحقق يوم بدر (٢) .  
الثانية والثالثة : قوله تعالى : «ان المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق عند ملك مقتدر» الايتان رقم : ٥٤ و ٥٥ .  
ولم يذكر المستثنى سبباً لاستثنائهما ! كما لا وجه له بعدملاحظة وحدة السياق ، وذلك الانسجام الوثيق .  
وجاء في المصحف الاميرى : استثناء الايات رقم : ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ . ولعله اشتباه في الرقم اثبتوه من غير تحقيق .

## ٣٤- سورة الواقعة : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «ثلاثة من الاولين وثلاثة من الاخرين» الايتان رقم : ٣٩ و ٤٠ . (٣)  
ولعله لما رواه ابن مسعود من رؤيا رآها رسول الله ﷺ فقصها على اصحابه ثم قرأ عليهم الايتين (٤) وهذه القصة كانت بالمدينة .  
لكن قرائته ﷺ لا تدل على نزولهما حينذاك .

١- باب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٩٠

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ١٩٤ . وراجع : الاتقان ج ١ ص ١٧ و ص ٣٦ . و'الطبرى ج ٢٧

ص ٦٥

٣- الاتقان ج ١ ص ١٧

٤- مجمع البيان ج ٩ ص ٢١٩

واستثنى - ايضاً - قوله : «فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين . أفبهذا الحديث انتم مدهنون . وتجعلون رزقكم انكم تكذبون» : ٧٥-٨٢ لما رواه مسلم والحاكم وغيرهما : ان اصحاب رسول الله ﷺ اصابوا بجذب او نفدت مياههم فى سفر من الاسفار ، او فى غزوة تبوك ، فشكوا اليه فقام ﷺ وصلى ركعتين ثم دعا الله ، فارسل الله سحابة فامطرت عليهم ، فجعل بعض المنافقين يسر الى بعضهم : انما مطرنا بنوء كذا ، فنزلت الايات (١) .

غير ان الايات تأبى الانطباق على هذه القصة ، وانها رد على ناكرى القرآن وحياً من الله العزيز الحميد ، ولا مساس لها بقضية الانواء ، لافى ظاهر الايات ولا فى فحواها . كما ان انسجام الايات سبقا ولحوقا ذلك الانسجام البديع يجعل من قبول الرواية المذكورة مستحيلا .

## ٣٥- سورة الملك : مكية

روى عن ابن عباس : انزلت تبارك الملك فى اهل مكة الاثلاث آيات (٢) . قلت : ليس معنى هذا الكلام : انها نزلت بمكة غير ثلاث آيات نزلن بغيرها ! وذلك لانه قال : فى اهل مكة ، ولم يقل : فى مكة او بمكة ! بل المعنى : ان هذه السورة نزلت تقريراً وتشجيعاً باهل مكة اى المشركين ، فكل آياتها تهديد وتوعيد بشأنهم ، غير ثلاث آيات تخص المؤمنين : اولها قوله تعالى : «ان الذين يخشون ربهم ...» رقم : ١٢ . والثانية قوله : «هو الذى جعل لكم الارض ...» رقم : ١٥ . والثالثة قوله : «قل هو الرحمان آمننا به ...» رقم : ٢٩ .

١- اسباب النزول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٩٢ - ٩٣

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٦



فالصحيح - كما في حديث ابن خديج - : انها نزلت جملة واحدة بمكة (١).

## ٣٦- سورة القلم : مكية

حكى السخاوى فى جمال القراء : استثناء قوله : «انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة - الى قوله - : لو كانوا يعلمون» سبعة عشرة آية رقم ١٧ الى ٣٢ . وقوله : «فاصبر لحكم ربك - الى قوله - : فجعله من الصالحين» ثلاث آيات رقم : ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ . فهذه عشرون آية زعموها نزلت بالمدينة (٢) .

اخرج ابن ابى حاتم وابن جريح : ان ابا جهل قال يوم بدر : خذوهم اخذاً ، فاربطوهم فى الحبال ، ولا تقتلوا منهم احداً ، فنزلت : انا بلوناهم ... الخ (٣) .  
ولكن لامناسبة ظاهرة بين كلام ابى جهل هذا وفحوى الايات المذكورة ، ليكون الداعى لنزولها !

والصحيح : انها نزلت بشأن المشركين عموماً ، انسجماً مع بقية آيات السورة ، وهكذا فسرها العلامة الطبرسى وابو جعفر الطبرى (٤) .  
واما قوله : فاصبر لحكم ربك ... الخ فهى من آيات الصفع المكية بلاريب ، وما ندرى ما وجه هذا الاستثناء الغريب ؟!

## ٣٧- سورة المزمل : مكية

استثنى منها قوله : «واصبر على ما يقولون - الى قوله - : ومهلهم قليلاً» الايتان

١- نفس المصدر

٢- الايتان ج ١ ص ١٧ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٣٣٠

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٣

٤- مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٣٦ وجامع البيان ٢٩ ص ١٩

رقم : ١٠ و ١١ . حكاها الاصبهاني ( ١ ) لكن الايتين تصبير للنبي ﷺ تجاه اذى المشركين ، وتوعيد بهم ، فهما من آيات الصفح المكية ، ولاوجه لعهما مدينتين .

\* \* \*

وحكى ابن الغرس استثناء قوله : « ان ربك يعلم انك تقوم - الى قوله - : ان الله غفور رحيم » الآية رقم : ٢٠ .

قال جلال الدين : ويرده ماخرجه الحاكم : انه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة ، وذلك حين فرض قيام الليل في اول الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس (٢) وهكذا اخرج عبد بن حميد عن عكرمة ، قال : لبث المسلمون بعد نزول : يا ايها المزمل قم الليل ... سنة فشق عليهم وتورمت اقدامهم ، حتى نسختها آخر السورة : فاقروا مايسر منه (٣) .

قلت : تمسك القائل بمدينة الآية ، بان الصلاة والزكاة لم تفرضا بمكة (٤) وهو استدلال غريب ، لان الصلاة هي اولى فريضة فرضت بمكة (٥) اما الزكاة فليست هي الزكاة المفروضة بحدود وانصبه مقرر ، وانما هي مطلق التصدق الذي كان واجباً حينذاك ، كما في قوله تعالى : والذين هم للزكاة فاعلون . في سورة المؤمنون المكية : ٤ وقوله : الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . في سورة فصلت المكية : ٧ . نعم جاءت تفاصيل حدودها واحكامها بالمدينة ، اما اصلها فكانت واجبة بمكة بلا شك .

وليته تمسك بقوله : « وآخرون يقاتلون في سبيل الله » والقتال لم يشرع اصلاً الا بالمدينة . لكنه على تقدير ان يراد بالقتال : هو ما يقع فعلياً ، لا ما سيفرض وسيقع

١- الاتقان ج ١ ص ١٧

٢- الاتقان ج ١ ص ١٧

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٠

٤- مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٢ - ٥- راجع : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٩

بعد ذلك !والاحتمال الثاني اوجه ، نظراً الى انه تعالى -في هذه الاية - يذكر اسباب رفع ذلك التكليف الاول الشديد وتبديله الى تكليف آخر خفيف . ومن تلك الاسباب تشريع القتال بعدئذ ، من غير ان يكون هنا دليل صريح على ارادة فعليته حينذاك .

## ٣٨- سورة المرسلات : مكية

قالوا باستثناء قوله : «واذا قيل لهم اركعوا لايركعون» الاية رقم : ٤٨ .  
قال مقاتل : نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله ﷺ بالصلاة ، فقالوا : لانحنى ، فان ذلك سبة علينا (١) وثقيف اسلمت بالمدينة .  
لكن وجه الاية وسياقها مع المكذبين ، وهم مشركوا العرب ، ولا معنى لان يكون هذا الموضع من السورة خلواً من هذه الاية الى اواخر سنن الهجرة ثم تكتمل .  
اذلك يخل بفصاحة السورة ويخلخل من نظمها المنسجم .  
على ان الركوع هنا بمعنى : الخضوع لله والانقياد التام لاوامره ونوايه ، لا الركوع المصطلح جزء من الصلاة . وهذا هو اختيار ابي جعفر الطبرى (٢) .  
كما جاء بهذا المعنى قوله تعالى : «واقموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين» (٣) راجع : تفسير شبر في هذا الموضع قال : او اريد به الخضوع والانقياد للحق . وقال في سورة المرسلات - بصورة جزئية : واذا قيل لهم اركعوا : سلموا واخشعوا وانقادوا (٤) . اذن فلامساس للاية بقضية اسلام ثقيف ، بل هي عامة حكاية عن صمود المشركين امام الحق الصراح .

١- مجمع البيان ج ١٠ ص ٤١٩

٢- راجع : جامع البيان ج ٢٩ ص ١٥٠

٣- سورة البقرة : ٤٣

٤- تفسير شبر ص ٤٦ و ص ٥٤٥



## ٣٩- سورة المطففين : مكية

قالوا : نزل صدرها في المدينة اول قدوم رسول الله ﷺ اليها ، فقد كان اهل المدينة من اخبث الناس كيلا ، فانزل الله - عزوجل - : ويل للمطففين - الى تمام الست آيات ، فاحسنوا الكيل بعد ذلك (١) .

وقد تقدم : انه من المستبعد جداً مواجهة الرسول ﷺ للانصار بهكذا آيات ذوات لهجة عنيفة ، في اول لقياه معهم في دارهم التي آووه اليها ، وشمروا ساق الجد لمؤازرته ونصرته ، عاهدوه على انفسهم واموالهم في سبيل اعلاء كلمة الاسلام .  
والصحيح : انها باجمعها مكية (٢) .

### استثناءات من سور مدنية :

تقدم : استبعادان تبقى آية غير مسجلة في سورة مكية حتى تنزل سورة مدنية بعد فترة طويلة ام قصيرة ، فتسجل فيها . وهكذا استبعده ابن حجر في شرح البخارى وغيره (٣) .

ولكن مع ذلك فقد قالوا في كثير من آيات مسجلة في سور مدنية : أنهم مكيات . ونحن نذكرهن تباعاً حسب ترتيب السور في المصحف الشريف ، ونعقبها بما نرأيه من رأى .

١- الاتقان ١ ج ص ١٧ . والدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٤ . والمجمع ج ١٠ ص ٤٥٢

٢- راجع : صفحة ١٢٣

٣- تقدم في صفحة : ١٣٨

## ١- سورة البقرة : مدنية

استثنى منها ثلاث آيات :

الاولى : قوله تعالى : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره » الآية رقم : ١٠٩ .  
زعموها نزلت بشأن المشركين ايام كان المسلمون بمكة ضعفاء .  
لكن صدر الآية : « ود كثير من اهل الكتاب . . . » شاهد نزولها بشأن اهل  
الكتاب ، اوائل هجرة الرسول ﷺ الى المدينة ، ولم تقو شوكة الاسلام بعد ،  
ثم نسخت بقوله « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله - الى قوله - : من الذين اتوا الكتاب حتى  
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (١) راجع الطبرسي ، بشأن نزول الآية ونسخها  
بآية براءة (٢) .

الثانية : قوله تعالى : « ليس عليك هدام... » الآية : ٢٧٢ .

زعموها - ايضاً - نزلت بشأن صمود المشركين تجاه قبول الحق ، نظيرة قوله :  
« انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء » (٣) .  
لكن الآية نزلت بشأن انفاق المسلمين عن الكفار ، حيث امتنعوا من ذلك زعما  
انها محرمة عليهم وهم على غير دينهم ، فنزلت (٤) .

الثالثة : قوله تعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ... » الآية رقم : ٢٨١ .

قبل : هي آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمنى فى حجة

الوداع (٥) .

---

١- سورة التوبة : ٢٩

٢- مجمع البيان ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٥ . والدر المنثور ج ١ ص ١٠٧

٣- سورة القصص المكية : ٥٦

٤- مجمع البيان ج ٢ ص ٣٨٥ . والدر المنثور ج ١ ص ٣٥٧

٥- الدر المنثور ج ١ ص ٣٧٠

غير ان هذا الاستثناء ينظر الى المصطلح الثانى المتقدم . واما على المصطلح  
الاول المشهور - : ما نزل بعد الهجرة فهو مدنى حتى ولو كان نزوله بمكة - فالاية  
مدنية (١) .

## ٢- سورة المائدة : مدنية

استثنى منها قوله تعالى : « اليوم يثس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم  
واخشونى . اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام  
دينا» الاية رقم : ٣ .

قيل : نزلت على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفات فى حجة الوداع ( ٢ )  
وهكذا زعمه ابو عبد الله الزنجانى فى تاريخ قرآنه (٣) .

لكن اباعبدالله الصادق عليه السلام قال : نزلت الاية بعد ان نصب رسول الله ﷺ  
علياً عليه السلام علماً للامة يوم غدير خم ، منصرفه عن حجة الوداع ، فانزل الله يومئذ :  
« اليوم اكملت لكم دينكم» ( ٤ ) وهكذا سجلها ابن واضح اليعقوبى ، قال : وكان  
نزولها يوم النص على امير المؤمنين على بن ابي طالب - صلوات الله عليه - بغدير خم .  
قال : وهى الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة ( ٥ ) وقد ذكرها الحافظ الحسكافى  
بعده طرق (٦) .

ثم ان نزول الاية بعرفات او بغدير خم لا يجعلها مستثناة من المدنيات ، وفق

---

١- تقدم ذلك فى صفحة : ٩٩

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٧

٣- تاريخ القرآن ص ٢٧

٤- الطوسى : تفسير التبيان ج ٣ ص ٢٣٥

٥- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٥

٦- شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٦ - ١٦٠



### ٣- سورة الانفال : مدنية

استثنى منها قوله : «واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» الاية رقم : ٣٠ .

قالوا : انها نزلت في قصة دار الندوة اجتمعت فيها قريش للآمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وفسلت مؤامرتهم بهجرة الرسول ﷺ ومبيت على ﷺ على فراشه (١) .

لكن نزول الاية بشأن تلك القصة لا يستدعى نزولها حينذاك ، ولا سيما بعد ملاحظة اداة ظرف الماضى «اذ» فى صدر الاية حكاية عن امر سابق !

وفى المصحف الاميرى وتاريخ الزنجاني : استثناء الايات : ٣١ الى ٣٦ . نظراً لانها نزلت بشأن مشركى قريش . لكنها كالاية المذكورة حكاية لامر سابق ، ولادليل على نزولها حينذاك . وقوله : «وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» ايضاً حكاية عن ماضى واخبار عن حال ، اى لم يعذبهم الله فيما قبل ، بسبب وجودك بين اظهرهم . ولا يعذبهم الان - بعد خروجك - لوجود جماعة من المؤمنين لم يستطيعوا الخروج وهم على عزم الهجرة ، فرفع الله العذاب عن مشركى مكة لحرمة استغفار هؤلاء المؤمنين الباقين بين اظهرهم (٢) .

هذا .. ونقل جلال الدين عن قتادة انه قال : نزلت الاية «واذ يمكر بك الذين كفروا ...» بمكة . ثم قال : ويرده ماصح عن ابن عباس ان هذه الاية بعينها نزلت بالمدينة (٣) وقد اخرجه فى اسباب النزول عن ابن عباس : ان الاية نزلت بعد

١- مجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٧

٢- مجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٩

٣- الاتقان ج ١ ص ١٥

\* \* \*

واستثنى ايضاً - قوله : « يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »  
 الاية رقم : ٤٤ . و صحح هذا الاستثناء ابن العربي وغيره ( ٢ ) . وذلك لما اخرج  
 ابو محمد من طريق طارق عن عمر بن الخطاب ، قال : اسلمت رابع اربعين فنزلت  
 « يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » . وهكذا روى عن ابن عباس (٣) .  
 لكن يعارضه ماروى عن الكلبي ، قال : نزلت هذه الاية بالبيداء في غزوة  
 بدر (٤) وقال الواقدي : نزلت بالمدينة في بنى قريضة وبنى النضير (٥) .

هذا .. وسياق الاية يشهد بمدنيتها ، نزلت في ابان تشريع القتال ، سواء أجمع  
 المشركين ام مع اهل الكتاب . فالاية يسبقها قوله تعالى : «الذين عاهدت منهم ثم ينقضون  
 عهدهم . . . » . «فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم . . . » . «ولا يحسبن الذين كفروا  
 سبقوا انهم لا يعجزون» . «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . . . » .  
 « وان جنحوا للسلم فاجنح لها . . . » . « وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله  
 هو الذى ايدك بنصره . . . » .

«يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك . . . » .

«يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال . . . » .

انظر الى هذا السياق المنسجم بعضه مع بعض انسجاماً يجعلنا على ثقة من وحدة  
 مترابطة نزلت جملة واحدة .

١- لباب القول بهامش الجلايين ج ١ ص ١٧٠

٢- الاتقان ج ١ ص ١٥

٣- الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠

٤- مجمع البيان ج ٤ ص ٥٥٧

٥- تبيان الطوسى ج ٥ ص ١٥٢

وايضاً : لامعنى لكفاية اربعين رجلا اسلموا بمكة وهم على ضعف ماداموا فيها . الامر الذى يؤكد من نزول الاية بالمدينة حيث جعلت تزداد شوكة المؤمنين وتقوى جانبهم مع الايام والساعات ، فكانت فيهم الكفاية والكفاءة .  
وهكذا فسرهما ابو جعفر الطبرى ، قال : يقول لهم جل ثناؤه : ناهضوا عدوكم فان الله كافيكم امرهم ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم فان الله مؤيدكم بنصره . وذكر لهذا المعنى روايات ، ولم يتعرض لشيء من روايات نزولها بشأن اسلام عمر بن الخطاب (١) .

## ٤- سورة براءة : مدنية

استثنى منها اربع آيات :

الاولى والثانية : قوله تعالى : «ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى ... الى قوله : ان ابراهيم لاواه حلیم» رقم : ١١٣ و ١١٤ .  
قالوا : نزلت بشأن ابي طالب عند ما حضرته الوفاة ، دخل عليه النبي ﷺ وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية . فقال النبي ﷺ : اى عم . قل : لاله الا الله ، أحاج لك بها عند الله . فقال القرشيان : يا ابا طالب ، اترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ ! فكانا كلما عرض عليه النبي ﷺ كلمة الشهادة اعادا كلامهما . فكان آخر كلام ابي طالب : انه على ملة عبد المطلب ، و ابي ان يقول : لاله الا الله . فقال النبي ﷺ : عند ذلك : لاستغفرون لك ما لم انه عنك . فنزلت الاية .. كما ونزلت : انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء» (٢) .

وقالوا - ايضاً - : انها نزلت بشأن والدى رسول الله ﷺ اراد ان يستغفر لآبيه ، وهكذا استجاز ربه فى زيارة قبر امه فاجازه ، فبداله ان يستغفر لها فنزلت الاية

١- جامع البيان ج ١٠ ص ٢٦

٢- الدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٢



تنهاه ! فمارأى رسول الله ﷺ أكثر باكباً من يومه ذلك (١) .

اقول : قاتل الله العصبية الجاهلية : انها نزعة اموية ممقوتة عمدت الى الحط من كرامة بنى هاشم والى تشويه جانب اقرباء النبى ﷺ لتجعل من ابيه وامه مشركين ، ويموت ابوطالب كافراً ، وهو المحامى الاول والمدافع الوحيد فى وقته عن رسول الله ﷺ . وقد قال تعالى : «والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً» ( ٢ ) ولاشك ان اباطالب كان اول من آواه ونصره ووقف دونه بنفسه ونفيسه . والاية الكريمة شهادة عامة تشملها قطعياً (٣) .

ويكفى دليلاً على ايمانه الصادق ، قوله فى قصيدته التى يحمى بها عن رسول الله ﷺ مهدداً قريش اجمع ، قال فيها :

لقد علموا ان ابننا لا مكذب	لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فاصبح فينا احمد فى أرومة	تقصر عنه سورة المنطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته	ودافعت عنه بالذرا والكلالكل.
فأيده رب العباد بنصره	واظهر ديناً حقه غير باطل ( ٤ )

هذا .. واما نحن الامامية فان اصول معتقداتنا تقضى بلزوم طهارة آباء النبى ﷺ والائمة عليهم السلام واما هاتهم . لم يتلوثوا بدنث شرك قط ، فلم يزالوا ينحدرون من صلب شامخ الى رحم طاهر . كما جاء فى الزيارة السابعة للامام ابى عبدالله الحسين عليه السلام : «أشهد انك كنت نوراً فى الاصلاب الشامخة والارحام المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية بانجاسها ولم تلبسك من مدلهما ثيابها» .

وفى حديث ابن عباس عن النبى ﷺ : لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة

١- جامع البيان ج ١١ ص ٣١

٢- سورة الانفال : ٧٥

٣- راجع : حن اليقين للسيد عبدالله شبر ج ١ ص ١٠٠

٤- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٩

الى الارحام الطاهرة مصفى مهذباً . . . (١)

والى هذا المعنى جاء تأويل قوله تعالى : « وتقلبك فى الساجدين » (٢) اى لم تنزل تنتقل من صلب مؤمن موحد الى صلب مؤمن موحد . قال مجاهد : من نبي الى نبي حتى اخرجت نبياً (٣) . قال العلامة الطبرسى : وقيل : معناه : وتقلبك فى اصلاب الموحدين من نبي الى نبي حتى اخرجك نبياً . عن ابن عباس فى رواية عطا وعكرمة . وهو المروى عن ابي جعفر الامام محمد بن على الباقر ، وابى عبد الله الامام جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام قالوا : فى اصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى اخرجه من صلب ابيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام (٤) .

\* \* \*

والصحيح فى سبب نزول الاية : ما ذكره ابو على الطبرسى : ان المسلمين جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون اليه الاستغفار لموتاهم الذين مضوا على الكفر والنفاق ، قالوا : ألا تستغفر لابائنا الذين ماتوا فى الجاهلية ، فنزلت الاية (٥) . ومما يدلنا على صحة هذه الرواية وبطلان الرواية الاولى : ان الاية الكريمة جاءت بلفظ « ما كان للنبي والذين آمنوا . . . » فلو صحت تلك الرواية لما كان هناك سبب معقول لارداف غيره صلى الله عليه وسلم من المؤمنين معه فى هذا الانكار الصارم . واخيراً فان هذه الاية والاية رقم : ٨٠ والاية رقم : ٨٤ نزلن جميعاً على نمط واحد ، والسبب شىء واحد : هو ما كان المؤمنون على رجاء ان يترحم على آبائهم وامهاتهم واقربائهم الذين ماتوا على الكفر ، ملتمسين من النبي صلى الله عليه وسلم ان يساعدهم على

١- الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٤

٢- سورة الشعراء: ٢١٩

٣- الدر المنثور ج ٥ ص ٩٨

٤- مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٧

٥- مجمع البيان ج ٥ ص ٧٦

هذه الامنية ، فنزلت الاية لتقطع أملهم في ذلك اذا كانوا علموا من آبائهم البقاء على  
الشرك حتى الموت : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (١) .  
ولتوضيح اكثر راجع تفسير الايتين (٢) .

\* \* \*

الثالثة والرابعة : قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه  
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو  
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » : ١٢٨ و ١٢٩ . وهما آخر سورة براءة .  
قال ابن الغرس انهما مكيتان .

قال جلال الدين : وهذا غريب ، كيف وقد ورد انهما آخر ما نزل (٣) .  
قلت : لم يثبت نزول الايتين بمكة ، ولا ذكر قائله دليلاً او سنداً لذلك . فثبت  
الاية في سورة مدنية - ولاسيما هي آخر السور المدنية - هو بذاته دليل على نزولها  
بالمدينة ، حيث الاصل الاولي في الايات هو الثبوت الطبيعي تباعاً حسب النزول .  
مضافاً الى ما ورد في سبب نزولهما : جاءت جهينة تسأل رسول الله ﷺ - اول قدومه  
المدينة - عهداً يأتمنون اليه ، فنزلت الايتان (٤) . كما روى انهما آخر الايات  
القرآنية نزولاً بالمدينة (٥) .

---

١ - سورة النساء : ٤٨ و ١١٦

٢ - تفسير الطبري ج ١٠ ص ١٣٧ و ص ١٤١ . والمجمع ج ٥ ص ٥٤ و ص ٥٦ . والدر

المنثور ج ٣ ص ٦٤ و ص ٦٦ .

٣ - الاتقان ج ١ ص ١٥ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٦

٤ - الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٧

٥ - نفس المصدر . والمجمع ج ٥ ص ٨٦



## ٥- سورة الرعد : مدنية

اخرج ابو الشيخ عن قتادة ، قال : سورة الرعد مدنية الاقوله تعالى : «ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله...»  
الاية رقم : ٣١ (١) .

لكن الاية تشييع بموقف المشركين المتأرجح وارعاب لهم ، كما هي تبشير بفتح للمسلمين قريب ، فهي لان تكون من تمام آيات سابقة نزلت في صلح الحديبية (٢) ارجح . وعن عكرمة : انها نزلت بالمدينة في سرايا رسول الله ﷺ . والقارعة هي السرية كانت تدوخهم . والوعد هو الفتح (٣) .

## ٦- سورة الحج : مدنية

استثنى منها قوله : «هذان خصمان اختصموا...» الاية رقم : ١٩ .  
قال جلال الدين : الى تمام الايات الثلاث فانهن نزلن بالمدينة (٤) .  
قلت : وعلى ذلك فينبغي الانتهاء الى الاية رقم : ٢٢ : بل الى الاية رقم : ٢٤ .  
ست آيات ، نظراً للانسجام الوثيق بينهن بما لا يمكن التفكيك .

لكن لاسند لهذا الاستثناء ، ومن ثم فالقول به غريب . مضافاً الى ما ورد متواتراً أنها نزلت بشأن ثلاثة من المؤمنين هم : حمزة بن عبدالمطلب وعبيدة بن الحارث وعلى بن ابيطالب ، تبارزوا ثلاثة من الكفار ، هم : عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة . قال علي عليه السلام : انا اول من يجثو في الخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم

١- الاتقان ج ١ ص ١٥

٢- راجع : مجمع البيان ج ٦ ص ٢٩٢

٣- جامع البيان ج ١٣ ص ١٠٥

٤- الاتقان ج ١ ص ٩

القيامه (١) . فالاية نزلت متأخرة عن وقعة بدر ، او نزلت بيدر (٢) .

\* \* \*

واستثنى - ايضاً - قوله : «وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى  
القي الشيطان في امنيته . . . الى قوله : عذاب يوم عقيم » الايات الاربع رقم : ٥٢  
الى ٥٥ .

اخرج ابن المنذر عن قتادة : انهن مكيات (٣) . قالوا : نزلن بمكة بشأن قصة  
الغرائق (٤) .

وقد زيفنا حديث الغرائق ، وانه حديث مفتعل ، وضعته الزنادقة للتشويه على  
سمعة القرآن ورسالة محمد ﷺ (٥) .

والاية اشارة الى البدع التي تنتاب شرايع الانبياء على ايدي المحرفين ، لكنه  
تعالى يحفظ دينه على ايدي علماء ربانيين في كل عصر ، ينفون بدع المبطلين كما  
في الحديث الشريف (٦) . وتلك البدع هي فتنة للذين في قلوبهم مرض .

وفي المصحف الاميرى وتاريخ الزنجاني : ان الايات نزلن بين مكة والمدينة .  
ولم يعرف لهذا القيد سبب معقول او منقول !

## ٧ - سورة محمد ﷺ : مدنية

استثنى منها قوله : «وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك

١- صحيح البخارى ج ٦ ص ١٢٣ و ١٢٤ - وصحيح مسلم ج ٨ ص ٢٤٦

٢- الدر المنثور ج ٤ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ . والطبرى ج ١٧ ص ٩٩

٣- الدر المنثور ج ٤ ص ٣٤٢ . وراجع : البرهان ج ١ ص ٢٠٢

٤- مجمع البيان ج ٧ ص ٩٠ . والطبرى ج ١٧ ص ١٣١ . والدر المنثور ج ٤ ص ٣٤٦

٥- تقدم في صفحة : ٥٩

٦- سفينة البحار ج ١ ص ٥٥

اهلكناهم فلاناصر لهم» الآية رقم : ١٣ .

قال السخاوى فى جمال القراء : قيل ان النبى ﷺ لما توجه مهاجراً الى المدينة وقف فنظر الى مكة وبكى ، فنزلت تسليية لخطره الشريف (١) .  
لكن الآية فى سياقها منسجمة مع آيات قبلها وبعدها انسجاماً وكيداً ، بحيث لا يدع مجالاً للقول بالتفكيك ، فاما ان الجميع مكية او الجميع مدنية .  
وبما ان السورة تقريرع عنيف بالمشركين واثارة عامة بالمؤمنين ، تمهيداً للتشريع القتال ، فهى مدنية نزلت بهذا اللحن اللاذع ، وجعلت تعدد مساوى ارتكبتها قريش ، وتهدها بقتل ذريع وفشل فضيع ازاء معاندتهم مع الحق . والاية المذكورة ايضاً على نفس النمط ، لم تخرج على قريباتها .

## ٨- سورة الرحمان : مدنية

استثنى منها قوله : «يسأله من فى السماوات والارض ...» الآية رقم : ٢٩ (٢) .  
ولم يعرف سبب هذا الاستثناء الغريب ا

## ٩- سورة المجادلة : مدنية

استثنى منها قوله : «ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم . . .» الآية رقم : ٧ (٣) .

ولم يعرف السبب ايضاً .

## ١٠- سورة التحريم : مدنية

قال قتادة : هى الى رأس العشرة مدنية ، والباقى مكى (٤)

١- الاتقان ج ١ ص ٢٠ . والدر المشورج ج ٦ ص ٤٨

٢- الاتقان ج ١ ص ١٧

٣-٤- نفس المصدر



ويرده : ان الايتين الاخيرتين هما من تمة المثل الذي ضربه الله ، نصحاً لزوجات الرسول ﷺ وقد تطاولن عليه . فلو فصلناهما عن سائر آيات السورة لما بقى لهما موقع بديع .

## ١١ - سورة الانسان : مدنية

استثنى منها قوله : « فاصبر لحكم ربك . . . » الاية رقم : ٢٤  
قالوا : نزلت في ابي جهل (١) .

لكن الاية تفريع على آيات سبقت فلا يعقل انفكاكها عنها ، على أن الامر بالصبر تجاه تعسفات المعاندين او الجاهلين ، هي خصيصة الانبياء في جميع ادوار حياتهم التي ملؤها الكفاح والجهاد . ومن ثم قيل : الاية عامة في كل عاص وفاسق وكافر (٢) .

\* \* \*

وهناك سور اخرى قالوا فيها باستثناءات غريبة تركناها ، حيث طال بنا البحث وفيما ذكرنا كفاية لاثبات ان لا وقع لتلكم الاستثناءات اطلاقاً ، سواء من سور مكية ام مدنية وكلها مستندة الى حدس او نقل ضعيف لامبرر للاستناد اليها البتة .  
وبذلك نظوى سجل هذا البحث ، والحمد لله اولا و آخرأ .

---

١ - الدر المشور ج ٦ ص ٣٠٢

٢ - مجمع البيان ج ١٠ ص ٢١٣



# تاريخ القرآن

٢-١





## ١ - تأليف القرآن

- \* نظم كلماته ضمن الايات
- \* تأليف آياته ضمن السور
- \* ترتيب سورته بين الدفتين
- \* تمحيص الرأى المعارض
- \* جمع على بن ابيطالب عليه السلام
- \* وصف هذا الجمع
- \* جمع زيد بن ثابت
- \* منهج زيد فى جمع القرآن
- \* شكوك واعتراضات
- \* مصاحف اخرى للصحابة
- \* وصف مصحف ابن مسعود
- \* وصف مصحف ابي بن كعب
- \* جدول يقارن بين مصاحف السلف

تأليف القرآن في شكله الحاضر، في نظم آياته وترتيب سورته، وكذلك في تشكيله وتنقيطه وتفصيله إلى اجزاء ومقاطع، لم يكن وليد عامل واحد، ولم يكتمل في فترة الوحي الأولى، فقدمرت عليه ادوار واطوار، ابتدأت بالعهد الرسالي، وانتهت بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان، ثم إلى عهد الخليل بن احمد النحوي الذي اكمل تشكيله بالوضع الموجود.

وهو بحث أشبه بمعالجة قضية تاريخية مذيّلة، عن احوال واطوار مرت على هذا الكتاب السماوي الخالد. غير ان مهمتنا الآن هي العناية بدراسة القرآن من زاوية جمعه وتأليفه مصحفاً بين دفتين، والبحث عن الفترة التي حصل فيها هذا الجمع والتأليف، وعن العوامل التي لعبت هذا الدور الخطير. ومن ثم سنفصل الكلام عن القرآن في عهده الأول الذي لم يتجاوز نصف قرن، ثم نوجز الكلام في احوال مرت عليه في ادوار متأخرة. والبحث الحاضر يكتمل في ثلاث مراحل اساسية:

اولاً: نظم كلمات القرآن بصورة جمل وتراكيب كلامية ضمن الايات.

ثانياً: تأليف الايات ضمن السور قصيرة ام طويلة.

ثالثاً: ترتيب السور بين دفتين على صورة مصحف كامل.

ونحن اذ نسير على هذا المنهج لا نتغافل صعوبة المسلك الذي نسالكه بهذا الصدد



انه بحث ذوجوانب خطيرة عن كتاب سماوى احتفظ على أصالته فى ذمة الخلود ،  
وكفل سعادة عليا للبشرية كافة اذا ما سارت على ضوء برامجه الحكيمة وتمسكت بعرى حبله  
الوثيق . ومن ثم فاللزلة فى سبيل الوصول الى حقائقه ومعارفه خطيرة ، ومخطرة فى  
نفس الوقت . ونسأله تعالى ان يمدنا بتوفيقه ويهديننا الى طريق الحق والصواب ،  
انه قريب مجيب .

## نظم كلماته :

لاشك ان العامل فى نظم كلمات القرآن وصياغتها جملا وتراكيب كلامية بديعة ، هو الوحي السماوى المعجز ، لم يتدخل فيه اى يد بشرية اطلاقاً . كما ولم يحدث فى هذاالنظم الكلمى اى تغيير او تحريف عبر العصور : «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» (١)اذفى ذلك يتجسد سر ذلك الاعجاز الخالد ، الذى لا يزال يتحدى به القرآن الكريم . ولمزيد التوضيح نعرض مايلى :

اولا : اسناد الكلام الى متكلم خاص يستدعى ان يكون هو العامل فى تنظيم كلماته وتنسيق اسلوبه التعبيرى الخاص . اما اذا كان هو منتقيا كلمات مفردة وجاء آخر فنظمها فى اسلوب كلامى خاص ، فان هذا الكلام ينسب الى الثانى لا الاول . وهكذا القرآن المجيدهو كلام الله العزيز الحميد ، فلا بد ان يكون الوحي هو العامل الوحيد فى تنظيم كلماته جملا وتراكيب كلامية بديعة ، اما نفس الكلمات من غير اعتبار التركيب والتأليف فكان العرب يتداولونها ليل نهار ، انما الاعجاز فى نظمها جاء من قبل وحى السماء .  
ثانياً : كان القسط الاوفر من اعجاز القرآن كامناً وراء هذا النظم البديع

وفى اسلوبه هذا التعبيري الرائع ، من تناسب نغمى مرن ، وتناسق شعري عجيب ، وقد تحدى القرآن فصحاء العرب وارباب البيان - بصورة عامة - لويأتوا بمثل هذا القرآن ، ولا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ( ١ ) فلو جوزنا - محالاً - امكان تدخل يد بشرية فى نظم القرآن ، كان بمعنى ابطال ذلك التحدى الصارخ . ومن ثم كان ما ينسب الى ابن مسعود : جواز تبديل العهن بالصوف فى الاية الكريمة (٢) او قراءة ابي بكر : «وجاءت سكرة الحق بالموت» (٣) مكذوباً او هو اعتبار شخصي لا يتسم بالقرآنية فى شىء .

ثالثاً : اتفاق كلمة الامة فى جميع ادوار التاريخ على ان النظم الموجود والاسلوب القائم فى جمل وتراكيب الايات الكريمة هو من صنع الوحي السماوى لا غيره . الامر الذى التزم به جميع الطوائف الاسلامية : على مختلف نزعاتهم وآرائهم فى سائر المواضيع . ومن ثم لم يتردد أحد من علماء الادب والبيان فى آية قرآنية جاءت مخالفة لقواعد رسموها ، فى اخذ الاية حجة قاطعة على تلك القاعدة وتأويلها الى ما يلائم تركيب الاية . وذلك علماً منهم بان النظم الموجود فى الاية وحي لا يتسرب اليه خطأ البتة ، وانما الخطأ فى فهمهم هم وفيما استنبطوه من قواعد رسمومة . مثال ذلك قوله تعالى : «وما ارسلناك الا كافة للناس» (٤) فزعموا ان الحال لا تتقدم على صاحبها المجرور بحرف ، والاية جاءت مخالفة لهذه القاعدة . ومن ثم وقع بينهم جدل عريض ودارينهم كلام فى صحة تلك القاعدة وسقمها (٥) ولجأ ابن مالك اخيراً الى نبذ القاعدة بحجة انها مخالفة للآية ، قال :

وسبق حال ما بحرف جر قد ابوا ولا امنه فقدورد .

١- سورة الاسراء : ٨٨

٢- سورة القاعة : ٥ . راجع ت ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ص ١٩

٣- سورة ق : ١٩ . راجع : الطبرى التفسير ج ٢٤ ص ١٠٠

٤- سورة سبأ : ٢٨

٥- راجع : خالد الازهرى فى شرح التوضيح . والكشاف للزمخشري



## تأليف الايات :

واما تأليف الايات ضمن كل سورة ، على الترتيب الموجود ، فهذا قد تحقق فى الاكثر .. وفق ترتيب نزولها : كانت السورة تبتدأ بسم الله الرحمن الرحيم فتسجل الايات التى تنزل بعدها من نفس هذه السورة ، واحدة تلو اخرى تدريجياً حسب النزول ، حتى تنزل بسملة اخرى ، فيعرف ان السورة قد انتهت وابتدأت سورة اخرى .

قال الامام الصادق عليه السلام : « كان يعرف انقضاء سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء لآخرى » (١) .

قال ابن عباس : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف فصل سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ، فيعرف ان السورة قد ختمت وابتدأت سورة اخرى » (٢) .

كان كتبة الوحي يعرفون بوجوب تسجيل الايات ضمن السورة التى نزلت بسملتها ، حسب ترتيب نزولها واحدة تلو اخرى كما تنزل ، من غير حاجة الى تصريح خاص بشأن كل آية آية .

هكذا ترتبت آيات السور وفق ترتيب نزولها ، على عهد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وهذا ما نسميه « الترتيب الطبيعى » وهو العامل الاول الاساسى للترتيب الموجود بين الايات فى الاكثرية الغالبة .

والمعروف ان مصحف على عليه السلام وضع على دقة كاملة من هذا الترتيب الطبيعى للنزول . الامر الذى تخلفت عنه مصاحف سائر الصحابة ، على ما سنشير .

١- تفسير العياشى ج ١ ص ١٩

٢- المستدرک - الحاكم - كتاب الصلاة ج ١ ص ٢٣١ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٢٧

وهناك عامل آخر عمل في نظم قسم من الايات على خلاف ترتيب نزولها ، وذلك بنص من رسول الله ﷺ وتعيينه الخاص : كان يأمر - أحياناً - بثبت آية في موضع خاص من سورة سابقة كانت قد ختمت من قبل . ولاشك انه ﷺ كان يرى المناسبة القريبة بين هذه الاية النازلة والايات التي سبق نزولها ، فيأمر بثبتها معها باذن الله تعالى .

وهذا جانب استثنائي للخروج عن ترتيب النزول ، كان بحاجة الى تصريح خاص : روى احمد في مسنده عن عثمان بن ابي العاص قال : كنت جالساً عند رسول الله ﷺ اذ شخص ببصره ، ثم صوبه . ثم قال : اتانى جبرئيل فامرني ان اضع هذه الاية هذا الموضع من هذه السورة « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ... » فجعلت في سورة النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد . وروى أن آخر آية نزلت قوله تعالى : « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله » فإشار جبرئيل أن توضع بين آيتي الربا والدين من سورة البقرة (١) . وعن ابن عباس والسدى : انها آخر ما نزلت من القرآن . قال جبرئيل : وضعها في رأس الثمانين والمأتين (٢) وعن ابن عباس ايضاً : قال : كان رسول الله ﷺ يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هذه الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا (٣) .

هذا مما لا خلاف فيه - كما صرح بذلك ابو جعفر بن الزبير (٤) .

١- الاتقان في علوم القرآن - السيوطي ج ١ ص ٦٢

٢- مجمع البيان - الطبرسي ج ٢ ص ٣٩٤

٣- اخرجه الترمذى بطريق حسن والحاكم بطريق صحيح - راجع البرهان - الزركشى

ج ١ ص ٢٤١ وراجع البيهقي : التاريخ ج ٢ ص ٣٦ ط الحيدري

٤- الاتقان - السيوطي ج ١ ص ٦٠

هذا .. وقد نجد تغييراً موضعياً في آية او آيات على خلاف ترتيبها الطبيعي ، في حين عدم نص خاص بشأن هذا التغيير . وربما كانت الاية نزلت فكتبها كاتب ، ثم نزلت اخرى فكتبها كاتب آخر في غيبة الاول ، فسجلها قبل الاولى من غير ان يعلم بما سجله ذلك ، فعند الجمع الاخير في حياة الرسول ﷺ او بعد وفاته حصل ذلك التغيير الموضوعي لعدة قليلة من الايات .

وهذا احتمال نحتمله بشأن هكذا آيات خرجت عن الترتيب الطبيعي ولم نجد عليها نصاً خاصاً . وهذا الاحتمال بنفسه كاف في عدم امكان الاستدلال - لفحوى آية - بسياقها الخاص ، اللهم الا اذا كانت المناسبة واضحة او علمنا بها من خارج .  
\* من ذلك ما نجده في سورة الممتحنة : تبتدئ هذه السورة بآيات (١ - ٩) نزلت في العام الثامن بعد الهجرة ، بشأن حاطب بن ابي بلتعنة ، كان قد كاتب قريشاً يخبرهم بتأهب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لغز ومكة ، وكان النبي يحاول الاخفاء .

وتتعبق هذه الايات آيتان نزلتا بشأن سبيعة الاسلمية عام الست من الهجرة ، كانت قد اتت النبي ﷺ مسلمة مهاجرة ، تاركة زوجها الكافر ، فجاء في طلبها ، فاستعصمت بالنبي ﷺ . وصادف مجيؤه صلح الحديبية ، كان النبي ﷺ عاهد قريشاً ان يرد عليهم كل من يأتيه من مكة . فاخذ الزوج في محاججة النبي ﷺ قائلاً : اردد على امرأتى على ما شرطت لنا وهذه طينة الكتاب لم تجف ، فتخرج النبي ﷺ في امرها ، فنزلت الايتان .

وبعد هاتين الايتين آيات نزلت بشأن مبايعة النساء عام الفتح وهي سنة التسع من الهجرة !

واما الاية الاخيرة من السورة فانها ترتبط مع آيات الصدر تماماً . ومن ثم قالوا : ان دراسة هذه السورة تعطينا خروجاً على النظم الطبيعي للآيات ، من غير ما سبب



معروف (١) .

\* ومن ذلك ايضاً ما نجده في سورة البقرة فيما يخص آيات الامتاع والاعتداد، كان التشريع الاول في المرأة المتوفى عنها زوجها ان تعتد حولا كاملا ولا تخرج من بيت زوجها وكان ميراثها هو الانفاق عليها ذلك الحول فقط، والاية التي نزلت بهذا الشأن هي قوله تعالى : والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج» الاية رقم : ٢٤٠ . ثم نسخ هذا التشريع بآية الاعتداد : اربعة اشهر وعشراً برقم : ٢٣٣ من نفس السورة . وبآية المواريث برقم : ١٢ من سورة النساء .

قال الامام الصادق عليه السلام : نسختها - اي آية الامتاع - آية يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشراً . ونسختها آية المواريث» (٢) هذا وطبيعة النسخ تستدعي تأخير الناسخ عن المنسوخ ، في حين تقدمه عليه بست آيات !

\* وكذلك قوله تعالى : واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله... البقرة ٨١ ، قيل : انها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعش بعدها سوى بضعة ايام او بضعة اسابيع . والاية مثبتة في سورة البقرة في حين انها اول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة ، ونزلت بعدها نيف وعشرون سورة . وروى ان جبرئيل عليه السلام ه والذى اشار على النبي صلى الله عليه وسلم بان يضعها موضعها من البقرة . وقد تقدم ذلك .

\* وآية الاكمال : اليوم يشس الذين كفروا من دينكم فلا تخشواهم واخشون . اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً « المائدة : ٣ - قال ابن عباس : لم ينزل بعدها فريضة . وكذا قال السدي والجائى ، والبلخى (٣) .

١- بحار الانوار : العلامة المجلسى ج ٩٢ ص ٦٧

٢- البرهان - البحرانى ج ٢ ص ٢٣٢ . مستدرك الوسائل - النورى ج ٣ ص ٢٠

٣- الدر المنثور - جلال الدين السيوطى ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٩ . مجمع البيان

- الطبرسى ج ٣ ص ١٥٩

وروى عن الامامين الصادقين عليهما السلام ايضاً (١) .

قال ابن عساكر والخطيب : انها نزلت في غدیر خم عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع بعد ما نصب علياً عليه السلام بالولاية . فنزل بها جبرئيل عليه السلام . وفي عبارة السدي : لم ينزل بعدها حلال ولا حرام (٢) .

هذا وهي مثبتة في سورة المائدة برقم ٣ . وآيات الاحكام بعدها كثيرة : كآية تحليل الطيبات والصيد برقم ٤ . وآية طعام اهل الكتاب برقم ٥ . وآية الوضوء برقم ٦ . وآية السارق برقم ٣٨ . وآية الايمان برقم ٨٩ وآية الخمر برقم ٩٠ . وآية تحريم الصيد برقم ٩٥ . وآية تحريم ما حلله المشركون برقم ١٠٣ . وآية الاشهاد على اوصية برقم ١٠٧ . كل ذلك احكام تشريعية سجلت بعد آية الاكمال في حين انها نزلت قبلها قطعاً .

ثم ما هي المناسبة لاقحام مثل هذه الاية ضمن آيات تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ؟! وفي ذلك كلام طويل .

\* ونزلت «ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما - البقرة : ١٥٨ » عندما تخرج المسلمون من السعى بين الصفا والمروة ، ظناً منهم ان السعى بينهما شيء صنعه المشركون ، تكريماً لموضعي «أساف» و«نائلة» على هذين الجبلين (٣) . فنزلت هذه الاية دفعا لهذا التوهم الخاطيء فيستدعي ان يكون نزولها بعد عام صلح الحديبية حيث تمكن المسلمون من اقامة فريضة الحج ، هذا مع العلم بان سورة البقرة هي اول سورة نزلت بالمدينة فلا بد ان نزلت بعدها سور وآيات ، فتقدم موضع ثبوتها عن وقت نزولها .

١- مجمع البيان - الطبرسي ج ٣ ص ١٥٩

٢- الدرر الثور - السيوطي ج ٢ ص ٢٥٩

٣- الطبري - التفسير ج ٢ ص ١٢٣

وهكذا آيات الحج نزلت عام الست فثبتت في سورة البقرة .  
وينتج هذا البحث فيما ياتى -على الاجمال - .عدم امكان الاستناد في تفسير  
آية اوفهم فحواها ، الى موقعيتها الخاصة من آيات سابقة اولا حقة ، الابد التاكيد  
القطعى من اصالة الترتيب الموجود بينها وبين قريناتها في جملة من آيات نزلت  
دفعه واحده .



### ٣- ترتيب السور :

واما جمع السور وترتيبها بصورة مصحف مؤلف بين دفتين ، فهذا قد حصل بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : انقضى العهد النبوي والقرآن منشور على العشب واللخاف (١) والرقاع وقطع الاديم وعظام الاكتاف والاضلاع وبعض الحرير والقراطيس وفي صدور الرجال .

كانت السور مكتملة على عهده صلى الله عليه وآله وسلم مرتبة آياتها وأسمائها ، غير ان جمعها بين دفتين لم يكن حصل بعد . نظر لترقب نزول قرآن على عهده صلى الله عليه وآله وسلم فمادام لم ينقطع الوحي لم يصح تأليف السور مصحفاً ، الا بعد الاكتمال وانقطاع الوحي ، الامر الذي لم يكن يتحقق الا بانقضاء عهد النبوة واكتمال الوحي .

قال جلال الدين السيوطي : كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور» (٢) . وقال الامام الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : يا علي ! القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير

---

١- العشب : جريدة النخل اذا كشط خوصها . واللخف : حجارة بيض رقاق . والاديم :

الجلد المدبوغ .

٢- الاتقان - السيوطي ج ١ ص ٥٧ . مناهل العرفان - الزرقاني ج ١ ص ٢٤٠

والقراطيس ، فخذوه واجمعوه ولا تضعوه» (١) .

واول من قام بجمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة ، وبوصية منه ﷺ هو الامام علي بن ابي طالب - صلوات الله عليه - ثم قام بجمعه زيد بن ثابت بأمر من ابي بكر . كما قام بجمعه كل من ابن مسعود و ابي بن كعب و ابي موسى الاشعري وغيرهم ، حتى انتهى الامر الى دور عثمان ، فقام بتوحيد المصاحف وارسال نسخ موحدة الى اطراف البلاد ، وحمل الناس على قرائتها وترك ما سواها . على ما سذكر .

كان جمع علي عليه السلام وفق ترتيب النزول : المكي مقدم على المدني . والمنسوخ مقدم على الناسخ . مع الاشارة الى مواقع نزولها ومناسبات النزول . قال الكلبي : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قعد علي بن ابي طالب عليه السلام في بيته فجمعه على ترتيب نزوله . ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير » ( ٢ ) وقال عكرمة : لو اجتمعت الانس والجن على ان يألوه كتأليف علي بن ابي طالب عليه السلام ما استطاعوا » ( ٣ ) .

واما جمع غيره من الصحابة فكان على ترتيب آخر : قدموا السور الطوال على القصار ، فقد اثبتوا السبع الطوال ( البقرة ، آل عمران ، النساء : المائدة ، الانعام ، الاعراف ، الانفال ) قبل المثين ( براءة ، النحل ، هود ، يوسف ، الكهف ، الاسراء ، الانبياء ، طه ، المؤمنون ، الشعراء ، الصافات ) ثم المثاني ( هي التي نقل آياتها عن مئة وهي عشرون سورة تقريباً ) ثم الحواميم ( السور التي افتتحت بحم ) ثم المفصلات ( ذوات الايات القصار ) لكثرة فواصلها . وهي السور الاخيرة

١- بحار الانوار - المجلسي ج ٩٢ ص ٤٨ عن تفسير علي بن ابراهيم.

٢- التسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ٤

٣- الاتقان - السيوطي ج ١ ص ٥٧

في القرآن .

وهذا يقرب نوعاً من الترتيب الموجود الآن - على ما سيأتي .  
نعم لم يكن جمع زيد مرتباً ولا منتظماً كمصحف ، وإنما كان الاهتمام في ذلك الوقت على جمع القرآن عن الضياع ، وضبط آياته وسوره حذراً عن التلف بموت حامله ، فدونت في صحف وجعلت في اضبارة ، واودعت عند ابي بكر مدة حياته ، ثم عند عمر بن الخطاب حتى توفاه الله ، فصارت عند ابنته حفصة ، وهى النسخة التى اخذها عثمان لمقابلة المصحف عليها ، ثم ردها عليها ، وكانت عندها الى ان ماتت ، فاستلبها مروان من ورثها حينما كان والياً على المدينة من قبل معاوية ، فامر بها فشققت .

وسنذكر كل ذلك بتفصيل .

## تمحيص الرأى المعارض :

ما قدمناه هو المعروف عن رواة الاثار ، وعند الباحثين عن شؤون القرآن ، منذ الصدر الاول فالى يومنا هذا . ويوشك ان يتفق عليه كلمة ارباب السير والتواريخ ولكن مع ذلك نجد من ينكر ذلك التفصيل فى جمع القرآن ، ويرى ان القرآن بنظمه القائم وترتيبه الحاضر كان قد حصل فى حياة الرسول ﷺ .

وقد ذهب الى هذا الرأى جماعة من علماء السلف كالقاضى وابن الانبارى والكرمانى والطيبى (١) ، ووافقهم علم الهدى السيد المرتضى - قدس سره - قال : كان القرآن على عهده ﷺ مجموعاً مؤلفاً على مساهو عليه الان . واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين جماعة من الصحابة فى حفظهم له ، وانه كان يعرض على النبى صلى الله عليه وآله وسلم



ويتلى عليه .

وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود و ابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات . وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على انه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث، (١) .

لكن حفظ القرآن هو بمعنى : حفظ جميع سوره التي اكتملت آياتها ، سواء أكان بين السور ترتيب ام لا . وهكذا ختم القرآن هو بمعنى : قراءة جميع سوره من غير لحاظ ترتيب خاص بينها . او الحفظ كان بمعنى الاحتفاظ على جميع القرآن النازل لحد ذلك والتحفظ عليه دون الضياع والفرقة ، الامر الذي لا يدل على وجود ترتيب خاص كان بين سوره كما هو الان .

هذا . وقد ذهب الى ترجيح هذا الرأي ايضاً ، سيدنا الاستاذ الامام الخوئي - دام ظله - نظراً الى الامور التالية :

اولاً - احاديث جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ بنفسها متناقضة ، تتضارب مع بعضها البعض ، ففي بعضها تحديد زمن الجمع بعهد أبي بكر . وفي آخر بعهد عمر . وفي ثالث بعهد عثمان . كما ان البعض ينص على ان اول من جمع القرآن هو زيد بن ثابت . و آخر ينص على انه ابو بكر . وفي ثالث انه عمر . الى امثال ذلك من تناقضات ظاهرة .

ثانياً - معارضتها باحاديث دلت على ان القرآن كان قد جمع على عهده ﷺ منها حديث الشعبي ، قال : جمع القرآن على عهده ﷺ ستة ابي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وابو الدرداء وسعد بن عبيد وابوزيد . وفي حديث انس انهم اربعة : ابي ومعاذ وزيد وابوزيد . وامثال ذلك .

ثالثاً - منافاتها مع آيات التحدى ، التي هي دالة على اكتمال سور القرآن وتمايز بعضها عن بعض . ومتنافية ايضاً مع اطلاق لفظ الكتاب على القرآن في لسانه

صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظاهر في كونه مؤلفاً كتاباً مجموعاً بين دفتين .

رابعاً - مخالفة ذلك مع حكم العقل - بوجوب اهتمام النبي صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجمعه

وضبطه عن الضياع والاهمال .

خامساً - مخالفته مع اجماع المسلمين ، حيث يعتبرون النص القرآني متواتراً

عن النبي نفسه صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حين ان بعض هذه الروايات تشير الى اكتفاء الجامعين بعد

الرسول صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشهادة رجلين اورجل واحد !

سادساً - استلزام ذلك تحريفاً في نصوص الكتاب العزيز ، حيث طبيعة

الجمع المتأخر تستدعي وقوع نقص او زيادة في القرآن . وهذا مخالف لضرورة

الدين . ( ١ )

وزاد بعضهم : ان في المناسبة الموجودة بين كل سورة مع سابقتها ولاحقتها

لدليلا على ان نظمها وترتيبها كان بأمر الرسول صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذ لا يعرف المناسبة بهذا

الشكل المبدع البالغ حد الاعجاز غيره صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

\* \* \*

لكن يجب ان يعلم : ان قضية جمع القرآن حدث من احداث التاريخ ، وليست مسألة

عقلانية قابلة للبحث والجدل فيها . وعليه فيجب مراجعة النصوص التاريخية المستندة ،

من غير ان يكون مجال لتجوال الفكر فيها على أية حال !

وقد سبق اتفاق كلمة المؤرخين ونصوص ارباب السير واخبار الامم ، ووافقهم

اصحاب الحديث طراً ، على ان ترتيب السور شيء حصل بعد وفاة الرسول صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ولم يكن بالترتيب الذي نزلت عليه السور .

وبعد . فلانرى اى مناقضة بين روايات جمع القرآن ، اذ لا شك ان عمر

هو الذي اشار على ابي بكر بجمع القرآن ، وهذا الاخير امر زيداً ان يتصدى القضية

من قبله ، فيصح اسناد الجمع الاول الى كل من الثلاثة بهذا الاعتبار .

١ - راجع : البيان في تفسير القرآن - الامام الخوئي - ص ٢٥٧ - ٢٧٨

نعم نسبة الجمع الى عثمان كانت باعتبار توحيد المصاحف ونسخها في صورة  
موحدة . واما نسبة توحيد المصاحف الى عمر فهو من اشتباه الراوى قطعاً . لان الذى  
فعل ذلك هو عثمان باجماع المؤرخين .

وحديث ستة او اربعة جمعوا القرآن على عهد صلى الله عليه وسلم فمعناه : الحفظ عن  
ظهر القلب ، حفظوا جميع الايات النازلة لحد ذلك الوقت ، اما الدلالة على وجود  
نظم كان بين سوره فلا .

واما حديث التحدى فكان بنفس الايات والسور ، وكل آية او سورة  
قرآن ، ولم يكن التحدى يوماً ما بالترتيب القائم بين السور ، كى يتوجه الاستدلال  
المذكور !

على ان التحدى وقع في سور مكية (١) ايضاً ، ولم يجمع القرآن قبل الهجرة  
قطعياً .

واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأن القرآن ، شىء لا ينكر ، ومن ثم كان حريصاً على  
ثبات الايات ضمن سورها فور نزولها ، وقد حصل النظم بين آيات كل سورة في  
حياته صلى الله عليه وسلم اما الجمع بين السور وترتيبها كمصحف موحد ، فلم يحصل حينذاك ،  
نظراً لترقب نزول قرآن عليه ، فمالم ينقطع الوحي لا يصح جمع القرآن بين دفتين  
ككتاب . ومن ثم لما يقن بانقطاع الوحي بوفاة صلى الله عليه وآله ، اوصى الى على  
عليه السلام بجمعه .

ومعنى تواتر النص القرآنى : هو القطع بكونه وحياً ، الامر الذى يحصل  
من كل مستند وثيق ، وليس التواتر - هنا - بمعناه المصطلح عند الاصوليين .  
واما استلزام تأخر الجمع تحريفاً في كتاب الله ، فهو احتمال مجرد لاسنده  
بعد معرفتنا بضبط الجامعين وقرب عهدهم بنزول الايات وشدة احتياطهم على الوحي بما  
لا يدع مجالاً لتسرب احتمال زيادة او نقصان .

١- فى سورة يونس : ٣٨ . وسورة هود : ١٣ . وهما مكيتان .



واخيراً فان قولة البعض الاخيرة ، فهي لاتعدو خيالاً فارغاً اذ لا مناسبة ذاتية بين كل سورة وسابقتها او تالياتها ، سوى ما زعمه بعض المفسرين المتكلفين ، وهو محل باطل بعد اجماع الامة على ان ترتيب السور كان على خلاف ترتيب النزول بلاشك .

اذ لا يملك معارضو نادليلا يشينان عن الذي عزمنا عليه من تفصيل حديث الجمع ، واليك :

## جمع على بن ابيطالب عليه السلام

اول من تصدى لجمع القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة ، وبوصية منه (١) هو على بن ابيطالب عليه السلام قعد في بيته مشتغلا بجمع القرآن وترتيبه على منازل ، مع شروح وتفسير لمواضع مبهمة من الايات ، وبيان اسباب النزول ومواقع النزول بتفصيل حتى اكمله على هذا النمط البديع .

قال ابن النديم - بسند يذكره - : ان علياً عليه السلام رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله فأقسم ان لا يضع رداءه حتى يجمع القرآن . فجلس في بيته ثلاثة ايام (٢) حتى جمع القرآن . فهو اول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه (٣) وكان هذا المصحف عند آل جعفر .

قال : ورأيت انا في زماننا عند ابي يعلى حمزة الحسنى - رحمه الله - مصحفا

---

١- راجع : تفسير القمى ص ٧٤٥ وبحار الانوار ج ٩٢ ص ٤٨ و ص ٥٢

٢ - ولعله سهو من الراوى . لان الصحيح انه - عليه السلام - اكمل جمع القرآن

لمدة ستة اشهر ، كان لا يرتدى خلالها الا للصلاة . المناقب ج ٢ ص ٤٠

٣- قال ابن عباس : فجمع الله القرآن في قلب على ، وجمعه على بعد موت رسول الله - ص -

بسته اشهر . نفس المصدر.

قد سقط منه اوراق ، بخط علي بن ابيطالب ، يتوارثه بنو حسن (١) .

وهكذا روى احمد بن فارس عن السدي عن عبدخير عن علي عليه السلام (٢) .

وروى محمد بن سيرين عن عكرمة ، قال : لما كان بدء خلافة ابي بكر فعد علي ابن ابيطالب في بيته يجمع القرآن . قال : قلت لعكرمة : هل كان تأليف غيره كما انزل الاول فالاول ؟ قال : لو اجتمعت الانس والجن علي ان يألفوه هذا التأليف ما استطاعوا .

قال ابن سيرين : تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه الي المدينة فلم اقدر عليه (٣) .

قال ابن جزى الكلبي : كان القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال فلما توفي جمعه علي بن ابيطالب علي ترتيب نزوله . ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ولكنه لم يوجد (٤) .

قال الامام الباقر - عليه السلام - : ما من احد من الناس يقول انه جمع القرآن كله كما انزل الله الا كذاب . وما جمعه وما حفظه كما انزل الله الا علي بن ابيطالب (٥) .  
قال الشيخ المفيد - في المسائل السروية - : وقد جمع امير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزل من اوله الي آخره ، وألفه بحسب ما وجب تأليفه ، فقدم المكي علي المدني والمنسوخ علي الناسخ ، ووضع كل شيء منه في حقه (٦) .

١- الفهرست ص ٢٧ - ٢٨

٢- في كتابه «الصاحبي» ص ١٦٩ . هامش تأويل مشكل القرآن ص ٢٧٥ ط

٣- الاتقان ج ١ ص ٥٧ وراجع : الطبقات ج ٢ ق ٢ ص ١٠١ : والاستيعاب بهامش

٤- الاصابة ج ٢ ص ٢٥٣

٥- التسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ٢

٥- بحار الانوار ج ٩٢ ص ٨٨

٦- نفس المصدر



وقال العلامة البلاغى : من المعلوم عند الشيعة ان علياً امير المؤمنين بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يرتد برداء اللصلاة حتى جمع القرآن على ترتيب نزوله وتقدم منسوخه على ناسخه . واخرج ابن سعد وابن عبد البر فى الاستيعاب عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت ان علياً ابطأ عن بيعة ابي بكر ، فقال : أكرهت امارتى ؟ فقال : آليت بيمنى ان لارتدى برداء اللصلاة حتى اجمع القرآن . قال : فزعموا انه كتبه على تنزيله . قال محمد : فلواصبت ذلك الكتاب كان فيه علم (١) .

قال ابن حجر : وقد ورد ان علياً جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبى ﷺ اخرج ابن ابى داود (٢) .

قال ابن شهر آشوب : ومن عجب امره فى هذا الباب انه لاشيء من العلوم الا واهله يجعلون علياً قدوة ، فصار قوله قبلة فى الشريعة . فمنه سمع القرآن . ذكر الشيرازى فى نزول القرآن عن ابن عباس قال : ضمن الله محمداً ان يجمع القرآن بعده على بن ابي طالب ؑ قال : فجمع الله القرآن فى قلب على ، وجمعه على بعد موت رسول الله بستة اشهر ..

قال : وفى اخبار ابى رافع : ان النبى ﷺ قال فى مرضه الذى توفى فيه - لعلى - : يا على هذا كتاب الله خذه اليك ، فجمعه على فى ثوب ومضى الى منزله ، فلما قبض النبى ﷺ جلس على فألفه كما انزل الله ، وكان به عالماً .

قال : وحدثنى ابو العلاء العطار ، والموفق خطيب خوارزم فى كتابيهما بالاسناد عن على بن رباح : ان النبى ﷺ أمر علياً بتأليف القرآن فألفه وكتبه .

وروى ابو نعيم فى الحلية والخطيب فى الاربعين بالاسناد عن السدى عن عبد خير عن على ؑ قال : لما قبض رسول الله ﷺ اقسمت ان لا اضع ردائى على ظهرى حتى اجمع

١- آلاء الرحمان ج ١ ص ١٨ بالهامش . وراجع : الطبقات ج ٢ ق ٢ ص ١٠١

والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٢٥٣

٢- الاتقان ج ١ ص ٧١ - ٧٢

ما بين اللوحين ، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن .  
 قال : وفي اخبار اهل البيت - عليهم السلام - : انه عليه السلام آلى على نفسه ان  
 لا يضع رداءه على عاتقه الا للصلاة حتى يؤلف القرآن ويجمعه ، فانقطع عنهم مدة  
 الى ان جمعه ، ثم خرج اليهم به في ازار يحمله وهم مجتمعون في المسجد ، فانكروا  
 مصيره بعد انقطاع مع الالفة . فقالوا : لامر ماجاء ابو الحسن ، فلما توسطهم وضع  
 الكتاب بينهم ، ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : انى مخلف فيكم ما ان تمسكتم  
 به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتى اهل بيتى . وهذا الكتاب ، وانا العترة . فقام اليه  
 الثانى وقال له : ان يكن عندك قرآن فعند نامثله ، فلا حاجة لنا فيكما . فحمل عليه السلام  
 الكتاب وعاد به بعد ان الزمهم الحجفة .

وفى خبر طويل عن الامام الصادق عليه السلام : انه حملة وولى راجعاً نحو حجرته ،  
 وهو يقول : «فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون» (١) .

## وصف مصحف على - ع - :

امتاز مصحفه عليه السلام اولاً : بترتيبه الموضوع على ترتيب النزول ، الاول فالاول  
 فى دقة فائقة .

ثانياً : اثبات نصوص الكتاب كما هى من غير تحوير او تغيير او ان تشذمه  
 كلمة او آية .

ثالثاً : اثبات قراءته كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرفاً بحرف .

رابعاً : اشتماله على توضيحات - على الهامش طبعاً - وبيان المناسبة التى  
 استدعت نزول الآية ، والمكان الذى نزلت فيه ، والساعة التى نزلت فيها ، والاشخاص  
 الذين نزلت فيهم .

١- مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤٠ - ٤١ . والاية فى سورة آل عمران : ١٨٧ .

وراجع : بحار الانوار ج ٩٢ ص ٥١-٥٢

خامساً : اشتماله على الجوانب العامة من الايات ، بحيث لاتخص زماناً ولا مكاناً ولا شخصاً خاصاً . فهي تجرى كما تجرى الشمس والقمر . وهذا هو المقصود من التأويل فى قوله - عليه السلام - : ولقد جئتهم بالكتاب مشتملا على التنزيل والتأويل (١) .

فالتنزيل هى المناسبة الوقتية التى استدعت النزول . والتأويل هو بيان المجرى العام . كان مصحف على عليه السلام مشتملا على كل هذه الدقائق التى أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وآله من غير ان ينسى منها شيئاً او يشتهه عليه شىء .

قال عليه السلام : ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله الا قرأنيها وأملاها على ، فاكتبها بخطى . وعلمنى تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها . ودعا الله لى ان يعلمنى فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ، ولا علماً املاه على فكتبته منذ دعا لى مادعا . (٢)

وعن الاصبغ بن نباتة ، قال : قدم امير المؤمنين عليه السلام الكوفة ، صلى بهم اربعين صباحاً يقرأ بهم سبع اسم ربك الاعلى ، فقال المنافقون : لا والله ما يحسن ابن ابيطالب ان يقرأ القرآن : ولو احسن ان يقرأ القرآن لقرأ بنا غير هذه السورة ! قال : فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال : ويلهم انى لاعرف ناسخه من منسوخه ومحكمه من متشابهه وفصله من فصاله وحر وفه من معانيه ، والله ما من حرف نزل على محمد صلى الله عليه وآله الا انى اعرف فيمن انزل وفى اى يوم وفى اى موضع . ويلهم اما يقرأون : « ان هذا لى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (٣) » والله عندى ورثتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد انهى رسول الله صلى الله عليه وآله من ابراهيم وموسى - عليهما السلام - ويلهم والله انا الذى انزل الله فى : « وتعيها

١- آلاء الرحمن ج ١ ص ٢٥٧

٢- تفسير البرهان ج ١ ص ١٦

٣- سورة الاعلى : ١٨



اذن واعية (١) « فانما كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي فاعيه انا ومن يعيه ،  
فاذا خرجنا قالوا : ماذا قال آتفا ؟ » (٢)

هذا .. ولليعقوبي وصف غريب عن مصحف على عليه السلام : بجزؤه سبعة اجزاء ، كل  
جزء يحتوى على ست عشرة او خمس عشرة سورة ، لتكون مجموع السور مائة واحدى  
عشرة سورة !! وكل جزء لا بد ان تبلغ آياته ثمانمأة وستاً وثمانين آية ، فيكون مجموع  
آيات المصحف ستة آلاف واثنين ومأتى آية . ١ .

ويجعل مبدء الجزء الاول : سورة البقرة ثم سورة يوسف ثم العنكبوت ،  
وينتهى الى سورة الاعلى والبينة . ويسميه جزء البقرة .

ويجعل مبدء الجزء الثانى : آل عمران ثم هود والحج ، وينتهى الى سورة  
الفيل وقريش . ويسميه جزء آل عمران .

ويجعل مبدء الجزء الثالث : سورة النساء ، وآخره النمل . ويسميه جزء  
النساء .

ومبدء الجزء الرابع : المائدة وآخره الكافرون . ومبدء الجزء الخامس :  
الانعام ، ومنتهاه التكاثر . ومبدء الجزء السادس : الاعراف ، ومنتهاه النصر . ومبدء  
الجزء السابع : الانفال وآخره الناس .

وهكذا يوزع السور الطوال على مبادئ الاجزاء السبع ويتدرج الى القصار  
ويسمى كل جزء باسم السورة التى بدء بها (٣) .

وهذا الوصف يخالف تماماً وصف الاخرين : انه كان مرتباً حسب النزول .  
قال جلال الدين : كان اول مصحف على عليه السلام سورة اقرأ ثم سورة المدثر ثم

١- سورة الحاقة : ١٢

٢- تفسير العياشى ج ١ ص ١٢

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١١٣

نون ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير .. وهكذا الى آخر ترتيب السور حسب نزولها (١).  
ومن ثم فهذا الوصف مخالف لاجماع ارباب السير والتاريخ .

ومن الغريب انه جعل الم تنزيل والسجدة سورتين . وحم والمؤمن سورتين .  
وطس والنحل سورتين . وطسم والشعراء سورتين . فسى حين ان كلا منهما سورة  
واحدة . وعبر عن سورة الانبياء بسورة اقتربت ، فى حين انها تبتدى بقوله تعالى :  
« اقترب للناس حسابهم » .

وهذه الغفلة من مثل احمد بن الواضح الكاتب الاخبارى غريبة جداً !

## أمد مصحف على - ع - :

روى سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي - رضوان الله عليه - قال :  
لما رأى امير المؤمنين - صلوات الله عليه - غدر الناس به لزم بيته واقبل على القرآن  
يؤلفه ويجمعه ، فلم يخرج من بيته حتى جمعه . وكان فى المصحف والشظاظ والاشار  
والرقاع (٢) .

وبعث القوم اليه ليبياع فاعتذر باشتغاله بجمع القرآن ، فسكتوا عنه أياماً حتى  
جمعه فى ثوب واحد وختمه ثم خرج الى الناس - وفى رواية اليعقوبى : حمله على  
جمل واتى به الى القوم (٣) - وهم مجتمعون حول ابي بكر فى المسجد ، وخاطبهم  
قائلاً : انى لم ازل منذ قبض رسول الله ﷺ مشغولاً بغسله وتجهيزه ، ثم بالقرآن

١- الاتقان ج ١ ص ٦٢

٢- المصحف : جمع صحيفة ، وهى الورقة من كتاب اوقراطس . والشظاظ : خشبة  
محددة ، يجمع على أشظة . والاشار : خشبة اوصفحة او عظمة مرفقة مصقولة . والرقاع : جمع رقعة ،  
وهى القطعة من الورق يكتب عليه .

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١١٣

حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد ولم ينزل الله على نبيه آية من القرآن الاوقد جمعتها ، وليس منه آية الاوقد اقرأنيها رسول الله ﷺ وعلمني تأويلها . ان تقولوا غداً انا كنا عن هذا غافلين !

فقام اليه رجل من كبار القوم - وفي رواية ابي ذر : فنظر فيه فلان واذا فيه اشياء (١) - فقال : يا علي ، اردده فلاحاجة لنا فيه ، ما اغنانا بما معنا من القرآن، عما تدعوننا اليه ، فدخل علي عليه السلام بيته . (٢)

وفي رواية : قال علي عليه السلام : اما والله ماترونه بعد يومكم هذا ابدأ ، انما كان علي ان اخبركم حين جمعته لتقرأوه (٣) .

وقد تقدم كلام ابن النديم : كان مصحف علي يتوارثه بنو الحسن (٤) والصحيح عندنا : ان مصحفه عليه السلام يتوارثه اوصياؤه الائمة من بعده ، واحداً بعدواحد لا يرونه لاحد (٥) .

وفي عهد عثمان حيث اختلفت المصاحف واثارت ضجة بين المسلمين ، سأل طلحة الامام امير المؤمنين عليه السلام لويخرج للناس مصحفه الذي جمعه بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - اتى به الى القوم فرفضوه . قال : وما يمنعك - يرحمك الله - ان تخرج كتاب الله الى الناس ؟ ! فكف عليه السلام عن الجواب اولاً ، فكرر طلحة السؤال ، فقال : لا اراك يا ابا الحسن اجبتني عما سألتك من امر القرآن الاتظهره للناس ؟

---

١- احتجاج الطبرسي ص ٨٢

٢- كتاب سليم بن قيس ص ٧٢

٣- تفسير الصافي ج ١ ص ٢٥

٤- الفهرست ص ٤٨

٥- بحار الانوار ج ٩٢ ص ٤٢ و ٤٣



قال - عليه السلام - : يا طلحة عمداً كفتت عن جوابك . فاخبرني عما كتبه  
القوم أقرآن كله ام فيه ما ليس بقرآن ؟ قال طلحة : بل قرآن كله . قال - عليه السلام - :  
ان اخذتم بما فيه نجوتن من النار ودخلتم الجنة ... قال طلحة : حسبى اما اذا كان  
قرآناً فحسبى (١) .

هكذا حرص الامام واوصياؤه - عليهم السلام - على حفظ وحدة الامة ، فلا  
تختلف بعد اجتماعها على ما هو قرآن كله .

---

١- سليم بن قيس ص ١١٠ وبحار الانوار ج ٩٢ ص ٤٢

## جمع زيد بن ثابت :

كان ذلك الرفض القاسى لمصحف على عليه السلام يستدعى التفكير فى القيام بمهمة جمع القرآن مهما كلف الامر ، بعد أن احس الناس بضرورة جمع القرآن فى مكان ، ولاسيما كانت وصية نبيهم - صلى الله عليه وآله - بجمعه لثلاثا يضيع ، كما ضيعت اليهود توراتهم (١) .

هذا والقرآن هو المرجع الاول للتشريع الاسلامى ، والاساس الركين لبناية صرح الحياة الاجتماعية فى كافة شؤونها المختلفة آنذاك ، ولايصح ان يبقى مفرقاً على العصب واللعنف او فى صدور الرجال . ولاسيما وقد استحر القتل بكثير من حامليه ، ويوشك ان يذهب القرآن بذهاب حامليه ، فقد قتل منهم سبعون فى واقعة اليمامة ، وفى رواية : اربعمائة (٢) .

---

١- تفسير القمى ص ٧٤٥

٢- القسطلانى على البخارى ج ٧ ص ٤٢٧ . وفى الطبرى ج ٣ ص ٢٩٦ : قتل من المهاجرين والانصار من قصبة المدينة يومئذ ثلثمائة وستون ومن المهاجرين من غير اهل المدينة ثلثمائة ومن التابعين ثلثمائة . وفى كتاب ابى بكر الى خالد ص ٣٠٠ : دم الف وماتى رجل من المسلمين لم يجفف بعد ...

وهذه الفكرة ابداهها عمر بن الخطاب ، واقتراح على ابي بكر - وهو ولى المسلمين يوم ذاك - ان ينتدب لذلك من تتوفر فيه شرائط القيام بهذه المهمة الخطيرة ، فوقع اختيارهم على زيد بن ثابت ، وهو شاب حدث فيه مرونة حداثة السن ، وله سابقة كتابة الوحي ايضاً . فقد ملك الجدارة الذاتية من غير ان يخشى منه على جوانب الخلافة الفتية فى شىء ، كما كان يخشى من غيره من كبار الصحابة ، وفيهم شىء من المناعة والجموح وعدم الانقياد التام لميول السلطة واتجاهاتها آنذاك .

قال زيد : ارسل الى ابوبكر بعد مقتل اهل اليمامة ، وعمر جالس عنده . قال : ان هذا - و اشار الى عمر - اثنانى وقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقرآء القرآن ، واخاف ان يستحر بهم القتل فى سائر المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وأشار على بجمع القرآن . فقلت لعمر كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال : هو والله خير . فلم يزل يراجعنى عمر حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت الذى رأى عمر !

قال زيد : قال لى ابوبكر : انك شاب عاقل لانتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن واجمعه .

قال زيد : فوالله لو كلفونى نقل جبل من مكانه لم يكن اثقل على مما كلفونى به . قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فلم يزل ابوبكر وعمر يلحان على حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر ابي بكر وعمر .

قال زيد : فقممت اتتبع القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال... (١)

---

١- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٥ . مصاحف السجستانى ص ٦ . والكامل فى التاريخ

ج ٣ ص ٥٦ و ج ٢ ص ٢٤٧ . والبرهان للزركشى ج ١ ص ٢٣٣ .



## منهج زيد في جمع القرآن :

قام زيد بتنفيذ الفكرة ، فجمع القرآن من العصب واللخاف والادم والقراطيس ، وكانت متفرقة على ايدي الصحابة او في صدورهم ، وعاونه على ذلك جماعة .

واول عمل قام به : ان وجه نداء عاماً الى ملاء الناس : «من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به» .

وألف لجنة من خمسة وعشرين عضواً - كما جاء في رواية اليعقوبي ( ١ ) - وكان عمر يشرف عليهم بنفسه .

وكان اجتماعهم على باب المسجد يسومياً : والناس يأتونهم بآي القرآن وسوره ، كل حسب ماعنده من القرآن .

وكانوا لا يقبلون من أحد شيئاً حتى يأتي بشاهدين يشهدان بصحة ما عنده من قرآن . سوى خزيمة بن ثابت ، اتى بالآيتين آخر سورة براءة ، فقبلوهما منه من غير استشهاد ، لان رسول الله ﷺ اعتبر شهادته وحده شهادتين ( ٢ ) .

قال زيد : ووجدت آخر سورة براءة مع (ابى) خزيمة الانصارى لم أجده مع احد غيره (٣) وسنتكلم عما جاء بين المعقوفين .

ومن غريب الامر : ان عمر جاء بآية الرجم وزعمها من القرآن : «الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله» لكنه واجه بالرفض ، ولم تقبل منه ، لانه لم يستطع ان يقيم على ذلك شاهدين ( ٤ ) وبقي اثر ذلك فى نفس عمر ، فكان يقول - ايام خلافته - : لولا ان يقول الناس : زاد عمر فى كتاب الله . لكتبها بيدي - يعنى

١- تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١٣

٢- راجع : اسد الغابة لابن الاثير ج ٢ ص ١١٤ ومصاحف السجستاني ص ٦-٩

٣- البخارى ج ٦ ص ٢٢٥

٤- الاتقان ج ١ ص ٥٨

\* \* \*

ثم ان زيدا لم ينظم سور القرآن ولم يرتبهن كمصحف ، وانما جمع القرآن في صحف ، اى اودع الايات والسور في صحف وجعلها في اضبارة ، فكان جمعاً عن التفرقة والضياح ، ومن ثم لم يسم جمعه مصحفاً .

قال المحاسبى : كان القرآن مفرقاً فى الرقاع والاكتاف والعسب وانما امر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة اوراق فيها القرآن منتشراً ، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شىء . (٢)

وقال ابن حجر : والفرق بين الصحف ( التى جاءت فى رواية جمع زيد ) والمصحف : ان الصحف هى الاوراق المجردة التى جمع فيها القرآن فى عهد ابي بكر ، وكانت سوراً مفرقة ، كل سورة مرتبة بآياتها على حدة ، لكن لم يرتب بعضها اثر بعض ، فلما نسخت ورتب بعضها اثر بعض صارت مصحفاً (٣) .

وقال احمد امين : وفى عهد ابي بكر امر بجمع القرآن ، لكن لافى مصحف واحد ، بل جمعت الصحف المختلفة التى فيها آيات القرآن وسوره ، واودعت الصحف الكثيرة التى فيها القرآن عند ابي بكر (٤) .

وقال الزرقانى : صحف ابي بكر كانت مرتبة الايات دون السور (٥) .

\* \* \*

وهذه الصحف اودعت عند ابي بكر ، فكانت عنده مدة حياته ، ثم صارت عند

١- تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٤١ والبرهان للزركشى ج ٢ ص ٣٥ والاتقان ج ٢ ص ٢٤

٢- الاتقان ج ١ ص ٥٩

٣- فتح البارى ج ٩ ص ١٦

٤- فجر الاسلام ص ١٩٥

٥- مناهل العرفان ج ١ ص ٢٥٤

عمر ، وبعده كانت عند ابنته حفصة ، وفي أيام توحيد المصاحف استعارها عثمان  
منها ليقابل بها النسخ ، ثم ردها اليها ، فلما توفيت اخذها مروان - يوم كان والياً  
على المدينة من قبل معاوية - من ورثتها وأمر بها فشقّت (١) .

\* \* \*

جاء في نص البخارى : ووجدت آخر سورة براءة مع ابى خزيمة ... ومن  
ثم يتساءل البعض : من هو ابو خزيمة ؟  
قال القسطلانى : هو : ابن اوس بن يزيد بن حزام ، المشهور بكنيته من غير ان  
يعرف اسمه (٢) .

واحتمل ابن حجر : انه الحرث بن خزيمة ، كما جاء فى رواية ابى داود (٣) .  
والصحيح انه من زيادة الراوى او الناسخ خطأ ، وانما هو خزيمة من غير اضافة  
الاب اليه . بدليل ان زياداً قبل شهادته مكان شهادتين . وليس فى الصحابة من يتسم بهذه  
السمة الخاصة سواه (٤) وهكذا جزم الامام بدر الدين الزركشى انه خزيمة الذى  
جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين (٥) ومن ثم ادرجه فى النص هكذا بلا  
اضافة الاب (٦) .

او يقال : ان ابا خزيمة هو خزيمة بن ثابت ، كان يقال له : ابو خزيمة ايضاً ،  
كما جاء فى نص ابن اشته : ابو خزيمة بن ثابت (٧) .

---

١- القسطلانى بشرح البخارى ج ٧ ص ٢٢٩

٢- شرح البخارى ج ٧ ص ٢٢٧

٣- فتح البارى ج ٩ ص ١٢

٤- راجع : ابن سعد فى الطبقات ج ٣ ق ٢ ص ٩٠

٥- البرهان ج ١ ص ٢٣٢

٦- المصدر فى صفحة : ٢٣٩

٧- الاتقان ج ١ ص ٥٨



وفي سائر الروايات - غير رواية البخاري - خزيمة بن ثابت، بلاضافة الاب، (١) ومن ثم رجحنا خطأ النسخة .

\* \* \*

وسؤال آخر : ماذا كان يعنى بالشاهدين في جعلهما شرط قبول النص القرآني ؟ كما جاء في نص ابن داود باسناد معتبر ، وتلقته ائمة الفن بالقبول (٢) . قال ابن حجر : وكان المراد بالشاهدين : الحفظ والكتابة (٣) . وقال السخاوي : شاهدان يشهدان على ان ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وآله - او المراد : انهما يشهدان بصحة قرائتها ، وانها من الوجوه التي نزل بها القرآن .

قال ابو شامة : وكان الغرض من ذلك ان لا يكتب الا من عين ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ لا من مجرد الحفظ .

قال جلال الدين : او المراد : انهما يشهدان على ان ذلك مما عرض على النبي ﷺ عام وفاته ، وكانت هي القراءة الاخيرة التي اتفق عليها الصحابة وقرؤها الناس اليوم (٤) .

قلت : المراد : ان شاهدين عدلين - احدهما الذي اتى بالاية وعدل آخر - يشهدان بسماعهما قرآناً من النبي ﷺ بدليل قبول شهادة خزيمة بن ثابت الذي جاء بأخر سورة براءة ، مكان شهادة رجلين . وهكذا جاء في نص ابن اشته ، اخرجه في المصاحف عن الليث بن سعد ، قال : وكان الناس يأتون زيد بن ثابت ، فكان لا يكتب آية الا بشاهدي عدل . وان آخر سورة براءة لم يجدها الا مع ابي خزيمة بن ثابت

---

١- راجع : الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٦

٢- راجع الاتقان ج ١ ص ٥٨

٣- فتح الباري ج ٩ ص ١٢

٤- الاتقان ج ١ ص ٥٨ وراجع : ص ٥٠

ذى الشهادتين ، فقال : اكتبوها ، فان رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب . وان عمر اتى بأية الرجم فلم يكتبها ، لانه كان وحده (١) .

## شكوك واعتراضات :

يقول بلاشير : لماذا اختار ابوبكر لهذه المهمة الخطيرة مثل زيد وهو شاب حدث لم يتجاوز العشرين ، فى حين وجود ذوى الكفاءات من كبار الصحابة ؟ ولنفرض عكورة المورد حالت دون اللجوء الى شخصية كبيرة مثل على بن ابي طالب ، فلما اذا اغفلوا سائر فضلاء الصحابة ممن لهم سابقة وعهد قديم بنزول القرآن وصحبة الرسول ؟ وهل ان واقعة اليمامة اطاحت بجميع قراء الصحابة القدامى ، ولم يبق سوى زيد وهو حديث العهد بالقراءة وبالقرآن ؟ الامر الذى يثير شكوكنا فى القضية ولانكاد نصدق بان زيدا هو الذى جمع القرآن ..

اضف الى ذلك ان التاريخ لم يحدد بالضبط بدء قيامه بهذا العمل ، ومتى انتهى منه ؟ فلوصح انه قام بجمع القرآن بعد واقعة اليمامة ، لكان بقى من عمر ابي بكر خمسة عشر شهراً ، وهذه فترة تضيق بانجاز هكذا عمل خطير ، الذى يتطلب جهوداً واسعة لجمع المصادر والالتقاء مع رجال كانت عندهم آيات اوسور وكانوا قد انتشروا فى البلاد ، فان هذا وذاك يتطلبان وقتاً اوسع واعوانا كثيرين ، مما لا يمكن انجازه فى تلك المدة القصيرة .

هذا والرواية تقول : ان زيدا جمع القرآن فى صحف وادعها عند ابي بكر ، ثم صارت عند عمر ثم ورثتها ابنته حفصة !.

فاذا كانت الغاية من جمع القرآن هى ملاحظة المصلحة العامة كما ينبه على ذلك ان ورثة ابي بكر لم يختصوا بتلك الصحف ، وانما انتقلت الى عمر ، الخليفة بعده . فلماذا خصصها عمر بابنته حفصة ولم يجعلها فى متناول المسلمين عاماً ؟ كما انه

لم صارت الصحف ودبعة اختصاصية عند ابي بكر من غير ان تجعل فى مكان هو معرض عام ؟

وهكذا اعترض المستشرق شفالى على قضية جمع زيد للقرآن .  
والذى يستنتجه بلاشير من شكوكه هذه : ان كبار الصحابة هم الذين قاموا بجمع القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ ورتبوه ورتبوا سورة ، الامر الذى كانت وظيفة الخلافة الاسلامية ان تقوم به ولكنها غفلت عنه . وربما ادت هذه الغفلة الى الطعن فى القائمين باعضائها . ومن ثم اوعزت الى شاب حدث لايتهموه ان ينسخ عن بعض مصاحف الصحابة مصحفاً يمتاز به الخليفة ايضاً ، اما اصل القيام بجمع القرآن فلا . (١)

\* \* \*

قلت : اذا كانت شرائط انجاز عمل - مهما كان ضخماً - متوفرة ، وفى المتناول القريب ، فان انجازه يتحقق فى اقرب وقت ممكن . ولاسيما اذا كان العمل فوتياً يحاول المتصدون انجازه فى اقرب فرصة ممكنة . وهكذا كانت قضية جمع القرآن فى الصدر الاول . .

اما المصادر الاولى فكانت متوفرة فى نفس المدينة ، محفوظة على ايدى الصحابة الامناء ، وكان حملة القرآن وحفظته موجودين لايفارقون مسجد سيدهم ، الذى ارتحل من بينهم فى عهد قريب ، ليل نهار ، والاتصال بهم سهل التناول . ولاسيما وسور القرآن كانت مكتملة ، وبقي جمعها فى مكان ، لاكثر . اذن فقد كانت الاسباب مؤاتية والظروف مساعدة . اضعف اليها : ان السلطة - وببيدها القدرة - اذا حاولت انجاز هكذا عمل متهمىء الاسباب ، فانه لايستدعى طولاً فى مدة العمل بعد توفر هذه الشروط .

---

١- مترجم وملخص عن مجلة «خواندنيها» الفارسية فى ستها الثامنة العدد : ٢٢ بتاريخ

١٣ بهمن ١٣٢٦ هـ ش طهران .



هذا وزيد لم يعمل سوى جمع القرآن في مكان وحفظه عن الضياع والانبثاق ولم يعمل فيه نظماً ولا ترتيباً ولا إيا عمل فكري آخر ، فان هكذا عمل بسيط لا يتطلب جهوداً طويلة ولا فراغاً واسعاً .

نعم كانت الغاية من ذلك هي مراعاة المصلحة العامة : حفظ القرآن عن الضياع ، الأمر الذي تحقق بإيداع الصحف المشتملة على تمام القرآن في مكان أمين . ولم يكن يومذاك احتياج الى مراجعة تلك الصحف بعد ان كان حفظة القرآن وحاملوه منتشرين بين اظهر الناس بكثرة ، والناس يومذاك حافظون لجل آيات ترتبط والحياة المعيشية والسياسية وما شبهه .

هذا .. وفي اواخر عهد عمر اصبحت نسخ المصاحف المحتوية على جميع آي القرآن وسوره كثيرة ، ومجموعة على ايدى كبار الصحابة الموثوق بهم ، رأى ان الحاجة العامة الى تلك الصحف المودعة عنده هبطت الى درجة نازلة جداً ، ومن ثم تملكها هو ، ولم تعد حاجة اليها سوى في دور توحيد المصاحف على عهد عثمان .

## جدارة زيد الخاصة !

واما قضية اختيار مثل زيد لهكذا عمل خطير ...

فقال الزرقاني : ان ابا بكر رأى بنور الله ان يندب لتحقيق هذا العمل رجلاً من خيرة رجالات الصحابة ، هو زيد بن ثابت ، لانه اجتمع فيه من المواهب ذات الاثر في جمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرجال ، اذ كان من حفاظ القرآن . ومن كتاب الوحي لرسول الله ﷺ . وشهد العرضة الاخيرة للقرآن . وكان فوق ذلك معروفاً بخصوبة عقله . وشدة ورعه . وعظم امانته . وكمال خلقه . واستقامة دينه . (١)

تلك نعوت ثمانية عددها الزرقاني ، زعمها متوفرة في زيد وحده ، لم تجتمع  
جميعاً في غيره من صحابة الرسول ﷺ الموجودين آنذاك .. !

هذا ما لانكاد نصدقه بتاتا ...!

انا نعلم : ان الذين جمعوا القرآن كله وحفظوه على عهد رسول الله ﷺ وقد كان  
امر الناس بالرجوع اليهم واستقراء القرآن منهم - على ما جاء في صحيح البخارى  
وغيره - اربعة ، ليس فيهم زيد ، هم : عبدالله بن مسعود . وابى بن كعب . ومعاذ  
ابن جبل . وسالم مولى حذيفة (١) .

وكانوا على وفرة من سائر النعوت التي ذكرها الزرقاني ، فلماذا لم يختار ابوبكر  
واحداً من هؤلاء ؟!

اما الذي شهد العرصة الاخيرة فهو ابن مسعود ، ولم يكن زيدا ..! قال ابن عباس  
كان القرآن يعرض على رسول الله - صلى الله عليه وآله - في كل رمضان مرة الا العام  
الذي قبض فيه ، فانه عرض عليه مرتين ، وقد حضره عبدالله بن مسعود ، فشهد ما نسخ  
وبدل (٢) .

هذا وسابقة ابن مسعود بالقرآن وبعناية الرسول ﷺ الذي كان يعلمه القرآن  
من فيه معروفة (٣) .

---

١- البخارى ج ٥ ص ٣٤ وج ٦ ص ٢٢٩

وجاء في حديث انس : لم يجمع القرآن على عهده -ص- غير اربعة : ابوالدرداء  
ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابوزيد.. البخارى ج ٦ ص ٢٣٠ لكنه زعم زعمه انس ومن ثم  
رد عليه ائمة النقد والتمحيص . راجع : فتح البارى ج ٩ ص ٢٢ والاتقان ج ١ ص ٧١  
واذا كان زيد ممن جمع القرآن على عهده -ص- فلماذا استعظم ذلك عند ما اقترح  
عليه ابوبكر ان يقوم بجمع القرآن ؟!

٢- طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٢٢

٣- راجع : البخارى ج ٥ ص ٣٥ وج ٦ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ . والطبقات ج ٢ ص ٣٥٥

ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ٢٢٠

وكان ابي بن كعب اقرأ اصحاب النبي ﷺ وقد امره الله ان يعرض القرآن كله على ابي (١) وكان معروفاً بسيد القراء (٢) .

وكذلك معاذ بن جبل الذي قال الرسول ﷺ في حقه : هو امام العلماء رتوة - اى اعتلاء - وخلفه في اهل مكة يفقههم ويقرهم القرآن (٣) .

الامر الذى يجعل من زيد معوزاً كفاءة سائر الصحابة الكبار ! كما ان قضية كتابته للوحى كانت عند فقد الاخرين . قال ابن عبد البر : كان النبي ﷺ اذا لم يكن ابي بن كعب حاضراً دعى زيدا ليكتب له (٤) هذا... ولم يأت الزرقانى لما ذكره من نعوت خاصة بمستند !

نعم ، كان الذى يختص به زيد دون سائر رجال الاصحاب هو : امتيازه بصفة جاءت الاشارة اليها فى نص البخارى : « انك شاب عاقل - ! - لانتهمك » . ! كان ذانزعة متلائمة مع اهداف السلطة القائمة ، وقد ابدى ذلك يوم السقيفة ، وقف موقف المدافع الحاد دون المهاجرين ، وهو انصارى قائل : ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان من المهاجرين وكنا انصاره وانما يكون الامام من المهاجرين ونحن انصاره . . . فانبسط وجه ابي بكر لهذا الكلام المبتكر وجزاه خيراً : قال : جزاكم الله خيراً من حى يامعشر الانصار، وثبت قائلكم - يعنى زيدا - والله لو قلت غير هذا ما صالحناكم . . (٥)

ولم ينس له ابو بكر هذا الموقف الخطير ، ومن ثم انتدبه لجمع القرآن ،

١- راجع : البخارى ج ٦ ص ٢٣٠ . والطبقات ج ٢ ص ٣٤١

٢- تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨٧

٣- راجع : الطبقات ج ٢ ص ٣٢٧ و ٣٤٨

٤- الاستيعاب بهامش الاصابة ج ١ ص ٢٩ و اسد الغابة ج ١ ص ٥٠

٥- تهذيب ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٦ و ص ٢٢٢



معتمداً عليه كل الاعتماد ، من غير ان يتهمه في عقله الذي كان يرى مجرى الرياح  
من اين تهب ا او ان يشك في اتجاه سلوكه الانتهازي . وقال له يوماً معجبا به : وانت  
عندنا كلنا امين (١) .. هذا . والحديث ذوشجون .

## مصاحف اخرى :

في الفترة بعد وفاة النبي ﷺ قامت جماعة من كبار الصحابة بتأليف القرآن وجمع سوره بين دفتين ، كل بنظم وترتيب خاص ، وكان يسمى مصحفا .  
يقال : اول من جمع القرآن في مصحف ، اى رتب سوره ككتاب منظم ، هو سالم مولى حذيفة . فائتمروا فيما يسمونه ؟ فقال بعضهم : سموه السفر . فقال سالم : ذلك تسمية اليهود ، فكرهوه . فقال : رأيت مثله في الحبشة يسمى المصحف . فاجتمع رأيهم على ان يسموه المصحف . اخرجه ابن أشته في كتاب المصاحف . (١)  
وهكذا قام بجمع القرآن ابن مسعود . وابى بن كعب . وابو موسى الاشعري ، وكان سمي مصحفه : لباب القلوب (٢) . والمقداد بن الاسود . ومعاذ بن جبل .  
ويبدو من حديث العراقي الذي جاء الى عائشة يطلب اليها ان تربه مصحفها ان لها ايضاً مصحف كان يخصها . روى البخارى عن ابن ماسك ، قال : انى عند عائشة اذ جاءها عراقي فسألها عن مسائل : منها : انه طلب ان تربه مصحفها ، قال : يام المؤمنين ارينى مصحفك . قالت لم ؟ قال : لعلى اؤلف القرآن عليه ، فانه يقرأ

١- الاتقان ج ١ ص ٥٨ . وراجع : المصاحف للسجستاني ص ١١ - ١٢

٢- الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٥٥

غير مؤلف - اى غير مرتب ولا منظم ، اولاختلاف الناس فى نظم آيه وعدددها (١) -  
قالت : وما يضرك أيه قرأت ... الى ان قال : فاخرجت له مصحفاً وأملت عليه آى  
السور (٢) اى عدد آيها .

وحاز بعض هذه المصاحف مقاماً رفيعاً فى المجتمع الاسلامى آنذاك ، فكان  
اهل الكوفة يقرأون على مصحف عبدالله بن مسعود . واهل البصرة يقرأون على  
مصحف ابي موسى الأشعري . واهل الشام على مصحف ابي بن كعب . واهل دمشق  
خاصة على مصحف المقداد بن الاسود . وفى رواية الكامل : ان اهل حمص كانوا  
على قراءة المقداد (٣) .

### أمد هذه المصاحف :

كان امد هذه المصاحف قصيراً جداً انتهى بدور توحيد المصاحف على عهد  
عثمان . فذهبت مصاحف الصحابة عرضة التمزيق والحرق .  
قال انس بن مالك : ارسل عثمان الى كل اقق بمصحف مما نسخوا ، وامر  
بما سواه من القرآن فى كل صحيفة او مصحف ان يحرق (٤) .  
نعم حظيت بعض هذه المصاحف عمراً اطول ، كالمصحف التى كانت عند  
حفصة ، طلبها عثمان ليقابل بهانسخ المصاحف فابت ان تدفعها اليه حتى عاهاها  
ليردنها عليها (٥) ومن ثم ردها وبقيت عندها حتى توفيت ، فأمر بها مروان فشققت .

١- احتمله ابن حجر فى فتح البارى ج ٩ ص ٣٦

٢- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٨

٣- الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٥٥ . وراجع : البخارى ج ٦ ص ٢٢٥ والمصاحف

لابن ابي داود السجستانى ص ١١ - ١٢ . والبرهان للزركشى ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٣

٤- البخارى ج ٦ ص ٢٢٦

٥- مصاحف السجستانى ص ٩



ويبدو من رواية ابي بكر بن ابي داود : ان ولد ابي بن كعب كانوا قد احتفظوا  
بنسخة من مصحف ابيهم بعيداً عن آخرين . قال : قدم اناس من العراق يريدون محمد  
ابن ابي ، فطلبوا اليه ان يخرج لهم مصحف ابيه ! فقال : قد قبضه عثمان ، فألحوا  
عليه ولكن من غير جدوى ، الامر الذى كان يدل على مبلغ خوفه من الحكم القائم ،  
فلم يخرجهم للعراقيين (١) .

وفي رواية الطبرى : ان ابن عباس دفع مصحفاً الى ابي ثابت ، ووصفه بانها  
على قراءة ابي بن كعب . وبقي الى ان انتقل الى نصير بن ابي الاشعث الاسدى الكوفى  
فاتاه يحيى بن عيسى الفاخورى يوماً وقرأ فيه : «فما استمتعتم به منهن الى اجل  
مسمى» (٢) الامر الذى يدل على ان هذا المصحف عاش حتى اواخر القرن الثانى ،  
لان يحيى بن عيسى توفى عام ٢٠١ (٣) .

قال الفضل بن شاذان : اخبرنا الثقة من اصحابنا ، قال : كان تأليف السور فى  
قراءة ابي بن كعب بالبصرة فى قرية يقال لها «قرية الانصار» على رأس فرسخين عند  
محمد بن عبد الملك الانصارى ( توفى سنة ١٥٠ ) . اخرج الينا مصحفاً قال : هو  
مصحف ابي . رويناه عن آباءنا ، فنظرت فيه فاستخرجت اوائل السور وخواتيم الرسل وعدد  
الاي . . (٤)

وجاء فى روايات اهل البيت - عليهم السلام - قول الصادق عليه السلام : امان نحن فنقرأ  
على قراءة ابي - اى ابن كعب (٥) .

\* \* \*

---

١- المصاحف للسجستاني ص ٢٥

٢- تفسير الطبرى ج ٥ ص ٩

٣- تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢٦٣

٤- فهرست ابن النديم ص ٢٩

٥- وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٢١

اما ابن مسعود فامتنع ان يدفع مصحفه الى رسول الخليفة ، وظل محتفظاً به  
في صرامة بالغة ادت الى مشاجرة عنيفة جرت بينه وبين عثمان ، كان فيها ابعاده عن  
عمله واخيراً حتفه :

عند ما جاء رسول الخليفة الى الكوفة لآخذ المصاحف ، قام ابن مسعود خطيباً  
قائلاً : ايها الناس اني غال مصحفى ، ومن استطاع ان يغل مصحفاً فليغل ، فانه من  
غل يأت يوم القيامة بما غل ونعم الغل المصحف (١) .

و هكذا كان يحرض الناس على مخالفة الحكم القائم ، الامر الذي جر عليه  
الويلات ، فاشخصه الخليفة الى المدينة و جرى بينهما كلام عنيف انتهى الى ضربه  
وكسراضلاعه واخراجه من المسجد بصورة مزرية .

روى الواقدي باسناده وغيره : ان ابن مسعود لما استقدم المدينة دخلها ليلاً ،  
وكانت ليلة جمعة ، فلما علم عثمان بدخوله ، قال : ايها الناس انه قد طرقكم الليلة  
دوية ، من يمشى على طعامه بقىء ويسلح .

قال ابن مسعود : لست كذلك ولكننى صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ، و  
صاحبه يوم احد ، و صاحبه يوم بيعة الرضوان ، و صاحبه يوم الخندق ، و صاحبه  
يوم حنين . . .

و صاحت عائشة : يا عثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ ؟ ! فقال  
عثمان : اسكتى .

ثم قال لعبدالله بن زمعة بن الاسود : أخرجه اخراجاً عنيفاً ! فأخذه ابن زمعة ،  
فاحتمله حتى جاء به باب المسجد ، فضرب به الارض ، فكسر ضلعا من اضلاعه .  
فقال ابن مسعود : قتلنى ابن زمعة الكافر بأمر عثمان .

قال الراوى : فكأننى انظر الى حموشة ساقى عبد الله بن مسعود ، و رجلاه  
تختلفان على عنق مولى عثمان ، حتى اخرج من المسجد ، وهو يقول : انشدك الله

١- المصاحف للسجستاني ص ١٥ والاية فى سورة آل عمران : ١٦١ .

الاتخرجني من مسجد خليلي رسول الله ﷺ (١) .

قيل : و اعتل ابن مسعود فاتاه عثمان يعوده ، فقال له : ما كلام بلغني عنك ؟ قال : ذكرت الذي فعلته بي ، انك امرت بي فوطيء جوفى فلم اعقل صلاة الظهر و لا العصر ، ومنعتني عطائي ، قال عثمان : فاني اقيدك من نفسي ، فافعل بي مثل الذي فعل بك . . . وهذا عطاؤك فخذة : قال ابن مسعود : منعتيه و انسا محتاج اليه ، و تعطيني و انا غني عنه ! الاحاجة لى به . . . فاقام ابن مسعود مغاضبا لعثمان حتى توفي ، و صلى عليه عمار بن ياسر في ستر من عثمان . و هكذا المامات المقداد صلى عليه عمار بوصية منه ، فاشتد غضب عثمان على عمار . و قال : و يلى على ابن السوداء اما لقد كنت به عليما (٢) .

\* \* \*

هذا . . . و رغم ذلك كله فقد بقى مصحفه متداول الى أيام متأخرة : يقول ابن النديم ( ٢٩٧ - ٣٨٥ هـ ) رأيت عدة مصاحف ذكر نساخها انها مصحف عبد الله بن مسعود ، و قد كتب بعضها منذ مأتى سنة (٣) . و هكذا يبدو من الزمخشري : ان هذا المصحف كان معروفا حتى القرن السادس ، لانه يقول : و فى مصحف ابن مسعود كذا . . . و ظاهر هذه العبارة انه هو و جدها فى نفس المصحف ، لانه منقول اليه (٤) .

١- ابن ابى الحديد : شرح النهج ج ٣ ص ٢٣ - ٢٤ .

٢- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١٦٠ .

٣- الفهرست ص ٤٦ .

٤- راجع : الكشاف ج ٢ ص ٢١٠ آية ٧١ من سورة هود . و ج ٢ ص ٢٩٠ آية ٧

من سورة المجادلة .



## وصف عام عن مصاحف الصحابة :

كان الطابع العام الذى كانت المصاحف آنذاك تتسم به : هو تقديم السور الطوال على القصار نوعاً ما فى ترتيب منهجى خاص :

١- ابتداء من السبع الطوال : البقرة ، آل عمران ، النساء ، الاعراف ، الانعام ، المائدة ، يونس (١) .

٢- ثم المثين ، وهى السور تربو آياتها على المائة ، وهى ما تقرب اثنى عشرة سورة .

٣- ثم المثانى ، وهى السور لا تبلغ آياتها المائة ، وهى ما تقرب عشرين سورة . وسميت مثانى لأنها تثنى اى تكرر قراءتها اكثر مما تقرأ غيرها من الطوال والمثين .

٤- ثم الحواميم . وهى السور بدئت بـ « حم » : سبع سور .

٥- ثم الممتحنات . وهى تقرب من عشرين سورة .

٦- ثم المفصلات . تبتهء من سورة الرحمن الى آخر القرآن .

وسميت بذلك لقرب فواصلها وكثرة فصولها .

هذا هو الطابع العام لمصاحف الصحابة ، والنظر فى الاكثر الى مصحف ابن مسعود . و ان كانت المصاحف تختلف مع بعضها فى تقديم بعض السور على بعض وتأخيرها عنها ، او يزيد عدد سور بعضها على بعض . على تفصيل يأتى .

---

١- تلك السبع الطوال فى مصاحف الصحابة ، غير ان عثمان عمد الى تقديم سورة

الانفال فزعمها مع سورة براءة سورة واحدة جعلهما من السبع الطوال . وسيأتى الكلام فى ذلك

راجع : الاتقان ج ١ ص ٦٠ ومستدرک الحاكم ج ٢ ص ٢٢١ .

## وصف مصحف ابن مسعود :

كان تأليف مصحف عبد الله بن مسعود وفق الترتيب التالي (١) :

١- السبع الطوال : البقرة ، النساء ، آل عمران ، الاعراف ، الانعام ، المائدة

يونس .

٢- المثين : براءة ، النحل ، هود ، يوسف ، الكهف ، الاسراء ، الانبياء ، طه ،

المؤمنون ، الشعراء ، الصافات .

٣- المثاني : الاحزاب ، الحج ، القصص ، النمل ، النور ، الانفال ، مريم ،

العنكبوت ، الروم ، يس ، الفرقان ، الحجر ، الرعد ، سبأ ، فاطر ، ابراهيم ، ص ،

محمد ﷺ ، لقمان ، الزمر .

٤- الحواميم : المؤمن ، الزخرف ، فصلت ، الشورى ، الاحقاف ، الجاثية ،

الدخان .

٥- الممتحنات : الفتح ، الحديد (ن) ، الحشر ، السجدة ، ق (ن) ، الطلاق ،

القلم ، الحجرات ، الملك ، التغابن ، المنافقون ، الجمعة ، الصف ، الجن ، نوح ،

---

١- على ما جاء في نص ابن اشته ( الاتقان ج ١ ص ٦٤ ) و اكملنا ما سقط منه على

نص ابن التديم ( الفهرست ص ٤٦ ) و ارمزنا له بعلامة (ن) .

المجادلة ، الممتحنة ، التحريم .

٤- المفصلات : الرحمن ، النجم ، الطور ، الذاريات ، القمر ، الحاقة(ن) ،  
الواقعة ، النازعات ، المعارج ، المدثر ، المزمل ، المطففين ، عبس ، الانسان ،  
المرسلات ، القيامة ، النبأ ، التكوير ، الانفطار ، الغاشية ، الاعلى ، الليل ، الفجر ،  
البروج ، الانشقاق ، العلق ، البلد ، الضحى ، الطارق ، العاديات ، الدين ، القارعة ،  
البينة ، الشمس ، التين ، الهمزة ، الفيل ، قريش ، التكاثر ، القدر ، الزلزال ،  
العصر ، النصر ، الكوثر ، الكافرون ، المسد ، التوحيد ، الانشراح .

تلك مائة واحدى عشرة سورة . باسقاط سورة الفاتحة وسورتى المعوذتين .

على ماسنذكر .

\* \* \*

جهة اخرى - اختص بها مصحف ابن مسعود - : اسقاطه سورة الفاتحة ،  
لاعتقاداً انها ليست من القرآن ، بل لان الثبت فى المصحف كان قيماً للسور دون  
الضياح ، وهذه السورة (الفاتحة) مأمونة عن الضياح بذاتها ، لايزال المسلمون يقرأونها  
كل يوم عشر مرات او اكثر . ذكره ابن قتيبة فيما يأتى .

اولعله رأها عدلاً للقرآن فى قوله تعالى : «ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن

العظيم» (١) . والسبع المثانى هى سورة الفاتحة .

وعلى اى تقدير فقد اتفق ائمة الفن على خلو مصحفه من سورة الحمد . نقل

ذلك ابن النديم عن الفضل بن شاذان ، وقال : انه احد الائمة فى القرآن والروايات .

ومن ثم يرجح ما ذكره الفضل على ماشهده بنفسه (٢) .

وقال جلال الدين السيوطى : واما اسقاطه الفاتحة فقد اخرجه ابو عبيد بسند

---

١- سورة الحجر : ٨٧

٢- الفهرست : ابن النديم ص ٤٦



صحيح (١) وكان قد ذكر الرواية قبل ذلك (٢) .

وقال ابن قتيبة : واما اسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لجهله بانها من القرآن ، كيف وهو اشد الصحابة عناية بالقرآن . ولم يزل يسمع رسول الله ﷺ يوم بها ، ويقول : لاصلاة الابسورة الحمد ، وهى السبع المثانى وام الكتاب . لكنه ذهب فيما يظن اهل النظر ( المحققون ) الى ان القرآن انما كتب وجمع بين اللوحين ( الدفتين ) مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، ورآى ان ذلك مأمون على سورة الحمد ، لقصرها ولانها تثنى فى كل صلاة ، ولوجوب تعلمها على كل مسلم . فلما أمن عليها العلة التى من اجلها كتب المصحف ، ترك كتابتها ، وهو يعلم انها من القرآن (٣) .

\* \* \*

جهة ثالثة : اسقاطه سورتي المعوذتين ( الفلق والناس ) ، اعتقاداً منه انها معوذة يتعوذ بهما للدفع العين او السحر ، كما وردان النبى ﷺ تعوذ بهما من سحر اليهود ، وقال : ماتعوذ متعوذ بافضل من « قل اعوذ برب الفلق . . . » و « قل اعوذ برب الناس . . . » (٤)

وقد صحح الاسناد الى ابن مسعود : انه كان يحك المعوذتين من المصاحف ، ويقول : لا تخطوا بالقرآن ما ليس منه ، انها ليستا من كتاب الله ، انما امر النبى ﷺ ان يتعوذ بهما .. وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما فى صلاته (٥) . هذا ... وقد انكر بعضهم صحة هذه النسبة الى ابن مسعود ، كالرازى وابن

١- الاتقان : السيوطى ج ١ ص ٨٠

٢- » » » ص ٦٥

٣- تأويل مشكل القرآن ص ٢٨ - ٢٩ ط ٢

٤- الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٦ - ٢١٧

٥- فتح البارى لابن حجر ج ٨ ص ٥٧١ . والدر المنثور ج ٦ ص ٢١٦

حزم - فيما نقل عنهما ابن حجر - ورد عليهما بصحة اسناد الرواية ، قال : والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل . بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل (١) .  
واخذ الباقلاني في بيان هذا التأويل ، قال : لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن ، وانما انكر اثباتهما في المصحف ، فانه كان يرى ان لا يكتب في المصحف شيئاً الا ان كان النبي ﷺ اذن في كتابته فيه . وكأنه لم يبلغه الاذن في ذلك ، فهذا تأويل منه وليس جحداً لكونهما قرآناً ...

قال ابن حجر : وهذا تأويل حسن ، الا ان الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك ، حيث جاء فيها : ويقول انهما ليستا من كتاب الله . نعم يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف ، فيتمشى التأويل المذكور (٢) .  
قلت هذا التأويل الاخير ايضاً لا يلتئم مع قوله . «لا تخطوا بالقرآن ما ليس منه» . (٣)

(ملحوظة) : قد يزعم البعض ان مناسب الى ابن مسعود يناقض القول بتواتر النص القرآني !

لكن غير خفي : ان ابن مسعود لم ينكر كونهما وحياً - بالمعنى العام - وانما انكر كونهما وحياً قرآنياً - بسمه كونهما من كتاب الله - فالاتفاق على ان المعوذتين وحى من الله حاصل من الجميع ، وانما الاختلاف جاء في توصيفهما الخاص : هل هما من كتاب الله (القرآن) ام لا ؟ . وهذا لا يضر بعد الاتفاق المذكور .

\* \* \*

جهة رابعة : قال صاحب الاقناع : كانت البسمة ثابتة لبراءة في مصحف ابن

١- فتح الباري ج ٨ ص ٥٧١

٢- نفس المصدر

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٤١٦ - ٤١٧

مسعود . قال : ولا يؤخذ بهذا (١) .

ويعنى بكلامه الاخير : ان ابن مسعود كانت له مخالقات شاذة ، نبذها الصحابة والتابعون ، ولعلها كانت اجتهادات شخصية خطأه الاخرون عليها . كمنهجه فى التطبيق ( ٢ ) . قال ابن حزم : والتطبيق فى الصلاة لايجوز ، لانه منسوخ . وكان ابن مسعود يفعله ، وكان يضرب الايدى على تركه . وكذلك كان اصحابه يفعلونه . وفى ذلك قال ابن مسعود - فيما روينا عنه - : علمنا رسول الله ﷺ الصلاة فكبر . فلما اراد ان يركع طبق يديه بين ركبتيه وركع . فبلغ ذلك سعد بن ابى وقاص ، فقال : صدق اخى ، قد كنا نفعل هذا ، ثم امرنا بهذا ، اى الامساك بالركب (٣) .

قال الامام الرازى - بشأن مخالقات ابن مسعود - : يجب علينا احسان الظن به ، وان نقول : انه رجع عن هذه المذاهب (٤) .

\* \* \*

جهة خامسة : اختلاف قراءته مع النص المشهور فى كثير من الاى . وهذا الاختلاف كان يرجع الى تبديل كلمة الى مرادفتها فى النص وكان ذلك غالباً لغرض الايضاح والافهام .

والمعروف من مذهب ابن مسعود : توسيعه فى قراءة الفاظ القرآن ، فكان يجوز ان تبديل كلمة الى اخرى مرادفتها ، اذا كانت الثانية اوضح ولا تغير شيئاً من المعنى الاصلى .

قال : لقد سمعت القراء ووجدت انهم متقاربون ، فاقرأوا كما علمتم - اى

---

١- الاتقان ج ١ ص ٦٥

٢- هو : تطبيق بطن الكفين احدهما على الاخرى وجعلهما بين الركبتين حالة الركوع

٣- المحلى ج ٣ ص ٢٧٢ المسألة رقم : ٣٧٥ . وراجع : لسان العرب ، مادة :

ط ب ق .

٤- التفسير الكبير ج ١ ص ٢١٣



كيفما علمكم القارىء الاستاذ - فهو كقولكم: هلم وتعال (١) .  
 وكان يعلم رجلا عجمياً القرآن، فقال : ان شجرة الزقوم طعام الاثيم . فكان  
 يقول الرجل : طعام اليتيم ، ولم يستطع ان يقول : الاثيم . فقال له ابن مسعود : قل :  
 طعام الفاجر . ثم قال ابن مسعود : انه ليس من الخطاء فى القرآن ان يقرأ مكان «العليم»  
 «الحكيم» . بل ان يضع آية الرحمة مكان آية العذاب (٢) .  
 ومن هذا القبيل ما رواه الطبرى : كان ابن مسعود يقول : الياس هو ادريس ،  
 قرأ : وان ادريس لمن المرسلين . وقرأ : سلام على ادراسين (٣) .  
 وذكر ابن قتيبة : ان ابن مسعود كان يقرأ : « وتكون الجبال كالصوف  
 المنفوش » (٤) بدل «العن المنفوش» لان العن هو الصوف ، وهذا اوضح وآنس  
 للافهام .

\* \* \*

هذا.. ومن ثم تعود بعض المفسرين القدامى ، اذا اشكل عليهم فهم كلمة غريبة  
 فى النص القرآنى ، ان يراجعوا قراءة ابن مسعود فى ذلك ، فلا بد انه ابدلها بكلمة  
 اخرى مرادفة لها اوضح واين للمقصود الاصلى :  
 قال مجاهد : كنا لاندري ما الزخرف ، حتى رأيناه فى قراءة ابن مسعود : او يكون  
 لك بيت من ذهب (٥) .

- 
- ١- معجم الادباء لياقوت الحموى ج ٤ ص ١٩٣ رقم : ٣٣ فى ترجمة احمد بن محمد  
 ابن يزداد بن رستم . ط دار المأمون . وفى طبعة مرجليوث : رقم ٢٤ ج ٢ ص ٦٠ وراجع - ايضاً :-  
 النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٢١ والاتقان ج ١ ص ٢٧
  - ٢- تفسير الامام الرازى ج ١ ص ٢١٣
  - ٣- جامع البيان ج ٢٣ ص ٩٦ . والاية فى سورة الصافات : ١٢٣ و ١٣٠
  - ٤- تأويل مشكل القرآن ص ٢٤ . والاية فى سورة القاعة : ٥
  - ٥- تفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٦٣ . والاية فى سورة الاسراء : ٩٣

وفسر الزمخشري اليدين في قوله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما»  
باليمينين ، لان ابن مسعود قرأ : فاقطعوا ايماهما (١) .

وذكر الغزالي من اداب البيع : اقامة لسان الميزان ، فان النقصان والرجحان  
يظهر بميله ، واستشهد بقراءة ابن مسعود : واقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان ،  
قال : لان القسط - في القراءة المشهورة - انما يقوم بلسان الميزان (٢) .

وفي بعض طبقات احياء العلوم صححوه وفق النص المشهور ، فقاتهم غرض  
استشهاد المؤلف .

وهكذا قرأ : انى نذرت للرحمان صمتا فلن اكلم اليوم انسيا (٣) بسـال  
«صوماً» لان الصوم المنذور كان صوم صمت .

وقرأ : يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا اهلونا نقتبس من نوركم (٤)  
بدل «انظرونا» لان المقصود هو الامهال .

وقرأ : ان كانت الازقية واحدة (٥) بدل «صبيحة واحدة» .

قال العلامة الطبرسي : هو من زقى الطير : اذا صاح . وكان ابن مسعود استعمل  
هنا صياح الديك تنبيهاً على ان البعث بما فيه من عظيم القدرة واستثارة الموتى من القبور ،  
سهل على الله تعالى كزقية زقاها طائر . فهو كقوله تعالى : وما خلقكم وما بعثكم الا كنفس  
واحدة (٦) .

\* \* \*

---

١- الكشاف ج ١ ص ٢٥٩ . والاية في سورة المائدة : ٣٨

٢- احياء العلوم ج ٢ ص ٧٧ . والاية في سورة الرحمان : ٩

٣- تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٢٠ . والاية في سورة مريم : ٢٦

٤- الاتقان ج ١ ص ٤٧ ، والاية في سورة الحديد : ١٣

٥- سورة يس : ٢٩ و ٥٣

٦- مجمع البيان ج ٨ ص ٢٢١ . والاية في سورة لقمان : ٢٨

(ملحوظة) : قدياً أخذ البعض من هذا الاختلاف في قراءة النص القرآني ذريعة للظن عليه ، كما جاء في كلام المستشرق الالمانى العلامة نولدكه ، في كتابه : مذاهب التفسير الاسلامى . الذى وضعه لهذا الغرض .

لكنها محاولة فاشلة بعد ان علمنا ان الاختلاف كان فى مجرد القراءة خارج النص الثابت فى المصحف . فالنص القرآنى شىء لم يختلف فيه اثنان ، وهو المثبت فى المصحف الشريف منذ العهد الاول الاسلامى حتى العصر الحاضر ، ومن ثم لم يمسه حتى لاصلاح اخطائه الاملائية . تحفظاً على نص الوحي يبقى بلا تحوير . نعم جاءت قضية مراعاة جانب التسهيل على الامة ، من بعض السلف ، لتجاوز القراءة بأى نحو كانت ، مادامت تؤدى نفس المعنى الاصلى من غير تحريف فيه . الامر الذى يكون خارج النص المثبت قطعياً .

ومن ثم اجاز ابن مسعود : ان ينطق ذلك الاعجمى بسدل طعام الاثيم بطعام الفاجر ( ١ ) . فاستبدل من النص الصعب التلفظ بالنسبة اليه ، لفظاً اسهل . . لكنه لم يثبت فى المصحف كنص قرآنى . ولم يكن ذلك منه تجويز التبدل فى نص الوحي . . حاشاه !

وهكذا كان تجويز عائشة لذلك العراقى : وما يضر ك أبه قرأت ( ٢ ) . توسعة فى مقام القراءة فقط ، لا توسعة فى ثبت النص القرآنى الذى هو وحي السماء ، فى المصحف ، ولا شك ان مصحفها كان ذا ثبت واحد قطعاً .

\* \* \*

جهة سادسة : ربما كان ابن مسعود يزيد فى لفظ النص زيادات تفسيرية كانت اشبه بتعليقات ايضا حية ادرجت ضمن النص الاصلى .

وهذا ايضاً كان مبنياً على مذهبه : التوسعة فى اللفظ ، لغرض الايضاح ، مع

١- تقدم فى صفحة : ٢٥٧

٢- راجع صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٨



التحفظ على نفس المعنى الاصيل .

وهكذا اعتبر ائمة الفن هذه الزيادات فى قراءة ابن مسعود تفسيرات ، ولم يعتبروها نصاً قرآنياً منسوباً الى ابن مسعود ، ليكون اختلاف بين السلف فى نص الوحي ..!

نعم كانت هذه التوسعة من ابن مسعود محاباة غير مستحسنة بالنص القرآنى ، ربما كانت تؤدى بالنص الاصيلى وتجعله عرضة للتحريف والتغيير ، الامر الذى كان ينافى تماماً مع تلك الحيطة والحذر على نص القرآن النازل من السماء . وقد تمسك بعض الاغبياء بذلك وجعله دليلاً على جواز ادخال ما ليس من القرآن فى القرآن اذا كان الغرض هو التفسير والايضاح (١) لكنه تفريع على اصل باطل .

\* \* \*

وعلى اى تقدير فقد نسب الى ابن مسعود زيادات جاءت فى قراءته ، نذكر منها ما يلى ، والزيادة هى التى بين معقوفتين :

قرأ : « كان الناس امة واحدة (فاختلفوا ) فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (٢) .

وهذه الزيادة ترفع ابهاماً كان فى وجه الاية : هل كانت بعثة الانبياء سبباً للاختلاف ، ام كان العكس ؟ وذيل الاية يعين هذا الاخير ، وجاءت الزيادة توضح هذا الجانب اكثر .

وقرأ : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم (وهو اب لهم) وازواجه امهاتهم(٣) » فجاءت الزيادة انسجماً مع ذيل الاية ، وتوضيحاً لسبب ولايته - صلى الله عليه وآله - على المؤمنين .

١- راجع : الزرقانى على الموطأ ج ١ ص ٢٥٥

٢- سورة البقرة : ٢١٣ . الكشاف ج ١ ص ٢٥٥

٣- سورة الاحزاب : ٦ . الكشاف ج ٢ ص ٥٢٣

وقرأ: «وجئتكم بآيات - والنص: بآية - من ربكم فاتقوا الله (لما جئتمكم من الآيات) واطيعوني (فيما ادعوكم اليه) (١)» .  
 وقرأ: «وامرأته قائمة (وهو قاعد) فضحكت (٢)» .  
 وقرأ: «ما يكون من نجوى ثلاثة الا الله - والنص: الالهو - رابعهم (ولا اربعة الا الله خامسهم) ولا خمسة الا الله - والنص: الالهو - سادسهم ولا اقل - والنص: ولا ادنى - من ذلك ولا اكثر الا الله - والنص: الالهو - معهم (اذ انتجوا) (٣)» .  
 وقرأ: «ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة (انثى) ولى نعجة (انثى) (٤)» .  
 وقرأ: «وانذر عشيرتك الاقربين (ورهبك منهم المخلصين) (٥)» .

\* \* \*

واخرج ابن مردويه عن ابن مسعود انه قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ «يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك (ان علياً مولى المؤمنين) وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» (٦) .  
 والظاهر: انه اراد تفسير الآية ، وانها كانت على عهده - صلى الله عليه وآله - هكذا تفسر .

وقرأ: «بل عجبت ويسخرون» - بضم التاء - (٧) والقراءة المشهورة هي بالفتح .

١- سورة آل عمران : ٥٠ . الكشاف ج ١ ص ٣٦٥

٢- سورة هود : ٧١ . الكشاف ج ٢ ص ٤١٠

٣- سورة المجادلة : ٧ . الكشاف ج ٤ ص ٤٩٠

٤- سورة ص : ٢٣ . الكشاف ج ٤ ص ٨٥ وتاويل مشكل القرآن ص ٢٩ و ص ٧٣

٥- سورة الشعراء : ٢٤٠ . مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٦ والبحار ج ١٨ ص ١٦٤

٦- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨

٧- سورة الصافات : ١٣ . الكشاف ج ٤ ص ٣٨ والطبرى ج ٢٣ ص ٢٩

وانكر ذلك شريح وقال : ان الله لا يعجب انما يعجب من لاعلم له . قال الاعمش  
 فذكرت ذلك لابراهيم النخعي . فقال : ان شريحا كان معجبا برأيه ، ان عبد الله قرأ  
 «بل عجبت» بالضم ، وعبد الله اعلم من شريح . واطافة العجب الى الله ورد الخبر به  
 كقوله : عجب ربكم من شاب ليس له صبوة . وعجب ربكم من الكم وقنوطكم .  
 ويكون ذلك على وجهين : عجب مما يرضى ، ومعناه : الاستحسان والخير عن تمام  
 الرضا . وعجب مما يكره ، ومعناه : الانكار له والذم» (١) . والال - بكسر الهمزة  
 وتشديد اللام : شدة اليأس اورفع الصوت بالبكاء على اثره . وصححنا الحديث على  
 نهاية ابن الاثير .

وقال الزمخشري : فان قلت : كيف يجوز العجب على الله وانما هو روعة  
 تعترى الانسان عند استعظام الشيء ، والله تعالى لا يجوز عليه الروعة ؟ قلت : فيه  
 وجهان ، احدهما : ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام . والثاني : ان يتخيل العجب  
 ويفرض . وقد جاء في الحديث : عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته  
 اياكم» (٢) .

وقداوردنا هذا البحث هنا كنموذج هو دليل على مبلغ اهتمام المفسرين واعتناء  
 الائمة بقراءات ابن مسعود الرجل العظيم .

\* \* \*

ومن غريب قرائته النقص ايضاً . قرأ : «والذكر والانثى» (٣) بدل «وماخلق  
 الذكر والانثى» .

روى البخارى في صحيحه : قال : قدم اصحاب عبد الله الى الشام ، وفيهم  
 علقمة . فجاءهم ابو الدرداء وقال : ايكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا : كلنا . قال :

١- مجمع البيان ج ٨ ص ٤٢٠

٢- الكشاف ج ٤ ص ٣٧

٣- سورة الليل : ٣



فايكم يحفظ؟ فاشاروا الى علقمة . قال : كيف سمعته يقرأ «والليل اذا يغشى ..»؟  
قال علقمة : « والذكر والانثى » . قال ابوالدرداء : اشهدأنى سمعت رسول الله  
ﷺ يقرأ هكذا ، وهؤلاء يريدونى على ان أقرأ « وماخلق الذكر والانثى » والله  
لا اتابعهم (١) .

واسند الزمخشري هذه القراءة الى النبي ﷺ (٢) .

وفى رواية الاعمش عن ابن مسعود : انه قرأ : «حم سق» بلاعين . وهكذا

قرأ ابن عباس ايضاً (٣) .

---

١- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢١١ وج ٥ ص ٣٥

٢- الكشاف ج ٢ ص ٢٦١

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٢١

## وصف مصحف أبي بن كعب:

كان ترتيب مصحف أبي قريباً من مصحف ابن مسعود ، غير انه قدم سورة الانفال ، وجعلها بعد سورة يونس وقبل سورة براءة . وقدم سورة مريم والشعراء والحج على سورة يوسف . وهكذا مما سيتبين في الجدول الاتي .  
وقد اشتمل مصحفه على مائة وخمس عشرة سورة . جعل سورتي الفيل وقريش سورة واحدة . وزاد سورتي الخلع والحفد ، وسندكرهما .

وكان مصحفه مفتتحاً بسورة الحمد ، ومختتماً بالمعوذتين ، كمصحفنا اليوم . (١)  
(جهة اخرى) : اشتمال مصحفه على دعائي القنوت ، باعتبارهما سورتين فيما زعم . اما الخلع فهي : « بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم اننا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير . ولا نكفرك . ونخلع ونترك من يفجرك » . واما الحفد فهي : « بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد . و اليك نسعى ونحفد . نخشى عذابك ونرجو رحمتك . ان عذابك بالكفار ملحق » (٢) .

(جهة ثالثة) : كان قد ترك البسمة بين سورتي الفيل وقريش ، باعتبارهما

---

١- الاتقان ج ١ ص ٦٤ و ٦٥

٢- نفس المصدر ص ٦٥

سورة واحدة (١) وقد ورد في احاديث اهل البيت - عليهم السلام - ايضا : انها سورة واحدة ، ولكن مع فصل البسمة بينهما . فاذا قرأ المصلى : «الم تركيب فعل ربك» يجب ان يقرأ معها : «لا يلاف قريش» . فهما سورة واحدة قراءة ولكنهما سورتان ثبتاً ، على عكس ما في مصحف ابي .

روى العياشي عن ابي العباس عن احدهما (الامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام) قال :  
الم تركيب فعل ربك ، ولا يلاف قريش ، سورة واحدة .

وهكذا روينا بشأن سورتي الضحى والانشراح : انها سورة واحدة (٢) .

وقد افتى بذلك علماءنا الاعلام . قال المحقق الحلي - قدس سره - : روى اصحابنا ان الضحى وألم نشرح سورة واحدة . وكذا الفيل ولا يلاف . ولا يجوز افراد احدهما عن صاحبتهما في كل ركعة» (٣) .

وفي مجمع البيان : روى ان ابي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه (٤) .  
(جهة رابعة) : كان افتتح سورة الزمر في مصحفه بـ «حم» . فيكون عدد الحواميم عنده ثمانية . اخرجه ابن اشته في كتاب المصاحف ، قال : ثم الزمر اولها حم (٥) .  
(جهة خامسة) : اختلاف قرائته مع النص المشهور على نحو اختلاف قراءة ابن مسعود ، واليك نماذج من قراءاته الشاذة :

قرأ : «قالوا من هبنا من مرقدنا» بدل «من بعثنا» (٦) .

---

١- نفس المصدر .

٢- راجع : وسائل الشيعة : ج ٤ ص ٧٤٣

٣- راجع جواهر الكلام بشرح شرايع الاسلام ج ١٠ ص ٢٠

٤- مجمع البيان : الطبرسي ج ١٠ ص ٥٢٤

٥- الاتقان ج ١ ص ٦٢

٦- سورة يس : ٥٢ . مجمع البيان ج ٨ ص ٢٢٨



وقرأ : « كلما اضاء لهم مروا فيه » . وقرأ - ايضاً - : « سعوا فيه » بدل « مشوا فيه » (١) .

وقرأ : « فصيام ثلاثة ايام ( متابعات ) في الحج » (٢) . نظراً لانه يجب التتابع فيها ، فوضحها بهذه الزيادة !

وقرأ : « فما استمتعتم به منهن ( الى اجل مسمى ) فاتوهن اجورهن فريضة » (٣) للتخصيص على انها متعة النكاح .

وقرأ : « ان الساعة آتية اكاد اخفيها ( من نفسي فكيف اظهركم عليها ) » (٤) . شرح وتفسير للآية .

وقرأ : « اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ( ولو حميتهم كما حموا لفسد المسجد الحرام ) فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » (٥) .

\* \* \*

وفيما يلي جدول يقارن بين مصاحف السلف وترتيب مصحفنا اليوم . اخذناه من نص ابن اشته (٦) واكملنا سقطاته على نص ابن النديم . وارمنا له بعلامة (ن) واعتمد هذا الاخير على رواية الفضل بن شاذان ، اعتماداً يرجحه على ما شاهده بنفسه . قال : رأيت عدة مصاحف ذكر نساخها انها مصحف عبدالله بن مسعود ، ليس فيها

١- سورة البقرة : ٢٠ . الاتقان ج ١ ص ٤٧

٢- سورة البقرة : ١٩٦ . الكشاف ج ١ ص ٢٤٢

٣- سورة النساء : ٢٤ . جامع البيان للطبري ج ٥ ص ٩

٤- سورة طه : ١٥ . تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥ ط ٢

٥- سورة الفتح : ٢٦ . عبقات الانوار - طبعة الهند - مجلد حديث مدينة العلم

ص ٥١٨ .

٦- الاتقان ج ١ ص ٦٤

مصحفان متفقان . واكثرها في رق كثير النسخ . وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ نحو  
مأتي سنة فيه فاتحة الكتاب . والفضل بن شاذان احد الائمة في القرآن والروايات،  
فلذلك ذكرنا مقاله دون ماشهدناه (١) .

## جدول يقارن بين ثلاثة مصاحف :

مصحف عبدالله بن مسعود ومصحف ابي بن كعب وترتيب مصحفنا اليوم

المصحف الحاضر	مصحف ابي بن كعب	مصحف عبدالله بن مسعود	رقم السورة
الفاتحة	الفاتحة	...	١
البقرة	البقرة	البقرة	٢
آل عمران	النساء	النساء	٣
النساء	آل عمران	آل عمران	٤
المائدة	الانعام	الاعراف	٥
الانعام	الاعراف	الانعام	٦
الاعراف	المائدة	المائدة	٧
الانفال	يونس	يونس	٨
التوبة	الانفال	براءة	٩
يونس	براءة	النحل	١٠
هود	هود	هود	١١
يوسف	مريم	يوسف	١٢



المصحف الحاضر	مصحف ابي بن كعب	مصحف عبدالله بن مسعود	رقم السورة
الرعد	الشعراء	الكهف	١٣
ابراهيم	الحج	الاسراء	١٤
الحجر	يوسف	الانبياء	١٥
النحل	الكهف	طه	١٦
الاسراء	النحل	المؤمنون	١٧
الكهف	الاحزاب	الشعراء	١٨
مريم	الاسراء	الصافات	١٩
طه	الزمر (اولها حم)	الاحزاب	٢٠
الانبياء	طه	الحج	٢١
الحج	الانبياء	القصص	٢٢
المؤمنون	النور	النمل	٢٣
النور	المؤمنون	النور	٢٤
الفرقان	سباء	الانفال	٢٥
الشعراء	العنكبوت	مريم	٢٦
النمل	المؤمن (غافر)	العنكبوت	٢٧
القصص	الرعد	الروم	٢٨
العنكبوت	القصص	يس	٢٩
الروم	النمل	الفرقان	٣٠
لقمان	الصافات	الحجر	٣١
السجدة	ص	الرعد	٣٢
الاحزاب	يس	سباء	٣٣

المصحف الحاضر	مصحف ابي بن كعب	مصحف عبد الله بن مسعود	رقم السورة
سبا	الحجر	فاطر	٣٤
فاطر	الشورى	ابراهيم	٣٥
يس	الروم	ص	٣٦
الصفات	الزخرف (ن)	محمد ﷺ	٣٧
ص	فصلت (ن)	لقمان	٣٨
الزمر	ابراهيم (ن)	الزمر	٣٩
غافر	فاطر (ن)	المؤمن	٤٠
فصلت	الحديد (١)	الزخرف	٤١
الشورى	الفتح	فصلت	٤٢
الزخرف	محمد ﷺ	الشورى	٤٣
الدخان	المجادلة	الاحقاف	٤٤
الجاثية	الملك	الجاثية	٤٥
الاحقاف	الفرقان (ن)	الدخان	٤٦
محمد ﷺ	السجدة	الفتح	٤٧
الفتح	نوح	الحديد (ن)	٤٨
الحجرات	الاحقاف	الحشر	٤٩
ق	ق	السجدة	٥٠
الذاريات	الرحمن	ق (ن)	٥١
الطور	الواقعة	الطلاق	٥٢
النجم	الجن	القلم (٢)	٥٣

١- جعلها ابن النديم بعد سورة محمد -ص-

٢- جعلها ابن النديم بعد سورة الواقعة

المصحف الحاضر	مصحف ابي بن كعب	مصحف عبدالله بن مسعود	رقم السورة
القمر	النجم	الحجرات	٥٤
الرحمن	المعارج	الملك	٥٥
الواقعة	المزمل	التغابن	٥٦
الحديد	المدثر	المنافقون	٥٧
المجادلة	القمر	الجمعة	٥٨
الحشر	الدخان	الصف	٥٩
المتحنة	لقمان	الجن	٦٠
الصف	الجاثية	نوح	٦١
الجمعة	الطور	المجادلة	٦٢
المنافقون	الذاريات	المتحنة	٦٣
التغابن	القلم	التحریم	٦٤
الطلاق	الحاقة	الرحمن	٦٥
التحریم	الحشر	النجم	٦٦
الملك	المتحنة	الطور (١)	٦٧
القلم	المرسلات	الذاريات	٦٨
الحاقة	النبأ	القمر	٦٩
المعارج	الدهر (ن)	الحاقة (ن)	٧٠
نوح	القيامة	الواقعة	٧١
الجن	التكوير	النازعات	٧٢
المزمل	الطلاق	المعارج	٧٣

١ - جعلها ابن التديم بعد سورة الذاريات



رقم السورة	مصحف عبدالله بن مسعود	مصحف ابي بن كعب	المصحف الحاضر
٧٤	المدثر	النازعات	المدثر
٧٥	المزمل	التغابن	القيامة
٧٦	المطففين	عبس (١)	الانسان
٧٧	عبس	المطففين	المرسلات
٧٨	الدهر	الانشقاق	النبأ
٧٩	المرسلات (٢)	التين	النازعات
٨٠	القيامة	العلق	عبس
٨١	النباء	الحجرات	التكوير
٨٢	التكوير	المنافقون	الانفطار
٨٣	الانفطار	الجمعة	المطففين
٨٤	الغاشية	التحریم	الانشقاق
٨٥	الاعلى	الفجر	البروج
٨٦	الليل	البلد	الطارق
٨٧	الفجر	الليل	الاعلى
٨٨	البروج	الانفطار	الغاشية
٨٩	الانشقاق	الشمس	الفجر
٩٠	العلق	البروج (ن)	البلد
٩١	البلد	الطارق	الشمس
٩٢	الضحى	الاعلى	الليل

١- جعلها ابن النديم بعد سورة الغاشية

٢- جعلها ابن النديم بعد سورة القيامة

المصحف الحاضر	مصحف ابي بن كعب	مصحف عبدالله بن مسعود	رقم السورة
الضحى	الغاشية	الطارق	٩٣
الشرح	الصف (١)	العاديات	٩٤
التين	البينة	الماعون	٩٥
العلق	الضحى	القارعة	٩٦
القدر	الانشراح	البينة	٩٧
البينة	القارعة	الشمس	٩٨
الزلزلة	التكاثر	التين	٩٩
العاديات	العصر	الهمزة	١٠٠
القارعة	الخلع	الفيل	١٠١
التكاثر	الحقذ	قريش	١٠٢
العصر	الهمزة	التكاثر	١٠٣
الهمزة	الزلزلة	القدر	١٠٤
الفيل	العاديات	الزلزلة	١٠٥
قريش	الفيل	العصر	١٠٦
الماعون	قريش (٢)	النصر	١٠٧
الكوثر	الماعون	الكوثر	١٠٨
الكافرون	الكوثر	الكافرون	١٠٩
النصر	القدر	المسد	١١٠
المسد	الكافرون	التوحيد	١١١

١- جعلها ابن التديم بعد سورة البينة

٢- جعلها ابن التديم بعد سورة الضحى

المصحف الحاضر	مصحف ابي بن كعب	مصحف عبد الله بن مسعود	رقم السورة
الاخلاص	النصر	الانشراح (١)	١١٢
الفلق	المسد		١١٣
الناس	التوحيد		١١٤
	الفلق		١١٥
	الناس (٢)		١١٦

١- جعلها ابن النديم بعد سورة المسد

٢- تلك مائة وست عشرة سورة . لكن بما ان سورتي الفيل وقريش في مصحف ابي

واحدة ، فمجموع سورته ١١٥ سورة .



## ٢- توحيد المصاحف

- \* اختلاف المصاحف
- \* نماذج من اختلاف العامة
- \* عثمان يأتمر صحابة الرسول
- \* عقد لجنة توحيد المصاحف
- \* شخصية الاعضاء اجمالاً
- \* موقف الصحابة تجاه المشروع
- \* عام تأسيس اللجنة
- \* منجزات المشروع المصاحفي
- \* عدد المصاحف العثمانية
- \* تعريف عام بهذه المصاحف
- \* النقط والتشكيل
- \* اخطاء املائية
- \* تحسينات متأخرة
- \* فذلكة البحث

سبق ان الفترة بعد وفاة النبي ﷺ كانت فترة جمع القرآن ، فقد اهتم كبار الصحابة بتأليف سور القرآن وجمع آياته ، حسب ما اوتوا من علم وكفاءة ، كل في مصحف يخصصه . وآخرون اعوزتهم الكفاءة فلجأوا الى غيرهم ليستنسخوا لهم مصاحف او يجمعوا لهم آيات وسوراً في صحف . وهكذا اخذت نسخ المصاحف تتزايد ، اطراداً مع اتساع رقعة الاسلام . كان المسلمون وهم في كثرة مطردة ، ومنتشرون في اطراف البلاد المترامية ، قد احسوا بحاجتهم القريبة الى نسخ من كتاب الله ، حيث كان الدستور السماوي الوحيد الذي كان المسلمون ينظمون عليه معالم حياتهم العامة في جميع جوانبها ، فهو مصدرهم في الاحكام والتشريعات والتنظيمات . وقد احرز بعض هذه المصاحف في العالم الاسلامي آنذاك مقاماً رفيعاً حسب انتسابه الى جامعته : كمصحف عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل . كان مرجع اهل الكوفة وهوبلد العلم ومعهد الدراسات الاسلامية العليا . ومصحف ابي بن كعب في الاقطار الشامية . ومصحف ابي موسى الاشعري في البصرة . ومصحف المقداد بن الاسود في دمشق ... وهكذا .

## اختلاف المصاحف :

ولما كان جامعوا المصاحف متعددين ومتباعدين ، ومختلفين بحسب الكفاءة والمقدرة والاستعداد ، وكانت كل نسخة منها تشتمل على ما جمعه صاحبها ، وما جمعه واحد لا يتفق تماماً مع ما جمعه آخرون . . كانت طبيعة الحال تقضى باختلاف في تأليف تلکم المصاحف ، اسلوباً وترتيباً وقراءة وغيرها . وقد تقدم حديث مسابین مصاحف السلف من اختلاف .

وهذا الاختلاف في المصاحف وفي القراءات ، كان بلا شك يستدعي اختلافاً بين الناس ، عندما تجمعهم ندوة او مناسبة ، على مختلف نزعاتهم واتجاهاتهم يومذاك . فربما كان المسلمون يجتمعون في غزوة او احتفال ، وهم من اقطار متباعدة ، فيقع بينهم نزاع وجدل ، وانكار احدهم على الاخر ، فيما يتعصبون له من مذهب او عقيدة اورأى .

## نماذج من اختلاف العامة :

وفيما يلي عرض موجز عن نماذج من اختلاف العامة على المصاحف فيما تعصبوا له من قراءات اصحابها :

١- في غزو مرج ارمينية : بعد ما قفل حذيفة راجعاً من غزو الباب ( مرج ارمينية - آذربيجان ) قال لسعيد بن العاص ، وكان بصحبته : لقد رأيت في سفري هذا أمراً ، لئن ترك ليختلفن في القرآن ، ثم لا يقومون عليه ابدأ ! قال سعيد : وما ذاك ؟ قال : رأيت اناساً من اهل حمص يزعمون ان قراءتهم خیر من قراءة غيرهم ، وانهم اخذوا القرآن عن المقداد ، ورأيت اهل دمشق يقولون : ان قراءتهم خیر من قراءة غيرهم ، ورأيت اهل الكوفة يقولون مثل ذلك ، وانهم قرأوا على ابن مسعود . واهل البصرة يقولون مثل ذلك ، وانهم قرأوا على ابی موسى الأشعري ، ويسمون مصحفه «لباب القلوب» .



فلما وصل ركب حذيفة وسعيد الى الكوفة ، اخبر حذيفة الناس بذلك ، وحذرهم ما يخاف . فوافقهم اصحاب رسول الله ﷺ وكثير من التابعين .

وقال له اصحاب ابن مسعود : ماتنكر ، ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود !؟  
فغضب حذيفة ومن وافقه ، وقالوا : انما انتم اعراب فاسكتوا ، فانكم على خطأ . وقال حذيفة : والله لئن عشت لاتين امير المؤمنين - يعنى عثمان - ولاشيرن عليه ان يحول بين الناس وبين ذلك .

فاغلظ له ابن مسعود ، فغضب سعيد وقام ، وتفرق الناس . وغضب حذيفة وسار الى عثمان ... (١) .

٢- في مسجد الكوفة : عن يزيد النخعي ، قال : انى لفى المسجد - مسجد الكوفة - زمن الوليد بن عقبة - وكان والياً على الكوفة من قبل عثمان - فى حلقة فيها حذيفة بن اليمان . وليس اذالك حجة ولا جلاوزة - اى لم يكن للمسجد آنذاك سدنة وحفظة - اذ هتف هاتف : من كان يقرأ على قراءة ابي موسى ، فليات الزاوية التى عند باب كندة . ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود ، فليات الزاوية التى عند دار عبد الله . واختلفا فى آية من سورة البقرة ، قرأ هذا : «وأتموا الحج والعمرة للبيت» .  
وقرأ هذا : «وأتموا الحج والعمرة لله» !

فغضب حذيفة واحمرت عيناه ، ثم قام ففرز قميصه فى حجزته وهو فى المسجد ، فقال اما ان يركب الى امير المؤمنين واما ان اركب . فهكذا كان من قبلكم ...  
وفى رواية ابي الشعثاء : «فقال حذيفة : قراءة ابن ام عبد ! وقراءة ابي موسى الاشعري ! والله ان بقيت حتى اتى امير المؤمنين ، لامرته بجعلها قراءة واحدة ..  
فغضب عبد الله ، فقال كلمة شديدة فسكت حذيفة ..

وفى رواية ثالثة : قال حذيفة : يقول اهل الكوفة : قراءة عبد الله ! ويقول اهل البصرة : قراءة ابي موسى ! والله لئن قدمت على امير المؤمنين لامرته بفرق هذه

المصاحف ! فقال له عبدالله : اما والله لئن فعلت ليغرقنك الله في غير ماء - يعنى سقر (١) .  
وروى ابن حجر : ان ابن مسعود قال لحذيفة : بلغنى عنك كذا ، قال : نعم ، كرهت  
ان يقال قراءة فلان وقراءة فلان ، فيختلفون كما يختلف اهل الكتاب (٢) .

٣- فى نفس المدينة : اخرج ابن اشته عن انس بن مالك ، قال : اختلفوا فى  
القرآن على عهد عثمان ، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل - احد اصحاب المصاحف -  
والمعلم يعلم قراءة الرجل - آخر من اصحاب المصاحف - فكان الغلمان يلتقون  
فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين ، فجعل يكفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ  
ذلك عثمان بن عفان ، فقال : عندى تكذبون به وتلحنون فيه ، فمن نأى عنى كان  
اشد تكذيباً ولحناً ... (٣) .

وعن محمد بن سيرين ، قال : كان الرجل يقرأ حتى يقول الرجل لصاحبه :  
كفرت بما تقول ! . فرفع ذلك الى عثمان فتعاطم فى نفسه ، فجمع اثنى عشر رجلاً  
من قريش والانصار ... (٤) .

وعن بكير الاشج قال : ان انساناً بالعراق كان يسأل احدهم عن الاية ، فاذا  
قرأها ، قال - اى السائل - : الا انى اكفر بهذه القراءة . ففشا ذلك فى الناس ، فتكلم  
بعضهم مع عثمان فى ذلك (٥) .

وهكذا وقعت حوادث حول اختلاف قراءة القرآن كانت تنذر بسوء ووقوع  
فتن ربما لا تحمد عقباها ، لولا تداركها من قبل رجال نابيين امثال حذيفة بن اليمان  
واضرابه ، رضوان الله عليهم .

١- المصاحف لابن ابي داود السجستاني ص ١١ - ١٤

٢- فتح البارى بشرح البخارى ج ٩ ص ١٥

٣- الاتقان ج ١ ص ٥٩ والمصاحف ص ٢١

٤- طبقات ابن سعد ج ٣ ق ٢ ص ٦٢ والمصاحف ص ٢٥

٥- فتح البارى ج ٩ ص ١٦

## قدوم حذيفة المدينة :

عند مراجع حذيفة من غزو أرمينية ، ناقماً اختلاف الناس في القرآن ، استشار من كان بالكوفة من صحابة الرسول ﷺ بشأن معالجة القضية قبل تفاقم الامر . فكان رأيه حمل عثمان على ان يقوم بتوحيد نسخ المصحف ، والغاء الناس على قراءة واحدة ، فاتفقت كلمة الصحابة على صواب هذا الرأي ( ١ ) ، سوى عبدالله بن مسعود . ومن ثم ازمع في الامر وسار الى المدينة يستحث عثمان على ادراك امة محمد ﷺ قبل تفرقها ، قال : يا امير المؤمنين ، انا النذير العريان أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ! قال عثمان : وماذا ؟ قال : غزوت مرج ارمينية فاذا اهل الشام يقرأون بقراءة ابي بن كعب ، ويأتون بمالم يسمع اهل العراق . واذا اهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود . ويأتون بمالم يسمع اهل الشام ، فيكفر بعضهم بعضاً ! ( ٢ ) .

## عثمان ياتمر الصحابة :

تلك حوادث واضرابها كانت وخيمة المآل ، دعت بعثمان ان يهتم بالامر ويقوم بساعد الجد ، لولا ان تهيئته القضية وهي فاجئة مباغتة ، لم يسبقه اليها غيره ممن تقدمه . مضافاً الى ما كان يراه من صعوبة العمل في مرحلة تنفيذه ، حيث انتشار نسخ المصحف في البلاد ، ومن ورائها رجال من كبار الصحابة لا يستهان بشأنهم في المجتمع الاسلامي آنذاك ، فربما يقومون بحمايتها والدفاع عنها فيشكلون عرقلة عويصة تسد وجه الطريق !  
ومن ثم جمع اصحاب الرسول ﷺ من كان حاضراً بالمدينة ، واستشارهم

١- الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥٥

٢- صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٢٥ . والمصاحف ص ١٩ - ٢٠ . والكامل ج ٣ ص ٥٥



فى الامر . فلم يكن منهم سوى اتفاقهم على ضرورة القيام بهما كلف الامر . قال ابن الاثير : فجمع عثمان الصحابة واخبرهم الخبر ، فاعظموه ورأوا جميعاً مارأى حذيفة (١) .

## لجنة توحيد المصاحف :

واخيراً ازمع عثمان على تنفيذ الفكرة ، فوجه - اولاً - نداءة الى عامة الصحابة : يا اصحاب محمد ﷺ اجتمعوا فاكتبوا للناس اماماً (٢) . ثم ندب نفرأ يخصونه ، وهم اربعة : زيد بن ثابت ، وهو انصارى . وسعيد بن العاص . وعبدالله بن الزبير . وعبدالرحمان بن الحارث بن هشام ، وهم قرشيون . . وهؤلاء الاربعة اعضاء اولية ، انعقدت بهم لجنة توحيد المصاحف (٣) . وكانت لزيد سمة رئاسة على الاخرين . كما يظهر من تدمير ابن مسعود واستنكاره استثمار زيد لهذا المنصب . قال : يا معشر المسلمين ، أأعزل عن نسخ المصاحف ويتولاها رجل - والله لقد اسلمت وانه لفى صلب رجل كافر - يريد زيد بن ثابت (٤) .

وكان عثمان هو يتعاهدهم بنفسه (٥) .

لكن هؤلاء الاربعة لم يستطيعوا القيام بصميم الامر ، وكانت تعوزهم الكفاءة لهكذا عمل خطير . ومن ثم استعانوا بابى بن كعب . ومالك بن ابى عامر . وكثير ابن افلج . وانس بن مالك . وعبدالله بن عباس . ومصعب بن سعد (٦) وعبدالله

١- الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٥٥

٢- الاتقان ج ١ ص ٥٩ عن مصاحف ابن اشته . وراجع : مصاحف ابن ابى داود ص ٢١

٣- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٦

٤- فتح البارى ج ٩ ص ١٧ . والمصاحف ص ١٥

٥- المصاحف ص ٢٥

٦- ارشاد السارى بشرح البخارى للقسطلانى ج ٧ ص ٢٢٩

ابن فضيمة (١) الى تمام الاثنى عشر - على ماجاء في رواية ابن سيرين وابن سعد وغيرهما (٢) .

وفي هذا الدور كانت الرئاسة مع ابي بن كعب ، فكان هو يملى عليهم ويكتب الآخرون . قال ابو العالية : انهم جمعوا القرآن من مصحف ابي بن كعب . فكان رجال يكتبون يملى عليهم ابي بن كعب (٣) .

قال ابن حجر : وكان ابتداء الامر كان لزيد وسعيد ، حيث سأل عثمان : من اكتب الناس ؟ قالوا : زيد . ثم قال : فأي الناس افصح ؟ قالوا : سعيد . فقال : فليمل سعيد وليكتب زيد (٤) .

قال : ثم احتاجوا الى من يساعدهم في الكتابة بحسب الحاجة الى عدد المصاحف التي ترسل الى الافاق . فاضافوا الى زيد من ذكر ، ثم استظهروا بابي بن كعب في الاملاء (٥) .

## شخصية الاعضاء الاولية :

كان زيد خزرجياً - من الانصار - وكان الثلاثة الباقون قرشيين ، كان سعيد امويًا ، وعبدالله اسديًا ، وعبدالرحمان مخزوميًا .

كان زيد عند مقدم رسول الله ﷺ المدينة ابن احد عشر سنة وكان على وفرة من الذكاء ، درس الخط في مدارس «ماسلة» اليهودية . وتعلم العبرية فيها ، ومن ثم

١- المصاحف ص ٣٣

٢- المصدر ص ٢٥ وراجع : الطبقات ج ٣ ق ٢ ص ٤٢

٣- المصدر ص ٣٠

٤- فتح الباري ج ٩ ص ١٤ . جاء ذلك في رواية مصعب بن سعد . لكن في صحة ما تضمنته الرواية من فحوى . كلام ونقاش !

٥- نفس المصدر . وراجع : الطبقات ج ٣ ق ٢ ص ٤٢ و تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨٧

استخدمه رسول الله ﷺ لكتابة الرسائل العبرية وقرائتها .

حضر يوم السقيفة ووقف في وجه الانصار - ا - ودافع عن المهاجرين ، فجزاه ابوبكر خيراً ، ولم ينس له هذا الموقف . ومن ثم قال له يوم جمع القرآن : انك شاب عاقل لانتهمك . وقال له يوماً : وانت عندنا كلنا امين .

كان عمر يقدمه في القضاء والافتاء - وهو في العقد الثالث من عمره - وكان يستخلفه على المدينة كلما سافر . وقلما رجع الاواقعه حديقه من نخل وهو اول من اجرى له عمر الرزق لمنصب القضاء . وبلغ به الشأن ان كتب اليه عمر من الشام : الى زيدبن ثابت من عمر ...

وولاه عثمان بيت المال وكان يحبه حباً شديداً . ووصفه المؤرخون بانه كان عثمانياً . ووقف يوم الدار موقف المدافع معتذراً فيما بعد : انهم اقطعوني كذا وكذا . ولم يحضر شيئاً من مواقف امير المؤمنين على عليه السلام .

مات ايام معاوية . وصلى عليه مروان ، وخلف من الذهب والفضة ما كان يضرب بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة الف دينار (١) .

\* \* \*

ولد سعيدعام الهجرة . وقتل ابوه مشركاً يوم بدر . قتله علي بن ابيطالب عليه السلام فنشأ يتيماً كفله عثمان في حجره ، اذ كان بقية آل العاصي بن امية .

صحب معاوية الى الشام وبقى بها حتى استقدمه عمر وزوجه بنت سفيان بن عوف ، واكرم من شأنه حتى اصبح من رجال الناس .

كانت له نزعة اموية شديدة . وولاه عثمان الكوفة سنة ثلاثين ، فاترف وطاش

---

١- راجع : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٢ . والطبقات ج ٢ ص ٣٥٨ و ص ٣٥٩ . وتهذيب ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ و ج ٦ ص ١٣٢ . و- سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٠٦ و ص ٣١٠ و ص ٣١١ . وصحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٥ و ص ٢٢٤ . والاصابة ج ١ ص ٥٢٤ . والاستيعاب بهامش الاصابة ج ١ ص ٥٣٤ . وفتح البارى ج ٩ ص ١٦ . وتاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١٤٥



واستبد بالاموال حتى اضطربت احوال البلاد .

وقال في سمرة حضرها اشرف الكوفة - وفيهم مالك بن الحارث النخعي صاحب امير المؤمنين عليه السلام : انما هذا السواد بستان لاغيلمة قريش . فاغلظ له مالك الاشر و ضرب رئيس شرطته الذي قام يدافع عن اميره . واخيراً طردوه من الكوفة وانصاع عثمان لذلك .

ولم يزل من بطانة عثمان مدة حياته ودافع عنه يوم الدار ف ضرب على ام رأسه فكان كلما سمع صوت الرعد غشى عليه .

انعزل عن على عليه السلام ولما استتب الامر لمعاوية لحق به واعتذر اليه في كلام بليغ . فجعله معاوية من قريش المقام الافضل . وكان يقول : لكل قوم كريم وكريمنا سعيد . وكان يستعمله على المدينة يتناوب بينه وبين مروان . كان يقول : سعيد يميني ومروان شمالي . لكنه لم يبلغ شقاء مروان .

مات سنة ثلاث وخمسين في قصره بالعقيق (١) .

\* \* \*

ولد عبدالله بن الزبير مفتتح السنة الثانية للهجرة ، وهو اول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة وتشاءت به امه اسماء من قوله صلى الله عليه وسلم لمار آه فقال : أهو هو ؟ فتركت رضاعه ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فامرها بارضاعه . وقد افصح صلى الله عليه وسلم عن قوله بعد ذلك : يلحدفى مكة كبش عليه نصف اوزار هذه الامة (٢) .

١- راجع : تهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ١٣٢-١٣٨-١٤٣ . وتاريخ الطبرى ج ٣

ص ٣٣١ و ٣٤١ و ٣٤٧ . والكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٧٠ . ومروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٦ .

والاصابة ج ٢ ص ٤٦ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ١٠

٢- مسند احمد ج ١ ص ٦٧ . تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢١٠ . تاريخ الخميس ج ٢

ص ٢٤٣ . تاريخ الخطيب ج ١٤ ص ٢٧٢ . شرح النهج الحديدي ج ٢٠ ص ١٠٨

كانت له انفة وصلافة ، مضيفاً اليهما بشاعة منظره الكريه : كان اطلس - لالحية له ولا شعر في وجهه - . وقد وصفه المؤرخون بمساوىء اخلاق ذميمة : الحسد والبخل الشديد وسوء الخلق وكثرة الخلاف .

هذا .. وقد كانت عائشة (خالته) تحبه حباً جماً ، فكان هو السبب في اغوائها ضد الامام امير المؤمنين عليه السلام فعاتبت اخاها عبدالله يوماً : لماذا لم يمنعها من الخروج ؟ فقال : رأيت رجلاً قد غلب عليك ، ورأيتك لاتخالفينه . فقالت : اما انك لو نهيتهنى ماخرجت ! (١)

وكان يحمل عداً مفراطاً لالبيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاسقط ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خطبة الجمعة ، فاستعظم الناس ذلك وتكلموا فيه ، فاعتذر : انى رأيت بنى هاشم كلما جاء ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشربوا واحمرت الوانهم وطالت رقابهم . والله ما كنت لانى لهم سروراً وانا اقدر عليه . ووددت ان اكتبهم . ثم قال : والله لقد هممت ان احظر لهم حظيرة ثم اضرمها عليهم ناراً . فانى لاقتل منهم الاثماً كفاراً سحاراً . لانما هم الله لبارك عليهم . بيت سوء - ا - لا اول لهم ولا آخر .

وقال يوماً لابن عباس . انى لا كتم بغضكم اهل البيت منذ اربعين سنة . وجمع بنى هاشم - وهم سبعة عشر رجلاً - وحصرهم في شعب عامر بمكة ، وجعل عليهم حطباً ليضرمه عليهم اذا هم لم يستسلموا له ، وهم باحراقه لولا ان سبقه ابو عبدالله الجدلى في اربعة آلاف من جيوش المختار ، بعثهم لاستخلاص بنى هاشم .

واعتذراخوه - عروة بن الزبير - انه انما اراد بذلك ان لاتنتشر الكلمة ولا يختلف المسلمون ، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة ابي بكر ، فقد

١- شرح النهج ج ٢٠ ص ١٠٣ و ١١٠ و ١١٤ . الاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص

احضر الحطب ليحرق عليهم الدار (١) .

كان يشتم علياً عليه السلام على رؤوس الاشهاد . وكان هو السبب في هلاك ابيه الزبير في عاقبة سوء قال امير المؤمنين عليه السلام : مازال الزبير مناهل البيت حتى نشأ ابنه المشثوم عبدالله . وعبر عليه السلام عنه بانه خب صب ، يروم امرأ لا يدركه ، ينصب جبالة الدين لاصطياد الدنيا ، وهو بعد مصلوب قريش (٢) .

\* \* \*

ولد عبد الرحمان عام الهجرة . وكان سماه ابوه ابراهيم ، لكن عمر بن الخطاب غير اسمه الى عبدالرحمان ، عندما اراد ان يغير اسم كل من تسمى باسماء الانبياء .

مات ابوه في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ فتزوج عمر بام عبدالرحمان ومن ثم نشأ في بيت عمر وكان معجابه .

وتزوج عبدالرحمان بمریم ابنة عثمان ، كما تزوج سعيد بن العاصي بام سلمة بنت عبدالرحمان . وكان مظاهر الود تتبادل بينه وبين عائشة ، ومن ثم كانت له مواقف دونها يوم الجمل . وكان احد الخمسة الذين انتدبهم عمرو بن العاص وابوموسى الاشعري يوم التحكيم .

مات بالمدينة ايام معاوية بن ابي سفيان (٣) .

\* \* \*

ولعلنا في هذا العرض وضعنا اليد على نقاط من حياة هؤلاء ، تكفى للدلالة

١- شرح النهج ج ٢٠ ص ١٢٢ و ١٢٨ و ١٤٧ . مروج الذهب ج ٣ ص ٨٥ - ٨٦ .

٢- الاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٣٠٢ . شرح النهج ج ١ ص ٢٢ و ج ٧ ص ٢٨

و ج ٢٠ ص ١٠٢ . وبحار الانوار ج ٤١ ص ٣٥١ .

٣- راجع : طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٥-٦ . وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٠٢ والاستيعاب

بهامش الاصابة ج ٢ ص ٣١٨ . و شرح النهج ج ٢٠ ص ١١٤ .



على واقع السر الذي دعا بعثمان ان ينتدبهم - وهم غير اكفاء - لعضوية لجنة كانت مهمتها القيام باخطر شيء كان يمس حياة المسلمين . ان الطيور على اشكالها تقع! ولامر ماجدع قصير انفه ! (١) .

---

١- وقد ارمزنا الى هذه الواقعة عند قولنا: نفرأ يخصونه !

## موقف الصحابة تجاه المشروع المصاحفي :

سبق ان حذيفة بن اليمان كان اول من فكر في توحيد المصاحف وحلف لياتين الخليفة وليأمرنه بجعلها قراءة واحدة (١) كما استشار هو من كان بالكوفة من صحابة الرسول ﷺ فوافقوه على ما عزم ، سوى ابن مسعود (٢) .  
وجمع عثمان من كان بالمدينة من الصحابة فآتمرهم في ذلك فهو اجمعاً يوافقون فكرة توحيد المصاحف ، قال ابن الاثير : فجمع الصحابة واخبرهم الخبر فاعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة (٣) .

وهكذا الامام امير المؤمنين عليه السلام ابدى رأيه موافقاً للمشروع ذاتياً . اخرج ابن ابي داود عن سويد بن غفلة ، قال : قال علي عليه السلام : فوالله ما فعل عثمان الذي فعل في المصاحف الا عن ملاء منا . استشارنا في امر القراءات ، وقال : بلغني ان بعضهم يقول : قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفراً . قلنا : فما ذارأيت ؟ قال : ارى ان يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف . قلنا : فنعم ما رأيت (٤) .

١- فتح الباري ج ٩ ص ١٥

٢- ٣- الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥٥

٣- قال جلال الدين : والسند صحيح . الاتقان ج ١ ص ٥٩

وفى رواية اخرى قال : لو وليت فى المصاحف ماولى عثمان لفعلت كما فعل (١).

\* \* \*

وكان عليه السلام - بعد ما تولى الخلافة - احرص الناس على الالتزام بالمرسوم المصحفى - حتى ولو كانت فيه اخطاء املائية - حفظا على كتاب الله من ان تمسه يد التحريف فيما بعد باسم الاصلاح . قال - عليه السلام - بهذا الصدد : لايهاج القرآن بعد اليوم (٢) .

ذكروا : انه قرأ رجل بمسمع الامام : وطلع منضود (٣) فجعل الامام يترنم فى نفسه : ماشأن الطلح؟ انما هو طلع - كما فى قوله تعالى : ونخل طلعهانضيد(٤) - ولم يكن ذلك اعتراضاً من الامام على القارئ ، ولادعوة الى تغيير الكلمة ، بل كان مجرد حديث نفس ترنم به الامام عليه السلام .

ولكن اناساً سمعوا كلامه فهبوا يسألونه : الاتغيره ؟ فانبرى الامام - عليه السلام - مستغرباً هذا الطلب ، وقال كلمته الحاسمة الخالدة : « ان القرآن لايهاج اليوم ولا يحول » .

وهكذا سار على منهجه عليه السلام الائمة من ولده :

قرأ رجل عند الامام ابى عبدالله الصادق - عليه السلام - حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤه الناس ! فقال له الامام : مه مه ، كف عن هذه القراءة وقرأ كما يقرؤ الناس .

وقال - عليه السلام - فى جواب من سأله عن الترتيل فى القرآن : اقرأوا

١- النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٨

٢- تفسير الطبرى ج ١٧ ص ٩٣ . ومجمع البيان ج ٩ ص ٢١٨ .

٣- سورة الواقعة : ٢٩ . وقد احتار المفسرون فى توجيه معنى الطلح هنا .

٤- سورة الشعراء : ١٤٨



كما علمتم (١) .

ومن ثم وقع اجماع اصحابنا الامامية على ان ما بيدنا هو قرآن كله (٢) لم تمسه  
يد تحريف اصلا . وان القراءة المشهورة هي القراءة الصحيحة ، التي تجوز القراءة  
بها في الصلاة . وغيرها من احكام اجروها على النص الموجود ، واعتبروه هو القرآن  
الذي اوحى الى النبي ﷺ ولم يعتبروا شيئا سواه .

\* \* \*

واما ابن مسعود فلا ظن مخالفته كانت جوهرية ، وانما اغضبه انتداب اشخاص  
غير اكفاء لهكذا مشروع جليل كان امثاله جديرين بالانتداب له . كان يقول : ان  
رجالا لم يؤذن لهم قد تصرفوا في القرآن من تلقاء انفسهم (٣) . ومن ثم ابى ابا عبد الله  
ان يدفع مصحفه الى رسول الخليفة . قال ابو ميسرة : اتاني رجل وانا اصلي فقال :  
اراك تصلي وقد امر بكتاب الله ان يمزق كل ممزق ! فتجوزت في صلاتي وكنت  
اجلس . فدخلت الدار ولم اجلس . ورقيت فلم اجلس . فاذا انا بالاشعري ، وحذيفة  
وابن مسعود يتقاوان . وحذيفة يقول لابن مسعود . ادفع اليهم المصحف . قال :  
والله لا ادفعه اليهم . أقرأني رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ثم ادفعه اليهم ؟ !  
والله لا ادفعه اليهم (٤) .

---

١- وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٢١

٢- راجع : حديث طلحة مع الامام . بحار الانوار ج ٩٢ ص ٤١ - ٤٢

٣- طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٧٠

٤- مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٢٢٨

## عام تأسيس المشروع :

قال ابن حجر : كانت هذه القصة فى سنة خمس وعشرين . فى السنة الثالثة او الثانية (١) من خلافة عثمان . قال : وغفل بعض من ادركناه فزعم ان ذلك كان فى حدود سنة ثلاثين ، ولم يذكر لذلك مستنداً (٢) .

وعدها ابن الاثير - وتبعه بعض من تأخر عنه من غير تحقيق - من حوادث سنة ثلاثين قال : وفى هذه السنة غرأ حذيفة الباب مدداً لعبدالرحمن بن ربيعة وفيها رآى حذيفة اختلافاً كثيراً بين الناس فى القرآن ، فلما رجع اشار على عثمان بجمع القرآن ففعل (٣) .  
واظن ابن الاثير متوهماً فى هذا التحديد :

اولا - كانت غزوة آذربيجان وارمينية سنة ٢٢ فى رواية ابى مخنف ، ذكرها الطبرى . غزاها الوليد بن عقبة ، لانهم حبسوا ما صالحوا عليه حذيفة اليمان عند ما غزاهم سنة ٢٢ ايام عمر بن الخطاب (٤) .

وقال ابن حجر : ارمينية فتحت فى خلافة عثمان ، وكان امير العسكر من اهل العراق : سلمان بن ربيعة الباهلى . وكان عثمان قدامر اهل الشام واهل العراق ان يجتمعوا على ذلك ، وكان امير اهل الشام فى ذلك العسكر : حبيب بن سلمة الفهرى وكان حذيفة من جملة من غزاهم ، وكان هو على اهل المدائن ، وهو من جملة اعمال

---

١- هذا التردد ينظر الى الاختلاف فى اليوم الذى بويع فيه لعثمان ، فقيل : فى العشر الاخير من ذى حجة عام ٢٣ . وعليه فعام تأسيس اللجنة يقع فى صدر السنة الثالثة من خلافته .  
وقيل : فى العشر الاول من محرم عام ٢٤ . وعليه فيكون تأسيس اللجنة واقعاً فى مؤخرة السنة الثانية . راجع : الطبرى ج ٣ ص ٣٠٤ . او ج ٤ ص ٢٤٢ طبعة دار المعارف .

٢- فتح البارى ج ٩ ص ١٥

٣- الكامل ج ٣ ص ٥٥ . زينى دحلان : الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ١٧٥

٤- الطبرى - طبعة دارالمعارف - ج ٤ ص ٢٤٦ - ٢٤٧

ثم قال : سنة خمس وعشرين هو الوقت الذي ذكر اهل التاريخ ان ارمينية فتحت فيه ، اول ولاية الوليد بن عقبة بن ابي معيط ، على الكوفة من قبل عثمان (١) .  
ثانياً - كانت الغزوة التي غزاها عبدالرحمان بن ربيعة ، هي في سنة اثنتين وعشرين .  
وكان الذي بصحبته حذيفة بن اسيد الغفاري ، لاحذيفة بن اليمان العنسي (٢) .

ثالثاً - في سنة ثلاثين عين سعيد حاكماً على الكوفة مكان الوليد ، وفي نفس الوقت تهيأ لغزو طبرستان . وصحبه في الغزو ابن الزبير وابن عباس والحذيفة (٣) . ولم يرجع سعيد الى المدينة حتى سنة ٣٣ وفي السنة التالية كان مقتل عثمان (٤) .

كل ذلك لا يلتزم وكون سعيد عضواً ثانياً للجنة اذا كانت تأسست عام ٣٠ وهكذا ابن الزبير وابن عباس على ما تقدم .

رابعاً - ذكر الذهبي فيمن توفي عام ثلاثين «ابى بن كعب» . قال : وقال الواقدي : هو اثبت الاقاويل عندنا (٥) مع العلم ان ابا كان مملياً على الاعضاء ، وكان مرجعهم الاعلى في النسخ والمقابلة .

خامساً - في حديث يزيد النخعي الانف : اني لفي المسجد زمن الوليد . . . الخ (٦) .

الامر الذي يدل على وقوع القصة قبل سنة ثلاثين . وفي لفظ ابن حجر : انه كان

١- فتح الباري ج ٩ ص ١٣ - ١٤

٢- تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٥٥ دار المعارف

٣- المصدر ص ٢٦٩ - ٢٧١

٤- المصدر ص ٣٣٠ و ص ٣٦٥

٥- ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٨٢ . وراجع : الطبقات ج ٣ ق ٢ ص ٦٢

٦- تقدم في صفحة : ٢٢٨



في بدء ولاية الوليد على الكوفة (١) ولا بد انه كذلك ، اذا كان تعين الوليد على الكوفة  
في مفتتح سنة ٢٤ . وفي رواية سيف : انها كانت سنة ٢٥ (٢) .

سادساً - وربما هو اقوى دليل - : روى ابن ابى داود عن مصعب بن سعد ،  
قال : خطب عثمان - بدء قيامه بجمع القرآن - فقال : انما قبض نبيكم منذ خمس  
عشرة سنة ، وقد اختلفتم في القرآن ! عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من  
رسول الله ﷺ لما اتاني به .. (٣)

هذه الخطبة تحدد بالضبط بدء تأسيس المشروع المصاحفي ، وانه كان عام ٢٥  
بعد الهجرة .

واخيراً فابن الاثير متفرد عن الطبرى في سرد قضية حذيفة ، ضمن حوادث  
سنة ثلاثين . ولا سيما والتفصيل الذى اتى عليه في تاريخه ، جاء في صورة لانكاد نصدقها  
مأخوذة عن مستند تاريخي ، واغلب الظن انها مجموعة روايات منضمة بعضها الى  
بعض زعمها مقترنة ، فاوردها ضمن حوادث تلك السنة !!

ملحوظة : لا يعتمد الطبرى نفسه على التحديدات الزمنية التي يذكرها هو قيماً  
للحوادث ، فهو يتردد احياناً في حادثة ، بين وقوعها سنة ١٨ او سنة ٢١ ، كواقعة  
نهاوند (٤) - مثلاً - فلا بد اذن لمعرفة تاريخ كل حادثة من البحث عن ملبساتها  
والتحقيق عن مناشئها واسبابها ، دون الاعتماد السريع على ما يذكره المؤرخون  
من توقيت .

---

١- فتح البارى ج ٩ ص ١٣ - ١٤

٢- الطبرى ج ٤ ص ٢٥١

٣- المصاحف ص ٢٤

٤- بصرح الطبرى بترديده بشأن واقعة نهاوند ج ٤ ص ١١٤ حوادث سنة ٢١

## منجزات المشروع :

اجتازت اللجنة المصاحفية في عملها ثلاث مراحل اساسية :

١- جمع المصاحف او الصحف التي فيها قرآن ، من اطراف البلاد الاسلامية وامحائها .

٢- البحث عن مستندات ومنابع صحيحة لغرض النسخ عليها مصاحف متحدة وبثها بين المسلمين .

٣- مقابلة هذه المصاحف الموحدة ، لغرض التاكد من صحتها اولا ، وعدم وجود اختلاف بينها ثانياً .

واخيراً الزام المسلمين كافة على قرائتها ومنع غيرها من قراءات .  
واللجنة - وان اجتازت هذه المراحل - ولكنها في شيء من التساهل واهمال جانب الدقة الكاملة ، ولاسيما في المرحلة الثالثة التي كانت بحاجة شديدة الى اهتمام اكثر .

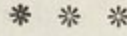
ففي مرحلة جمع المصاحف وامحائها فقد ارسل عثمان الى كل افق من يجمع المصاحف او الصحف التي فيها قرآن ، وامر بها ان تحرق (١) .

قال اليعقوبي : وكتب في جمع المصاحف من الافاق حتى جمعت ، ثم سلقها بالماء الحار والخل . وقيل : احرقها . فلم يبق مصحف الا فعل به ذلك ، خلا مصحف ابن مسعود ، فامتنع ان يدفع مصحفه الى عبدالله بن عامر . فكتب اليه عثمان ان اشخصه . فدخل ابن مسعود المسجد وعثمان يخطب ، فقال عثمان : انه قد قدمت عليكم دابة سوء . فكلم ابن مسعود بكلام غليظ . فامر به عثمان فجر برجله حتى كسر له ضلعان : فتكلمت عائشة وقالت قولاً كثيراً (٢) .

---

١- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٦

٢- تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٠



وفى المرحلة الثانية ، كان عثمان فى بدء الامر زعمها هينة ، ومن ثم اختار لها جماعة غير اكفاء ، ثم لجأ اخيراً الى جماعة آخرين وفيهم الاكفاء مثل سيد القراء (١) الصحابى الكبير ابى بن كعب . كما وارسل الى الربعة التى كانت فى بيت حفصة ، وهى الصحف التى جمع فيها القرآن ايام ابى بكر . فطلبها لتكون سنداً وثيقاً للمقابلة عليها والاستنساخ منها . فابت حفصة لاول امرها ان تدفعها اليه ، ولعلها خافت ان تأخذ مصيرها الى الحرق والتنزيق كسائر المصاحف احتى عاها عثمان ليردنها فبعثت بها اليه (٢) .

وهكذا وجه نداء عاماً الى كافة المسلمين : عزمت على من عنده شىء من القرآن سمعه من رسول الله ﷺ لما اتانى به (٣) .

فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعسيب فيه القرآن . وربما كانوا ينتظرون اناساً كانوا احدثهم بالعرضة الاخيرة ، حتى يأتوهم بالقرآن . قال ابن سيرين : كانوا اذا تدارؤا فى شىء - اى اختلفوا فى آية - أخروه . قال بعضهم : ولعلهم كانوا يؤخرونه لينظروا احدثهم عهداً بالعرضة الاخيرة . فيكتبونها على قوله (٤) .

وقال انس بن مالك : كنت فىمن املى عليهم ، فربما اختلفوا فى الاية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله يكون غائباً او فى بعض البوادرى ، فيكتبون ما قبل الاية وما بعدها ، ويدعون موضعها حتى يجىء الرجل او يرسل اليه (٥) .

---

١- تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨٧ والطبقات ج ٣ ق ٢ ص ٦٢

٢- مصاحف ابن ابى داود ص ٩ والبخارى ج ٦ ص ٢٢٦

٣- المصاحف ص ٢٤

٤- المصدر ص ٢٥

٥- المصدر ص ٢١



هذا .. وربما كان ابي بن كعب يملى عليهم القرآن فيكتبونه ، او يرسلون اليه فيصحح لهم ما اشتبهت عليهم قراءتها .  
جاء في حديث ابي العالية : انهم جمعوا القرآن من مصحف ابي . فكان رجال يكتبون يملى عليهم ابي بن كعب (١) .

وقال عبد الله بن هانئ البربري - مولى عثمان - : كنت عند عثمان ، وهم يعرضون المصاحف - اى يقابلون النسخ مع بعضها البعض - فارسلنى بكتف شاة الى ابي بن كعب فيها : «لم يتسن» . وفيها : «لا تبديل للخلق الله» . وفيها : «فامهل الكافرين» فدعا ابي بدواة فمحي اللامين وكتب «لخلق الله» . ومحي «فامهل» . وكتب «فمهل» وكتب «لم يتسنه» فألحق فيها الهاء (٢) .

\* \* \*

اما المرحلة الثالثة فكان التساهل فيها اوضح ، حسب ما اودعت فى المصحف العثمانى من اخطاء ومناقضات املائية بما لا يستهان بها ، كما ولم تتحد نسخ المصاحف مع بعضها البعض ، فكان بين المصاحف المرسله الى الافاق اختلاف . الامر الذى يؤخذ على اعضاء اللجنة ، ولا سيما عثمان نفسه ، الذى عثر على تلك الاخطاء واهملها تساهلا بالامر !

يحدثنا ابن ابي داود عن بعض اهل الشام ، كان يقول : مصحفنا ومصحف اهل البصرة احفظ من مصحف اهل الكوفة . لان عثمان لما كتب المصاحف بلغه قراءة اهل الكوفة على حرف عبد الله . فبعث اليهم بالمصحف قبل ان يعرض - اى قبل مقابله على سائر النسخ - وعرض مصحفنا ومصحف اهل البصرة قبل ان يبعث بهما (٣) .

---

١- المصدر ص ٣٠

٢- الاتقان ج ١ ص ١٨٣

٣- المصاحف ص ٣٥

وهو تسريع في ارسال المصحف الى قطر كبير قبل مقابلته بدقة .  
كما وان وجود اختلاف بين مصاحف الامصار - على ما يحدثنا ابن ابي داود  
ايضا (١) - لدليل على مدى الاهمال الذى سمحوا به فى ناحية المقابلة والاتقان من  
صحة النسخ .

وجانب افصح من هذا التساهل الغريب : ماروى ابن ابي داود - ايضاً - :  
انهم عندما فرغوا من نسخ المصاحف اتوا به الى عثمان ، فنظر فيه فقال : قد احسنتم  
واجملتم . ارى فيه شيئاً من لحن ! - لكن - ستقيمه العرب بالسنتها ثم قال : لو كان  
المملى من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا . (٢) .

قلت : ما هذا الايتكال الغريب ، والفرصة فى قدرته ؟ ألم يكن كتاب الله العزيز  
الحميد جديراً بالاهتمام به ليكون خلواً من كل خطأ اولحن ؟ ! ثم ما هذا التمنى  
الكاذب ، وفى استطاعته بدء الامر ان يختار مملياً من هذيل وكتبة من ثقيف ، وهو  
يعلم ان فيهم الجدارة والكفاءة ، الامر الذى كان يعوزه من انتدبهم من بطانته حينذاك !!  
نعم كانت مغبة هذا التساهل ان حصلت اختلافات فى القراءة فيما بعد ، وكان  
كراً على ما فروا منه . وسنفصل كل ذلك فى فصول قادمة .

## عدد المصاحف العثمانية :

اختلف المؤرخون فى عدد المصاحف الموحدة التى ارسلت الى الافاق . قال  
ابن ابي داود : كانت ستة حسب الامصار المهمة ذوات المركزية الخاصة : مكة  
والكوفة والبصرة والشام والبحرين واليمن . وحسب السابعة - وكانت تسمى الام

---

١- المصدر ص ٣٩ - ٤٩ . وسنذكره فى فصل قادم

٢- المصدر ص ٣٢ - ٣٣

او الامام - بالمدينة (١) وزاد اليعقوبى : مصر والجزيرة (٢) .

اذأ فعدد المصاحف التى نسختها لجنة توحيد المصاحف هى تسعة ، واحدة هى الام او الامام . كانت بالمدينة والبقية ارسلت الى مراكز البلاد الاسلامية آنذاك . وكان المصحف المبعوث الى كل قطر يحتفظ عليه فى مركز القطر ، يستنسخ عليه ويرجع اليه عند اختلاف القراءة . ويكون هو حجة ، والقراءة التى توافقها تكون هى الرسمية ، وكل نسخة او قراءة تخالفها تعد غير رسمية وممنوعة يعاقب عليها .  
اما مصحف المدينة ( الامام ) فكان مرجعاً للجميع بصورة عامة ، حتى اذا كان اختلاف بين مصاحف الامصار ، فان الحجة هو المصحف الامام بالمدينة ، فيجب ان يصحح عليه .

وروى : ان عثمان بعث مع كل مصحف قارئاً يقرأ الناس على قراءة ذلك المصحف . فبعث مع المصحف المكي - مثلاً - عبدالله بن السائب . ومع المصحف الشامى المغيرة بن شهاب . ومع المصحف الكوفى ابا عبد الرحمان السلمى . ومع المصحف البصرى عامر بن عبد القيس ... وهكذا . وكان قارئ المدينة والمقرى من قبل الخليفة هوزيد بن ثابت (٣) .

هذا .. وكانت شدة الاهتمام بهذه المصاحف والتحفظ عليها من قبل السلطات ، وشدة حرص الناس على محافظتها ودراستها ، تستدعى بقاءها مع الخلود . غير ان تطورات حصلت عليها فيما بعد : تنقيط وتشكيل . وتحزيب واخيراً تغيير الخط من الكوفى البدائى الذى كتبت به المصاحف على عهد عثمان ، الى الكوفى المعروف ، وبعده الى خط النسخ العربى الجميل وخطوط اخرى تداولت فيما بعد . كل ذلك جعل من المصاحف العثمانية الاولى على مدرج النسيان - فامست مهجورة ولم يعد

١- المصاحف ص ٣٢

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٦٠

٣- مناهل العرفان ج ١ ص ٣٩٦ - ٣٩٧



لها اثر فى الوجود .

\* \* \*

هذا . . وذكر ياقوت الحموى ( توفى سنة ٦٢٦ هـ ) ان فى جامع دمشق مصحف عثمان بن عفان . قالوا : انه خطه بيده (١) .

وهذا المصحف رآه ابن فضل الله العمري (توفى سنة ٧٤٩ هـ) . قال : والى الجانب الايسر من جامع دمشق المصحف العثماني بخط عثمان بن عفان (٢) .

ولم يحفظ لعثمان انه خط مصحفاً بيده ، فلعله مصحف الشام بقى لذلك العهد . وهذا المصحف يذكره ابن كثير ( توفى سنة ٧٧٤ هـ ) من غير ان ينسبه الى خط عثمان : قال : واما المصاحف العثمانية فاشهرها اليوم الذى فى الشام بجامع دمشق عند الركن شرقى المقصورة . وقد كان قديماً بمدينة طبرية ثم نقل منها الى دمشق فى حدود سنة ٥١٨ هـ . وقد رأيت كتاباً ضخماً بخط حسن ميبين قوى ، بحبر محكم ، فى رق اظنه من جلود الابل (٣) .

وقال الرحالة ابن بطوطة (توفى سنة ٧٧٩ هـ) : وفى الركن الشرقى من المسجد ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذى وجهه عثمان بن عفان الى الشام ، وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لثم ذلك المصحف الكريم . وهناك يحلف الناس غرماً هم ومن ادعوا عليه شيئاً (٤) . ويقال ، ان هذا المصحف بقى فى مسجد دمشق حتى احترق فيه سنة ١٣١٠ هـ (٥) . قال الدكتور صبحى صالح : وقد ذكر لى زميلى الاستاذ الدكتور يوسف

---

١- معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٩

٢- مسالك الابصار فى ممالك الامصار ج ١ ص ١٩٥

٣- فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٩

٤- رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٥٢

٥- انظر : خطط الشام ج ٥ ص ٢٧٩

العش : ان القاضي عبدالمحسن الاسطوانى اخبره بانه قدر آى المصحف الشامى قبل احتراقه ، وكان محفوظا بالمقصورة وله بيت خشب (١) .

قال الاستاذ الزرقانى : ليس بين ايدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الان فضلا عن تعيين امكنتها .

اما المصاحف الاثرية التى تحتويها خزائن الكتب المصرية ، ويقال عنها : انها مصاحف عثمانية ، فاننا نشك كثيراً فى صحة هذه النسبة ، لان بها زركشة ونقوشاً موضوعة كعلامات للفصل بين السور ، وليبان اعشار القرآن . ومعلوم ان المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا ومن النقط والشكل .

نعم فى خزانة المشهد الحسينى مصحف منسوب الى عثمان ، مكتوب بالخط الكوفى القديم ، مع تجويف حروفه وسعة حجمه جداً . ورسمه يوافق رسم المصحف المدنى او الشامى ، حيث رسم فيه كلمة « من يرتدد » من سورة المائدة بدالين مع الفك ، فاكبر الظن ان هذا المصحف منقول من المصاحف العثمانية على رسم بعضها (٢) .

\* \* \*

وهكذا نسب الى خط الامام امير المؤمنين عليه السلام مصحف بعض اوراقه محفوظة بالخزانة العلوية فى النجف الاشرف . بخط كوفى قديم ، كتب على آخره : كتبه على بن ابوطالب فى سنة اربعين من الهجرة . قال الاستاذ ابو عبدالله الزنجانى : ورأيت فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٥٣ هـ فى دار الكتب العلوية فى النجف مصحفاً بالخط الكوفى كتب على آخره : كتبه على بن ابي طالب فى سنة اربعين من الهجرة ولتشابه «ابى» و «ابو» فى رسم الخط الكوفى قديظن من لاخبرة له انه كتب على بن ابوطالب بالواو (٣) .

١- مباحث فى علوم القرآن ص ٨٩ بالهامش

٢- مناهل العرفان ج ١ ص ٣٩٧ - ٣٩٨

٣- تاريخ القرآن ص ٢٤

وفى خزانة الاثار بالمسجد الحسينى بالقاهرة ايضاً مصحف يقال ان على بن ابيطالب كتبه بخطه ، وهو مكتوب بخط كوفى قديم . قال الاستاذ الزرقانى : من الجائز ان يكون كاتبه علياً ، او يكون قدامر بكتابه فى الكوفة (١) .

\* \* \*

ويذكر ابن بطوطة : ان فى مسجد امير المؤمنين على عليه السلام بالبصرة ، المصحف الكريم الذى كان عثمان يقرأ فيه لما قتل . وائر تغيير الدم فى الورقة التى فيها قوله تعالى : «فسيكفيكم الله وهو السميع العليم» (٢) وهو غريب !

---

١- مناهل العرفان ج ١ ص ٣٩٨

٢- الرحلة ج ١ ص ١١٤



## تعريف عام بالمصاحف العثمانية :

كانت المصاحف العثمانية - بصورة عامة - ذات ترتيب خاص يقرب من ترتيب مصاحف الصحابة في اصل المنهج الذي سارت عليه بتقديم الطوال على القصار ، مع اختلاف يسير . وكانت خالية عن كل علامة تشير الى اعمام الحرف او تشكيله . او الى تجزئته من احزاب واعشار واخماس . وكانت مليئة باخطاء املائية ومناقضات في رسم الخط ، ويرجع السبب الى بداءة الخط الذي كان يعرفه الصحابة آنذاك . تلك اوصاف عامة جرت عليها تلكم المصاحف نفضلها فيما يلي :

### ١ - الترتيب :

تقدم الكلام عن ترتيب المصحف العثماني ، هو الترتيب الحاضر في المصحف الكريم ، وهو الترتيب الذي جرت عليه مصاحف الصحابة حينذاك ، ولاسيما مصحف ابي بن كعب . لكنه خالفها في موارد يسيرة : من ذلك : ان الصحابة كانوا يعدون سورة يونس من السبع الطوال ، فكانت

هي السورة السابعة (١) او الثامنة (٢) في ترتيب مصاحفهم .

لكن عثمان عمد الى سورة الانفال فجعلها هي وسورة براءة سابعة السبع الطوال ، زعمهما سورة واحدة واخر سورة يونس الى سور المثين .

الامر الذي اثار ابن عباس (٣) ليعترض على عثمان ، قائلاً : ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال ، وهي من المثاني (٤) والى براءة ، هي من المثين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ( ٥ ) . ووضعتموهما في السبع الطوال ؟!

قال عثمان : كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد ، فكان اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب ، فيقول : ضعوا هؤلاء الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً . وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظنت انها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا انها منها ، فمن اجل ذلك قرنت بينهما ، ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتهما في السبع الطوال . قال الحاكم : والحديث صحيح على شرط الشيخين (٦) .

وهذا يدل على اجتهاد الصحابة في ترتيب المصحف . فكان عثمان يعرف ان آيات من سور ربما كان يتأخر نزولها ، فيأمر النبي ﷺ ان توضع موضعها

١- في مصحف ابن مسعود .

٢- في مصحف ابي بن كعب .

٣- سبق ان عضويته في لجنة توحيد المصاحف كانت متأخرة .

٤- لعله ينظر الى مصحف ابن مسعود الذي جعلها من المثاني . اما في مصحف ابي بن كعب

فهى من المثين .

٥- ايضاً ينظر الى مصحف ابن مسعود الذي اثبت فيه البسمة لسورة براءة .

٦- مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٢٢١ و ٣٣٠ .

من السورة المتقدمة . فزعم عثمان ان سورة براءة هي من تنمة سورة الانفال ( ١ )  
لتشابه ما بينهما في السياق العام : تعنيف بمنائى الاسلام من كافرين ومنافقين .  
وتحريض بالمؤمنين على الثبات والكفاح لتثبيت كلمة الله فى الارض . وحيث لم يرد  
نقل بشأنهما فقرن بينهما وجعلهما سورة واحدة هي سابعة الطوال .  
ولعله لم يتنبه ان سورة براءة نزلت نقمة بالكافرين ، ومن ثم لم تنزل معها  
التسمية التي هي رحمة ، حيث لا يتناسب بدء نقمة برحمة . قال امير المؤمنين عليه السلام :  
البسمة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ( ٢ ) .  
وهكذا اختلافات يسيرة جاءت فى المصحف العثماني مع بقية المصاحف ،  
لا فى اصول منهج الترتيب العام ، بل فى سور كل نوع من التنويع المتقدم . وكان  
الجدول السابق ( ٣ ) كفل بيان هذا الاختلاف .

---

١- وهكذا روى العياشى ج ١ ص ٧٣ بسنده عن احدهما - عليهما السلام - قال :

الانفال وسورة براءة واحدة .

وهناك اختلاف بين العلماء فى انما سورة واحدة ام اثنتان ؟ راجع : مجمع البيان ج ٥

ص ٢ . وربما كان يرجح القول بانها سورة واحدة ماورد : انما كان يعرف انقضاء السورة

بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء للآخرى . العياشى ج ١ ص ١٩ .

٢- مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٣٠ . والا تفان ج ١ ص ٦٥ . والمجمع ج ٥ ص ٢

٣- فى صفحة : ٢٦٨ - ٢٧٤



## ٢- النقط والتشكيل :

كانت المصاحف العثمانية خلواً عن كل علامة مائزة بين الحروف المعجمة والحروف المهملة ، وفق طبيعة الخط الذي كان دارجاً عند العرب آنذاك . فلتمييز بين الباء والتاء ، ولايين الياء والتاء . ولايين الجيم والحاء والحاء . وهكذا كان مجرداً عن الحركة والاعراب . . وكان على القارئ بنفسه ان يميز بينهما عند القراءة حسب ما يبدوله من قرائن . كما كان عليه ان يعرف هو بنفسه وزن الكلمة وكيفية اعرابها ايضاً .

ومن ثم كانت قراءة القرآن في الصدر الاول موقوفة على مجرد السماع والنقل فحسب . ولولا الاسماع والاقراء كانت القراءة في نفس المصحف الشريف ممتنعة تقريباً .

مثلاً : لم تكن كلمة «تبلو» تفرق في المصحف عن كلمة «نبلو» او «نتلو» او «تتلو» او «يتلو» ... وكذا كلمة «يعلمه» لم تكن تميز عن كلمة «تعلمه» او «نعلمه» او «بعلمه» ..

وهكذا قوله : «لتكون لمن خلفك آية» ربما قرأه بعضهم : «لمن خلقتك» . وفيما يلي امثلة واقعية ، اختلفت القراءة فيها ، مغبة خلو المصاحف من النقط :

- في سورة البقرة: ٢٥٩ «ننشزها» . «ننشرها» . «تنشرها» . (١)
- في سورة آل عمران : ٤٨ «يعلمه» . «نعلمه» (٢) .
- في سورة يونس : ٣٠ «تبلو» . «تلو» (٣) .
- في سورة يونس : ٩٢ «ننجيك» . «ننجيك» (٤) .
- في سورة العنكبوت : ٥٨ «لنبوئتهم» . «لنثوئتهم» . «لنبوئهم» (٥) .
- في سورة سبأ : ١٧ «تجازى» . «يجازى» (٦) .
- في سورة الحجرات : ٦ «فتبينوا» : فتثبتوا» (٧) .
- الى غيرها من امثلة وهي كثيرة .

\* \* \*

هذا.. وخلو المصاحف الاولية من علامات فارقة ، كان عمدة السبب في اختلاف القراءات فيما بعد . اذ كان الاعتماد على الحفظ والسماع ، وبطول الزمان ربما كان يحصل اشتباه في النقل او خلط في السماع ، مادام الانسان هو عرضة للنسيان ، والاشتباه حليفه مهمادق في الحفظ ، لو لم يقيد بالكتابة . ومن ثم قيل : ما حفظ فرو ما كتب قر .

أضف الى ذلك تخلخل الامم غير العربية في الجزيرة وتضخم جانبهم مطرداً مع التوسعة في القطر الاسلامي العريض . فكان على اعضاء المشروع المصاحفي في وقته ان يفكروا في مستقبل الامة الاسلامية ، ويضعوا علاجاً لما يحتمل الخلل في قراءة

- 
- ١- راجع : مجمع البيان ج ٢ ص ٣٦٨ .
  - ٢- راجع : مجمع البيان ج ٢ ص ٢٢٢ .
  - ٣- راجع : مجمع البيان ج ٥ ص ١٠٥ .
  - ٤- راجع : مجمع البيان ج ٥ ص ١٣٠ .
  - ٥- راجع : مجمع البيان ج ٨ ص ٢٩٠ .
  - ٦- راجع : مجمع البيان ج ٨ ص ٣٨٢ .
  - ٧- راجع : مجمع البيان ج ٣ ص ٩٢ و ٩٣ ص ١٣١ .

القرآن قبل وقوعه . ولكن انى وروح الاهمال والتساهل كان مسيطراً تماماً على المسؤولين آنذاك .

هذا .. وقد اغرب ابن الجزرى ، فزعم ان المسؤولين آنذاك تركوا وضع العلامم عن عمد وعن قصد ، لحكمة اقال : وذلك ليحتمل الخط ماصح نقله وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ اذ كان الاعتماد على الحفظ والسماع لاعلى مجرد الخط (١) . ووافق الزرقانى على هذا التبرير المفصوح ، قال : كانوا يرسمونه بصورة واحدة خالية من النقط والشكل ، تحقيقاً لهذا الاحتمال (٢) .

لكن لامجال لهذا التبرير بعد ان نعلم ان الخط عند العرب حينذاك كان بذاته خالياً عن كل علامة مائزة . وكان العرب هم فى بداءة معرفتهم بالخط والكتابة ، فلم يكونوا يعرفون من شؤون الاعجام والتشكيل وسائر العلامم شيئاً لحد ذلك الوقت .

## نشأة الخط العربى :

ليس فى آثار العرب بالحجاز ما يدل على معرفتهم بالكتابة ، الا قبيل الاسلام . والسبب فى ذلك ان العرب كان قد غلب على طباعهم البداوة ، فكانوا فى ترحال وارتحال او حروب وغارات ، وكانت تصرفهم عن التفكير فى شؤون الصناعات ، والكتابة من الصناعات الحضرية .

لكن بعض العرب ممن رحلوا الى الشام والعراق فى تجارة او سفارة ، جعلوا يتخلقون باخلاق تلك الامم المتحضرة . فاقبضوا منهم الكتابة والخط على سبيل الاستعارة ، فعادوا وبعضهم يكتب بالخط النبطى او الخط السريانى . وظل الخطان معروفين عند العرب الى ما بعد الفتح الاسلامى .

وقد تخلف عن الخط النبطى الخط النسخى - وهو المعروف اليوم - وتخلف عن الخط السريانى الخط الكوفى . وكان يسمى الخط الحيرى ، نسبة الى الحيرة

١- النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٧ .

٢- مناهل العرفان ج ١ ص ٢٥١ .



- مدينة عربية قديمة بجوار الكوفة اليوم - لان هذا التحول حصل فيها . ثم بعد بناء الكوفة وانتقال الحضارة العربية اليها ، تحول اسم هذا الخط الى الخط الكوفي . وظل هذا الخط هو المعروف والمتداول بين العرب في فترة طويلة .

والخط النبطي - المتحول الى الخط النسخي - تعلمته العرب من حوران ، اثناء تجارتهم الى الشام . اما الخط الحيرى او الكوفي فقد تعلموه من العراق . فكانوا يستخدمون القلمين جميعاً : الاول في المراسلات والكتابات الاعتيادية والثاني للكتابات ذوات الشأن كالقرآن والحديث .

ودليلاً على تخلف الخط الكوفي عن السريانية : انهم كتبوا في القرآن «الكتب» بدل «الكتاب» . و«الرحمن» بدل «الرحمان» . وتلك قاعدة مطردة في الخط السرياني ، يحذفون الالفات الممدودة في اثناء الكلمة .

جاء الاسلام والخط غير معروف عند العرب الحجازيين ، فلم يكن يعرف الكتابة الابضعة عشر رجلاً ، واستخدمهم النبي ﷺ لكتابة الوحي . لكنه جعل يحرض المسلمين على تعلم الخط حتى نموا وكثروا .

لكن بقي الخطان : النسخ والكوفي ، هما المعروفين بين المسلمين ، يعملون في تطويرهما وتحسينهما ، حتى نبغ ابن مقلة في مفتتح القرن الرابع الهجرى ، وادخل في خط النسخ تحسينات فائقة . وهكذا بلغ الخط النسخي العربي ذروته في الكمال على نحو ما هو عليه الان .

وظل الخط الكوفي ، على عكس ازدهار الخط النسخي وتقدمه ، يتدهور الى ان هجر تماماً ، وكتبت المصاحف بعدئذ بالخط النسخي الجميل . وقد كانت تكتب بالخط الكوفي نحو قرنين او اكثر (١) .

---

١- راجع : دائرة معارف القرن العشرين ، لفريد وجدى ج ٣ ص ٦٢١ . و تاريخ

التمدن الاسلامى ، لجرى زيدان ج ٣ ص ٥٨ - ٦٠ . والمقدمة لابن خلدون ص ٤١٧ - ٤٢١ و اصل الخط العربى ، لخليل يحيى نامى ، المجلد الثالث . والخط العربى الاسلامى ، لتركى -

## اول من نقط المصحف :

كان الخط عندما اقتبسته العرب من السريان والانباط، خالياً من النقط، ولا تزال الخطوط السريانية بلانقط الى اليوم . وهكذا جرت عليه العرب يكتبون بلانقط حتى منتصف القرن الاول، وبعده بقليل جعل الخط العربي ينتقل الى دوره الجديد، دور تشكيل الخط وتنقيطه ؛ وسيأتي الكلام عن التشكيل .

وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق من قبل عبدالملك بن مروان (٧٥-٨٦م) تعرف الناس على نقط الحروف المعجمة وامتيازها عن الحروف المهملة . وذلك على يد يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم ، تلميذى ابي الاسود الدؤلى (١) .

والسبب في ذلك : ان الموالى في هذا العهد قد كثروا ، وازدحم القطر الاسلامى بساجانب عن اللغة العربية ، وكان منهم العلماء والقراء ، والعربية ليست لغتهم ، فكان لابد ان يقع في تلفظهم لحن ، ومن ثم كثر التصحيف في القراءات ، وهال المسلمين ذلك . حكى ابو احمد العسكري ( ٢ ) ان الناس غبروا يقرأون في مصحف عثمان نيفا واربعين سنة الى ايام عبدالملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج بن يوسف الى كتابه وسألهم ان يضعوا لهذه الحروف المشبهة علامات . فيقال : ان نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط افراداً وازواجاً وخالف بين اماكنها ... (٣) .

→ عطية ص ٢٢ . وانتشار الخط العربي ، لعبد الفتاح عبادة ص ١٣ - ١٥ . ومصور الخط العربي

لتاجي المصروف ص ٣٣٨ . وتاريخ الخط العربي ، لمحمد طاهر الكردى ص ٥٢

١ - دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص ٧٢٢ . ومناهل العرفان ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٠

وتاريخ القرآن للزنجاني ص ٦٨

٢ - في كتاب التصحيف ص ١٣

٣ - ابن خلكان ج ٢ ص ٣٢ في ترجمة الحجاج

وقال الاستاذ الزرقانى : اول من نقط المصحف هو يحيى بن يعمر ونصر بن  
عاصم تلميذا ابى الاسود الدؤلى (١) .

## اول من شكل المصحف :

وهكذا كان الخط العربى آنذاك مجرداً عن التشكيل (علائم حركة الكلمة  
واعرابها) وبطبيعة الحال كان المصحف الشريف خلواً عن كل علامة تشير الى حركة  
الكلمة او اعرابها .

بيدان القرآن فى الصدر الاول كان محفوظاً فى صدور الرجال ومأمونا عليه  
من الخطأ واللحن ، بسبب ان العرب كانت تقرؤه صحيحاً حسب سليقتها الفطرية التى  
كانت محفوظة لحد ذلك الوقت . اضيف الى ذلك شدة عنايتهم بالاخذ والتلقى عن مشايخ  
كانوا قريبي العهد بعصر النبوة . فقد توفرت الدواعى على حفظه وضبطه صحيحاً حينذاك .  
اما وبعد منتصف القرن الاول حيث كثر الدخلاء وهم اجانب عن اللغة فان  
السليقة كانت تعوزهم ، فكانوا بامس حاجة الى وضع علائم ودلالات تؤمن عليهم  
الخطاء واللحن .

مثلا : لفظة « كتب » كانت العرب تعرف بسليقتها الذاتية ، انها فى قوله تعالى :  
« كتب ربكم على نفسه الرحمة » تقرأ مبنياً للفاعل ، وفى قوله تعالى : « كتب عليكم  
الصيام » مبنياً للمفعول . اما الرجل الاعجمى فكان يشبهه عليه قراءتها معلومة او مجهولة .  
كما ان ابا اسود سمع قارئاً يقرأ : « ان الله برىء من المشركين ورسوله » -  
بكسر اللام - فقال : ما ظننت ان امر الناس آل الى هذا ، فرجع الى زياد بن ابيه - وكان  
واليا على الكوفة ( ٥٠ - ٥٣ هـ ) وكان قد طلب اليه ان يصنع شيئاً يكون للناس  
اماماً ، ويعرف به كتاب الله ، فاستغفاه ابو الاسود ، حتى سمع بنفسه هذا اللحن فى



كلام الله - فعند ذلك عزم على انجاز ماطلبه زياد ( ١ ) فقال :افعل ما امر به الامير ، فليخ لي كاتباً مجيداً يفعل ما اقول . فاتوه بكاتب من عبد قيس فلم يرضه ، فاتوه بآخر وكان واعياً فاستحسنه.

قال ابو الاسود للكاتب : اذارأبتنى قدفتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه من اعلاه . وان ضمنت فمى فانقط نقطة بين يدي الحرف . وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف (٢) وفي لفظ ابن عياض :زيادة قوله :فاذا اتبعت ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين ففعل (٣) .

وظل الناس بعد ذلك يستعملون هذه النقط علائم للحركات ، غير انهم - في الاغلب - كانوا يكتبونها بلون غير لون خط المصحف . والاكثر يكتبونها بلون احمر . والظاهر ان تبديل النقط السود الى نقط ملونة حدث بعد وضع الاعجام على يدينه ربن عاصم الانف ، للفرق بين النقطة التي هي علامة الحركة ، والتي هي علامة الاعجام .

قال جرجى زيدان : وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفاً كوفياً منقطاً على هذه الكيفية ، وجدوه في جامع عمرو بن العاص بجوار القاهرة ، وهو من اقدم مصاحف العالم ، ومكتوب على رقوق كبيرة بمداد اسود وفيه نقط حمراء اللون ، فالنقطة من فوق الحرف فتحة وتحتها كسرة وبين يديها ضمة ، كما وصفها ابو الاسود (٤) .

- 
- ١- يقال : ان زياداً هو الذي دبر هذه الطريقة ليجبر بها ابا الاسود على قبول ماطلبه منه . فاو عزالى رجل من اتباعه ان يقعد في طريق ابي الاسود ويتمد للحن في القراءة (تركي عطية : الخط العربي الاسلامى ص٢٦) و(يوسف احمد : الخط الكوفى ص٢٣) .
  - ٢- الفهرست لابن النديم ص٤٦ الفن الاول من المقالة الثانية .
  - ٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام : السيد حسن الصدر ص٥٢
  - ٤- تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٦١

وقد جرى بالاندلس استعمال اربعة الوان للمصاحف هي : اللون الاسود ،  
للحروف . واللون الاحمر ، للشكل بطريقة النقط . اللون الاصفر ، للهمزات . واللون  
الاخضر ، لالقات الوصل (١) .

## تحسينات متأخرة :

قال جلال الدين : كان الشكل في الصدر الاول نقطاً ، فالفتح نقطة على اول  
الحرف ، والضمة على آخره والكسرة تحت اوله . وعليه مشى الداني . والذي  
اشتهر الان : الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف ، وهو الذي اخرج الخليل  
ابن احمد الفراهيدي (٢) فالفتح شكله مستطيلة فوق الحرف ، والكسر كذلك تحته ،  
والضم واوصغيرة فوقه ، والتنوين زيادة مثلها... قال: واول من وضع الهمز والتشديد  
والروم والاشمام الخليل ايضاً (٣) .

وهكذا كلما امتد الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بالقرآن وتيسير رسمه من  
طور الى طور ، حتى اذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري ، بلغ الرسم ذروته في  
الجودة والحسن ، واصبح الناس يتنافسون في اختيار الخطوط الجميلة وابتكار  
العلامات المميزة ، حتى جعلوا لسكون الحرف رأس خاء ، ومعناها : ان الحرف  
المسكن اخف من الحرف المتحرك . او برأس ميم ، ومعناه : ان الحرف مسكن فلا  
تحركه . وعلامة التشديد ثلاث سنابات ، ومعناها : شد الحرف شديداً . ووضعوا  
لالقات الوصل رأس صاد ، ومعناه : صل هذا الحرف ... وهكذا لظفت صناعة رسم

---

١- الخط العربي الاسلامي : تركي عطية ص ٢٧ . نقلا عن عثمان بن سعيد السداني

في كتابه «المقنع» . وتاريخ القرآن لابي عبدالله الزنجاني ص ٤٨

٢- هو اول من صنف النقط ورسمه في كتاب وذكره عله (المحكم : ٩)

٣- الاتقان ج ٢ ص ١٧١ وكتاب النقط لابي عمرو الداني ص ١٣٣

الخط لطفاً ،ورقت حاشيته تهذيباً حسناً وظرفاً (١) .

واما وضع الاعشار والاحماس وغيرهما من علائم التحزيب والتجزئة ، فقيل :  
ان المؤمن العباسى هو الذى امر بذلك .

وقيل ان الحجاج فعل ذلك ، قال احمد بن الحسين : بعث الحجاج الى قراء  
البصرة فجمعهم واختار منهم جماعة . وقال :عدوا حروف القرآن ، فجعلوا يبعدها  
اربعة اشهر ، واذاهى : ٧٧٤٣٩ كلمة . و ٣٢٣٠١٥ حرفاً . وفى رواية : ٣٤٠٧٤٠  
حرفاً . وينتصف القرآن على الفاء من قوله : «وليتلطف» سورة الكهف : ١٩ . وعدد  
آياته - فى قول على عليه السلام : ٦٢١٨ آية .

وقد اشتهر تحزيب القرآن وتجزئته الى ثلاثين جزءاً تسهيلاً لقراءته فى المدارس  
وغيرها .

واطول سورة فى القرآن هى البقرة ، واقصرها الكوثر .

واطول آية فى القرآن آية الدين (٢) تحتوى على ١٢٨ كلمة وهى ٥٤٠ حرفاً .  
واقصر آية «والضحى» ثم «والفجر» . حروفها : ٥ لفظاً و ٦ رسماً .

واطول كلمة فى القرآن : «فاسقينا كموه» (٣) احد عشر حرفاً لفظاً و رسماً (٤) .  
واخرج احمد فى مسنده عن اوس بن حذيفة ، قال : كنت فى الوفد الذين اتوا  
رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا اسلموا من ثقيف من بنى مالك . فأنزلنا فى قبة له ، فكان يختلف الينا  
بين بيوته وبين المسجد ، فاذا صلى العشاء الاخيرة انصرف الينا يحدثنا مالقى من قومه  
بمكة وبعد المهاجرة الى المدينة . فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد  
العشاء ، قال : قلنا : ما امكثك عنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : طرأ عنى حزب من القرآن ،

١- المصباح ، لسلامة بن عياص (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٥٢)

٢- سورة البقرة : ٢٨٢

٣- سورة الحجر : ٢٢

٤- راجع : البرهان للزركشى ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٢



فأردت ان لا اخرج حتى افضيه ، فسألنا اصحاب رسول الله ﷺ حين اصبحتنا : كيف  
تحزبون القرآن ؟ قالوا : نحزبه ست سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور  
واحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة . وحزب المفصل من سورة ق حتى تختم ( ١ ) .  
والظاهر ان الجملة الاخيرة هي من كلام اوس نفسه ، تفريعاً على ما ذكره  
اصحاب رسول الله ﷺ لان القرآن لم يؤلف حينذاك مصحفاً بين دفتين . وانما  
كانت السور مكتملة ، فكانوا يقسمون السور الى اعداد متساوية لتسهيل قراءتها  
حسب تقسيم الايام والاقوات .

---

١ - مستدرك احمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٤٣

### ٣- اخطاء الاملائية :

لاشك ان الخط وضع ليعبر عن المعنى بنفس اللفظ الذى ينطق به فالكتابة فى الحقيقة قيد للفظ المعبر عن المعنى المقصود . وعليه فيجب ان تكون الكتابة مطابقة للفظ المنطوق به تماماً ، ليكون الخط مقياساً للفظ من غير زيادة عليه او نقصان . غير ان اساليب الانشاء والكتابة تختلف عن هذه القاعدة بكثير . ولكن لا بأس بذلك مادام الاصطلاح العام جارياً عليه ، فلا يسبب اشتهاهاً او التباساً فى المراد . هذا .. ورسم الخط فى المصحف الشريف تخلف حتى عن المصطلح العام ففيه الكثير من الاخطاء الاملائية وتناقضات فى رسم الكلمات ، بحيث اذا لم يكن سماع وتواتر فى قراءة القرآن ، ولا يزال المسلمون يتوارثونها جيلاً بعد جيل ، فى دقة وعناية بالغة ، لولا ذلك لاصبح قراءة كثير من كلمات القرآن ، قسراً صحيحة ، مستحيلة .

ويرجع السبب - كما تقدم - الى عدم اضطلاع العرب بفنون الخط واساليب الكتابة ذلك العهد . بل ولم يكونوا يعرفون الكتابة غير عدد قليل ، خطأً بدائياً رديئاً للغاية . كما يبدو على خطوط باقية من الصدر الاول (١) .

١- راجع : ابن خلدون ، المقدمة ص ٤١٩ - ٤٣٨

كما ويبدو ان الذين انتدبهم عثمان لكتابة المصحف كانوا غاية في رداثة  
الخط وجهدا باساليب الكتابة ، حتى ولو كانت بدائية آنذاك .

يحدثنا ابن ابي داود - كما سبق : انهم بعدما اكملوا نسخ المصاحف ، رفعوا  
الى عثمان مصحفاً فنظر فيه فقال : قد احسنتم واجملتم ، ارى فيه شيئاً من لحن  
ستقيمه العرب بالسنتها . ثم قال : اما لو كان المملى من هذيل والكاتب من ثقيف لم  
يوجد فيه هذا (١) .

يبدو من هذه الرواية ان عثمان كان يعلم من هذيل معرفتها باسلوب الانشاء  
ذلك الوقت ، ومن ثقيف حسن كتابتها وجودة خطها . الامر الذي فقده في المصحف  
الذي رفع اليه . ومن ثم يؤخذ عليه انتدابه الاول الذي تم من غير فحص ولا عناية !

وروى الثعلبي في تفسيره - عند قوله تعالى : « ان هذان لساحران » - ان عثمان  
قال : ان في المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسنتها . فقيل له : الاتغيره ؟ - اى ألا  
تصححه ؟ - فقال (عن تكاسل او تساهل) : دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالاً (٢) .

هذا .. ولا بن روزبهان - هنا - محاولة فاشلة . قال : واما عدم تصحيح لفظ  
القرآن ، لانه كان يجب عليه (على عثمان) متابعة صورة الخط ، وهكذا كان مكتوباً  
في المصاحف ، ولم يكن له التغيير جائزاً ، فتركه لانه لغة بعض العرب ! (٣) .

ماندرى ماذا يعنى بقوله : كان مكتوباً في المصاحف ، اى مصاحف ؟ وكيف  
يجمع بين قوله هذا وقوله اخيراً : لانه لغة بعض العرب !؟

وعلى اى تقدير فان تساهل المسؤولين ، ذلك العهد ، اعقب على الامة - مع  
الابد - مكابدة اخطاء ومناقضات جاءت في المصحف الشريف ، من غير ان تجرأ العرب  
او غيرهم على اقامتها عبر العصور .

---

١ - المصاحف، ص ٣٢ - ٣٣

٢ - دلائل الصدق : المظفر ج ٣ ص ١٩٦

٣ - المصدر ص ١٩٧



نعم لم يمسا القرآن بيد اصلاح بعد ذلك قط لحكمة ،هى خشية ان يقع القرآن عرضة تحريف اهل الباطل بعدئذ بحجة اصلاح خطائه او اقامة أوده ،فيصبح كتاب الله معرضاً خصباً لتلاعب ايدى المغرضين من اهل الاهواء .  
وقد قال على عليه السلام كلمته الخالدة : ان القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول ( ١ )  
فاصبحت مرسوماً قانونياً التزم به المسلمون مع الابد .

\* \* \*

(ملحوظة) : ليس وجود اخطاء املائية فى المصحف الشريف بالذى يمس كرامة القرآن :

اولا : القرآن - فى واقعه - هو الذى يقرأ ، لا الذى يكتب . فلتكن الكتابة باى اسلوب ، فانها لاتنصر شيئاً مادامت القراءة باقية على سلامتها الاولى التى كانت تقرأ على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الاكرمين .

ولاشك ان المسلمين احتفظوا على نص القرآن بلفظه المقروء صحيحاً ،منذ الصدر الاول فالى الان ، وسببى مع الخلود فى تواتر قطعى .

ثانياً : تخطئة الكتابة هى استنكارعلى الكتبة الاوائل : جهلهم او تساهلهم ، وليست قدحاً فى نفس الكتاب ، الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد (٢) .

ثالثاً : ان وجود اخطاء ظلت باقية لم تتبدل ، يفيد المسلمين فى ناحية احتجاجهم بها على سلامة كتابهم من التحريف عبر القرون . اذ ان اخطاء املائية لاشأن لها ، وكان جديراً ان تمت اليها يد الاصلاح ، ومع ذلك بقيت سليمة عن التغيير ، تكريماً بمقام السلف فيما كتبوه ، فاجدر بنص الكتاب العزيز ان يبقى بعيداً عن احتمال التحريف والتبديل رأساً . وقلنا - آنفاً - : ان الحكمة فى الابقاء على تلكم الاخطاء كانت هى

١- تفسير الطبرى ج ١٧ ص ٩٣

٢- سورة فصلت : ٤٢

الحذر على نفس الكتاب : ان لاتمسه يدسوه بحجة الاصلاح ، ومن ثم اصبحت  
سداً منيعاً دون اطماع المغرضين ، وبذلك بقى كتاب الله يشق طريقه الى الابدية  
بسلام .

\* \* \*

(ملحوظة اخرى) : بايدنا آثار- رويت باسانيد ، حكم ارباب النقد والتمحيص  
بصحتها - تنسب الى كثير من الصحابة والتابعين اعتقادهم بخطاء رسم المصحف  
العثماني ، وعدم ثقتهم بالكتابة الاولى ، فيما كانوا يتشككون في ثبت آية او كلمة  
هل كانت - كما نزلت على رسول الله ﷺ ؟ وهذا يبدو غريباً للغاية . ا

نعم ان دلت فانما تدل على ان الثقة بالرسم القائم من قبل الكتاب الذين انتدبهم  
عثمان ، كانت قد زالت عند الصحابة والتابعين ، اذ وجدوهم غير اكفاء لهكذا  
مشروع جليل . وقد أخذوا من لحن المرسوم دليلاً على قصورهم في الامر ، ومن ثم  
لم يثقوا بالرسم الموجود .

هذا غاية ماتدل عليه تلکم الآثار ، اما المحتوى فلانكاد نصدقه على اى تقدير .  
وفيما يلي نماذج من ذلك :

١- روى ابن ابي داود وابوعبيد بسندهما الى عروة بن الزبير ، قال : سألت  
عائشة عن لحن القرآن في ثلاث آيات : «ان هذان لساحران» ( ١ ) . و«ان الذين  
آمنوا والذين هادوا والصابثون» ( ٢ ) . و«لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون  
يؤمنون بما نزل اليك وما نزل من قبلك والمقيميين الصلاة والمؤتون الزكاة» ( ٣ ) ؟!

١- سورة طه : ٦٣ . والقاعدة تقتضى نصب اسم ان . وعن ابي عمرو : انى لاستحى

ان اقرأ «ان هذان لساحران» .! التفسير الكبير للامام الرازى ج ٢٢ ص ٧٢

٢- سورة المائدة ٦٩ : ومقتضى القاعدة هو النصب لانه عطف على اسم ان

٣- سورة النساء : ١٦٢ . ويجب الرفع ، لانه عطف على مرفوع

فقلت : يا ابن اختي ، هذا عمل الكتاب ، اخطأوا في الكتابة (١)

قال جلال الدين السيوطي : هذا اسناد صحيح على شرط الشيخين (٢) .

٢- روى احمد بن حنبل بسنده الى ابي خلف مولى بني جمح : انه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة في سقيفة زمزم ، ليس في المسجد ظل غيرها ، فرحبت بعبيد ابن عمير ، وقالت : ماجاء بك ؟ قال : جئت ان اسألك عن آية في كتاب الله ، كيف كان رسول الله ﷺ يقرأها ؟ فقلت : آية آية ؟ فقال : «الذين يؤتونا ما أتوا - او - يأتون ما أتوا (٣)» ؟

فقلت : أيتها أحب اليك ؟ قال : والذي نفسى بيده لاحداهما احب الي من الدنيا جميعاً ! . قالت : ايتها ؟ قال : «يأتون ما أتوا» !  
قالت : اشهدان رسول الله ﷺ كذلك كان يقرأها ، وكذلك انزلت ، ولكن الهجاء حرف (٤) .

\* \* \*

٣- روى ابو جعفر الطبري . والحاكم النيسابوري - وصححه (٥) - عن ابن عباس ، قال في قوله تعالى «لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا

---

١- المصاحف ص ٣٤ . فضائل القرآن لابي عبيد القاسم بن سلام . والانتصار للباقلاني

ص ١٨٤ . وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥ - ٢٦

٢- الاتقان ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٤

٣- سورة المؤمنون : ٦٠ . اي ممدوداً مزيداً فيه او مقصوداً مجرداً ؟

٤- مسند احمد بن حنبل ج ٦ ص ٩٥ . والثابت في المصحف هو المد ، ماضياً مزيداً فيه . والمعنى يختلف على القراءتين : فعلى المد : يعطون الشيء وهم يخشون ان لا يقبل منهم عند الله . وعلى القصر : يعملون العمل وهم يخافون الله . راجع : مجمع البيان ج ٧ ص ١١٠ .

٥- الاتقان ج ١ ص ١٨٥



على اهلها (١) : هي من خطاء الكاتب . وانما هي : حتى تستأذنوا وتسلموا... (٢)  
٤- واخرج ابو عبيد عن ابن عباس ، قال : انزل الله هذا الحرف على  
لسان نبيكم «ووصى ربك ان لاتعبدوا الاياه (٣)» فالتصقت احدى الواوین بالصاد،  
فقرأ الناس «وقضى ربك» - ولم يكن المصحف منقوفاً آنذاك - قال : ولونزلت  
على القضاء ما اشرك به احد (٤) .

وفي لفظ ابن اشته : استمد الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد (٥) .  
٥- واخرج ابن المنذر وسعيد بن منصور عن ابن عباس : انه كان يقرأ : «ولقد  
آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء - والقراءة المشهورة : وضياء (٦) - ثم قال :  
خذوا - او انزعوا - هذه الواو من هنا ، واجعلوها هاهنا : فى اول قوله تعالى « - و -  
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم (٧) » لانه زعمها عطفاً على الموصول  
قبلها . ا (٨) . قال ابن حجر : هو اسناد جيد (٩) .

٦- اخرج ابو جعفر الطبرى وابن الانبارى عن ابن عباس ، كان يقرأ : « أفلم  
يتبين الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » . فقليل له : انها فى المصحف

---

١- سورة النور : ٢٧

٢- جامع البيان للطبرى ج ١٨ ص ٨٧

٣- سورة الاسراء : ٣١

٤- الدر المنثور ج ٤ ص ١٧٠

٥- الاتقان ج ١ ص ١٨٥

٦- سورة الانبياء : ٤٨

٧- سورة آل عمران : ١٧٣ . والاية غير مصددة بالواو فى القراءة المشهورة .

٨- الاتقان ج ١ ص ١٨٥ . والدر المنثور ج ٤ ص ٣٢٠

٩- فتح البارى ج ٨ ص ٢٨٣

«أفلم يبأس (١)» ا فقال : اظن الكاتب كتبها وهو ناعس .  
وفي لفظ الطبري : كتب الكاتب ، الاخرى - اى القراءة المشهورة - وهو ناعس .

قال ذلك بصورة جزم (٢)

قال ابن حجر : هذا حديث رواه الطبري وعبد بن حميد باسناد صحيح ، كلهم  
من رجال البخارى عن ابن عباس (٣) .

وقد بالغ الزمخشري فى الانكار على صحة الاثر (٤) . فقال ابن حجر فى رده :  
هذا انكار من لاعلم به بالرجال . . وتكذيب المنقول بعد صحته ليس من دأب اهل  
التحصيل ، فلينظر فى تأويله بما يليق به .

\* \* \*

٧- وعن الضحاك انه قال : كيف تقرأ هذا الحرف .. ؟ قال : «وقضى ربك» . ؟  
قال : ليس كذلك نقرأها نحن ولا ابن عباس ، انما هى : ووصى ربك ، وكذلك  
كانت تقرأ وتكتب . فاستمد كاتبكم فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد  
ثم قرأ : « ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ( ٥ ) » .  
ولو كانت قضى من الرب لم يستطع احد رد قضائه . ولكنه وصية اوصى بها  
العباد (٦) .

\* \* \*

٨- اخرج ابن ابى داود عن سعيد بن جبير ، قال : فى القرآن اربعة احرف

---

١- سورة الرعد : ٣١

٢- جامع البيان ج ١٣ ص ١٠٤ . الاتقان ج ١ ص ١٨٥ .

٣- فتح البارى بشرح البخارى ج ٨ ص ٢٨٢ .

٤- الكشف ج ٢ ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

٥- سورة النساء : ١٣١ .

٦- الاتقان ج ١ ص ١٨٥ .

لحن : «الصائبون ( ١ )» . «والمقيمين ( ٢ )» . «فاصدق واكن من الصالحين(٣)» .  
« ان هذان لساحران (٤) » (٥) .

٩- اخرج ابن ابي داود - ايضاً - عن ابي خالد ، قال : قلت لابان بن عثمان :  
كيف صارت « والمقيمين الصلاة » . وما بين يديها وما خلفها رفع ؟ قال : من قبل  
الكاتب . كتب ما قبلها . ثم سأل المملى ما اكتب ؟ قال : اكتب المقيمين الصلاة .  
فكتب ما قيل له (٦) .

١٠ - اخرج الطبرى عن قيس بن سعد ، قال : قرأ رجل عند على عَلِيٍّ « وطلع  
منضود ( ٧ ) » . فقال - عليه السلام - : ما شأن الطلح ، انما هو « وطلع منضود » .  
ثم قرأ « طلعتها هضيم (٨) » . فقلنا : اولا نحولها ؟ فقال : ان القرآن لا يهاج اليوم  
ولا يحول (٩) .

\* \* \*

تلك نماذج عشرة عرضناها ، اردنا بذلك لازم مدلولاتها : عدم ثقة السلف  
بالكتابة الاولى ، فلم يطمانوا الى ما اثبتوه ان تكون هي القراءة الصحيحة الثابتة .  
فلو كانوا عرفوا فيهم الكفاءة و الاتقان لما ترددوا في صحة ما اثبتوه . . . هذا غاية

---

١- سورة المائدة : ٦٩ . والقاعدة : النصب .

٢- سورة النساء : ١٦٢ . والقاعدة : الرفع .

٣- سورة المنافقون : ١١ . والقاعدة : نصب « واكون » .

٤- سورة طه : ٦٣ . والقياس : النصب .

٥- مصاحف ابن ابي داود ص ٣٣ - ٣٤ .

٦- نفس المصدر .

٧- سورة الواقعة : ٢٩

٨- سورة الشعراء : ١٤٨

٩- جامع البيان ج ٢٧ ص ١٠٤



ما تدلنا عليه تلكم الاثار، اما نفس المحتوى وصحة ما تضمنته من تبديل نص المصحف الشريف، فهذا شيء لانكاد نصدقه البتة . لانه هو التحريف الذى اجمعت الامة الاسلامية على عدم تسربه الى كتاب الله العزيز الحميد : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (١) . فلا بد من الاخذ فى تأويلها الى وجه معقول اورفضها رأساً .

واجاب ابن اشته عن هذه الاثار بان القرآن نزل على سبعة احرف ، وهى القراءات السبع ، كلها مأثورة عن رسول الله ﷺ - فيما زعموا - فالوارد فى هذه الروايات يكون المقصود : ان الكتبة الاوائل اخطأوا فى القراءة التى وقع اختيارهم عليها ، فكان ينبغى ان يختاروا للثبوت فى المصحف تلك القراءة التى رجحها اصحاب هذه الروايات كعائشة وابن عباس والضحاك وسعيد بن جبيرة وابان بن عثمان وعلى رضي الله عنهم . و جنح ابن الانبارى الى تضعيف اسناد الروايات . فوقف جلال الدين السيوطى فى وجهه : انها روايات صحيحة الاسناد ، بشهادة ائمة الفن ، كابن حجر و الحاكم وغيرهما ، فالجواب الاول اولى (٢) .

هذا . . . واما الاخطاء الاملائية الموجودة فى الرسم العثمانى ، فشىء لا يمكن انكاره ، الامر الذى يدل دلالة قطعية على ضعف مقدرة السلف فى ناحية الاملاء واصول الكتابة الصحيحة ، ومن ثم ذلك اللحن والتناقض فى رسم الكلمات . وفيما يلى نماذج من اللحن الواقع فى الرسم العثمانى :

### نماذج من اخطاء الرسم :

وربما نرسم جدولاً يستوعب الاخطاء الواقعة فى الرسم العثمانى مستقصاة ، ونشيرها - الان - الى اهم اخطاء وقعت فيه كنماذج بارزة :

١ - « و اختلف الليل و النهار » البقرة : ١٦٤ . و الصحيح : و اختلف

١- سورة الحجر : ٩

٢- الاتقان ج ١ ص ١٨٥ بتوضيح منا .

الليل ...

- ٢- « علم الغيوب » المائدة : ١٠٩ . والصحيح : علام ...
  - ٣- « يأتهم أنبؤا » الانعام : ٥ . والصحيح : انباء ...
  - ٤- « وينؤن عنه » الانعام : ٢٦ . والصحيح : ينأون عنه .
  - ٥- « بالعداوة » الانعام : ٥٢ . والصحيح : بالعدااة . و الواو زائدة في الرسم بلاسبب معروف .
  - ٦- « فيهم شركؤا » الانعام : ٩٤ . والصحيح : شركاء .
  - ٧- « مانشؤا » هود : ٨٧ . والصحيح : مانشاء .
  - ٨- « انه لا يائس » يوسف : ٨٧ . والصحيح : لا يياس
  - ٩- « ألم يأتكم نبؤا » ابراهيم : ٩ . والصحيح : نبأ ...
  - ١٠- « فقال الضعفؤا » ابراهيم : ٢١ . والصحيح : الضعفاء .
  - ١١- « ولا تقولن لشيء » الكهف : ٢٣ . والصحيح : لشيء .
  - ١٢- « ولو شئت لتخذت » الكهف : ٧٧ . والصحيح : لتخذت .
  - ١٣- « قال بينؤم » طه : ٩٤ . والصحيح : يا ابن ام .
  - ١٤- « اولا اذبحنه » النمل : ٢١ . و الصحيح : لاذبحنه . و قد زيدت الف في الرسم بلاسبب معقول .
  - ١٥- « يا ايها الملؤا » النمل : ٢٩ . والصحيح الملاء .
  - ١٦- « شفؤا » الروم : ١٣ . والصحيح : شفعاء :
  - ١٧ « لهوالبؤا المبين » الصافات : ١٠٦ . والصحيح : البلاء .
  - ١٨- « واصحاب لثيكة » ص : ١٣ : والصحيح : الايكة .
  - ١٩- « وجاء بالنبيين » الزمر : ٦٩ . والصحيح : وجىء .
  - ٢٠- « وما دعؤا الكافرين » غافر : ٥٠ . والصحيح : وما دعاء ..
- تلك نماذج عشرون كان اللحن فيها عجيبياً جداً ، و لا سيما اذا علمنا ان

المصاحف آنذاك كانت مجردة عن كل علامة تشير الى اعجام الحرف او الى حركة الكلمة او هاجاها الصحيح . مثلا : من اين يعرف قارئ المصحف أن «لتخذت» مشددة التاء ، و اى فرق بينها وبين «لتخذت» مخففة بلام تأكيد؟ او كيف يعرف ان الف «لااذبحنه» زائدة لاتقرأ؟! او ان احدى اليائين زائدة فى قوله : «والسماء بينناها بأبيد» - الذاريات : ٣٧؟ وكذلك لايدرى فى «نشؤا» - بلاعلامه - ان الواو زائدة، والالف ممدودة ، والهمزة تلفظ بعد الالف . اذليس فى اللفظ مايشير الى ذلك بتاتا وهكذا ..!

## مناقضات الرسم العثمانى :

والشئ الاغرب وجود مناقضات فى رسم المصحف، بينما الكلمة مثبتة فى موضع برسم خاص ، واذاهى بذاتها مرسومة فى موضع آخر بما يخالفها ، الامر الذى يثير العجب ، ويبعث على الاعتقاد بان الكتابة الاوائل كانوا ابعد شئ عن معرفة اصول الكتابة او الاتقان من وحدة الرسم على الاقل .!

واليك نموذجاً من ذلك التناقض الغريب :

( الكلمة برسمها الملحون )	( الكلمة برسمها الصحيح )
١- ولوشئت لتخذت . الكهف : ٧٧	اذأ لاتخذوك . الاسراء : ٧٣
٢- اصحاب لثيكة . الشعراء : ١٧٦ وص : ١٣	اصحاب الايكة . الحجر : ٧٨ وق : ١٤
٣- فقال الضعفؤا . ابراهيم : ٢١	ليس على الضعفاء . التوبة : ٩١
٤- فلايستخرون ساعة . يونس : ٣٩	لايستأخرون ساعة . الاعراف : ٣٣
٥- ومادعؤا الكافرين . غافر : ٥٠	ومادعاء الكافرين . الرعد : ١٤
٦- ليس بظلم للعبيد . الحج : ١٠	ليس بظلام للعبيد . آل عمران : ١٨٢
٧- ضربوا لك الامثل . الفرقان : ٩	ضربوا لك الامثال . الاسراء : ٣٨



(الكلمة برسمها الملحون)

- ٨- ويمح الله الباطل . الشورى : ٢٤
- ٩- فاحيكم ثم يميتكم . البقرة : ٢٨
- ١٠- اى لفهم رحله : الفيل : ٢
- ١١- قال يبنؤم . طه : ٩٤
- ١٢- فى اموالنا مانشوئا . هود : ٨٧
- ١٣- وان تعدوا نعمت الله . ابراهيم : ٣٤
- ١٤- فلن تجد لسنة الله . فاطر : ٤٣
- ١٥- على بينت منه . فاطر : ٤٠
- ١٦- لذا الباب . يوسف : ٢٥
- ١٧- طغا الماء . الحاقة : ١١
- ١٨- ولاتقولن لىأىء . الكهف : ٢٣
- ١٩- فقال الملؤا . المؤمنون : ٢٤
- ٢٠- أيه الثقلان . الرحمان : ٣١

(الكلمة برسمها الصحيح)

- ١) . الرعد : ٣٩
- احياكم ثم يميتكم . الحج : ٤٤
- لايلف قريش (٢) . الفيل : ١
- قال ابن ام . الاعراف : ١٥٠
- فى الارحام مانشاء . الحج : ٥
- وان تعدوا نعمة الله . النحل : ١٨
- ولن تجد لسنة الله . الفتح : ٢٣
- على بينة من ربه . محمد : ١٤
- لدى الحناجر . غافر : ١٨
- من طغى . النازعات : ١٧
- وكان الله على كل شىء . الكهف : ٤٥
- وقال الملاء . المؤمنون : ٣٣
- ايها المجرمون . يس : ٥٩

تلك - ايضاً - امثلة عشرون اخترناها من التناقض الموجود فى الرسم العثمانى .  
وربما تزداد غرابتك - ايها القارىء - اذا ملاحظت التناقض فى املاء سورة واحدة ،  
كالمثال رقم : ١٨ سورة الكهف . ورقم : ١٩ سورة المؤمنون ، كما رسموا «بسطة»  
فى البقرة : ٢٤٧ بالسين ، وفى الاعراف : ٦٩ بالصاد . وكذلك «بسط» فى الرعد : ٢٤  
بالسين ، وفى البقرة : ٢٤٥ بالصاد . وهذا ايضاً من التناقض فى سورة واحدة . الى  
غير ذلك وهو كثير .

١- وان كان ثبت الالف بعد الواو ايضاً خطأ ، لانه مفرد .

٢- وان كان حذف الالف ايضاً لحنا .

## غلو فاحش :

قد يغلو بعض المتمزتين بالرسم القديم ، فيزعمونه توقيفياً كان بأمر النبي ﷺ الخاص ، ولم يكن للكتابة الاوائل دخل في رسمه بالهيئة الموجودة . وان وراء هذه المخالفات الاملائية سرأ خفياً وحكمة بالغة لا يعلمها الا الله :

نقل ابن المبارك عن شيخه عبدالعزيز الدباغ ، انه قال : «رسم القرآن سر من اسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة . وهو صادر من النبي ﷺ وهو الذي امر الكتاب ان يكتبوه على هذه الهيئة ، فما نقصوا ولا زادوا على ماسمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم .»

ثم قال : «ماللصحابة وللغيرهم في رسم المصحف ، ولاشعرة واحدة ، وانما هو توقيف من النبي ﷺ وهو الذي امرهم ان يكتبوه على الهيئة المدونة بزيادة الالف ونقصانها . لانها اسرار لا تهتدى اليها العقول ، وهو سر من اسرار الله ، خص الله به كتابه العزيز ، دون سائر الكتب السماوية .

وكما ان نظم القرآن معجز ، فرسمه ايضاً معجز .

وكيف تهتدى العقول الى سر زيادة الالف في «مائة» دون «فئة» . والى سر زيادة الياء في «باييد» و«باييكم» !

ام كيف تتوصل الى سر زيادة الالف في «سعوا» في سورة الحج ، ونقصانها من «سعو» في سورة سبأ !

والى سر زيادتها في «عتوا» حيث كان . ونقصانها من «عتو» في سورة الفرقان ! والى سر زيادتها في «آمنوا» واسقاطها من «باؤ . جاؤ . تبوؤ . فاؤ» بالبقرة !

ثم يقول : وكيف تتوصل الى حذف بعض التاءات وربطها في بعض ! فكل ذلك لاسرار الهية واغراض نبوية . وانما خفيت على الناس لانها اسرار باطنية لا تدرك الا بالفتح الرباني . فهي بمنزلة الالفاظ والحروف المقطعة التي في اوائل السور ، فان

لها اسرار أعظيمة ومعاني كثيرة وأكثر الناس لا يهتمون الى اسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعاني الالهية التي اشير اليها . فكذلك امر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف» (١) .

\* \* \*

هذا وقد كشف بعضهم عن هذا السر الخفي ، وابدى تمحلات غريبة ، فزعم ان زيادة الالف في «لا اذبحنه» انما كانت للدلالة على ان الذبح لم يقع . وان زيادة الياء في « والسماء بنيانها بأيد » للايماء الى تعظيم قوة الله التي بنى بها السما ، وانها لاتشبهها قوة ، على حد القاعدة المشهورة : زيادة المبانى تدل على زيادة المعاني (٢) .

وقد اوضح في ذلك واسهب ابو العباس المراكشي الشهير بابن البناء (توفي سنة : ٧٢١ هـ) في كتابه «عنوان الدليل في مرسوم التنزيل» ، وبين ان هذه الاحرف انما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف واحوال معاني كلماته ، من حكم خفية واسرار بهية ، منها : التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ، ومراتب الوجود والمقامات . والخط انما يرسم على الامر الحقيقي لا الوهمي ... ونذكر فيما يلي مقتطفات من كلامه تدل على مبلغ غلوه بشأن الرسم وتكلفه في الاختلاق الباهت :

- ١- زيدت الالف في «لا اذبحنه» تنبيها على ان الذبح اشد من العذاب الذي ذكر في صدر الاية : «لاعذبنه عذاباً شديداً اولا اذبحنه» النمل : ٢١ .
- ٢- زيدت الالف في «يرجوا» و «يدعوا» للدلالة على ان الفعل اثقل من الاسم ، لتحمله ضمير الفاعل . ومن ثم لما استخفوا بالفعل حذفوا منه الالف وان كان جمعاً ، كقوله : «سعو في آياتنا معاجزين» سبأ : ٥ . فانه سعى باطل لا يصح له ثبوت في الوجود .

---

١- مناهل العرفان ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٦ نقلا عن ابن المبارك في كتابه «الابريز» .

٢- مقدمة ابن خلدون ص ٤١٩ . ومناهل العرفان ج ١ ص ٣٦٧



٣- زيدت الالف بعد الهمزة من قوله : « كما مثل اللؤلؤا » الواقعة : ٢٣ . تنبيهاً على معنى البياض والصفاء بالنسبة الى ما ليس بمكنون ، ومن ثم لم تزد بعد قوله : « كانهم لؤلؤ ، الطور : ٢٤ . للاجمال وخفاء التفصيل .

٤- زيدت الالف في « و جاء يومئذ بجهنم » الفجر : ٢٣ . دليلاً على ان هذا المعنى هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المعنى .

٥- زيدت الالف في « مائة » دون « فئة » ، لانه اسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتين : آحاد وعشرات .

٦- زيدت الواو في « سأوريكم آياتي » الانبياء : ٣٧ . للدلالة على الوجود في اعظم رتبة العيان .

٧- زيدت الياء في « بأيدي » الذاريات : ٤٧ : فرقاً بينها وبين « الايدي » الذي هو جمع اليد . وان القوة التي بنى الله بها السماء هي احق بالثبوت في الوجود من الايدي . فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى اظهر في دراك الملكوتي في الوجود .

٨- سقطت الواو من « سندر الزبانية » العلق : ٨ . لان فيه سرعة الفعل واجابة الزبانية وقوة البطش .

٩- سقطت الواو من « ويدع الانسان بالشر » الاسراء : ٥ . للدلالة على انه سهل عليه ويسارع فيه كما يعمل في الخير .

١٠ - كتبت « بسطة » في البقرة : ٢٤٧ بالسين . وفي الاعراف : ٦٩ بالصاد ، لانها بالسين : السعة الجزئية وبالصاد : السعة الكلية (١) .

\* \* \*

قال الدكتور صبحي صالح : لا ريب ان هذا غلو في تقديس الرسم العثماني ، وتكلف في الفهم مابعده تكلف . فليس من المنطق في شيء ان يكون امر الرسم توقيفياً ، ولان يكون له من الاسرار ما لفواتح السور ، ولا مجال لمقارنة هذا بالحروف المقطعة

١- راجع : البرهان لبدر الدين الزركشي ج ١ ص ٣٨٠ - ٣٣١

التي تواترت قرآنتها في أوائل السور ، وانما اصطلاح الكتبة على هذا اصطلاحاً في زمن عثمان ، ووافقهم الخليفة على هذا الاصطلاح (١) .

وقال العلامة ابن خلدون : ولاتلفتن في ذلك الى ما يزعمه بعض المغفلين ، من ان الصحابة كانوا محكمين لصناعة الخط ، وان ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتخيل ، بل لكلها وجه .

يقولون في مثل زيادة الالف في لا اذبحنه : انه تنبيه على ان الذبح لم يقع ، وفي زيادة الياء في بأييد : انه تنبيه على كمال القدرة الربانية . وامثال ذلك مما لا اصل له الا التحكم المحض (٢) .

قال ابن الخطيب : لما كان اهل العصر الاول قاصرين في فن الكتابة ، عاجزين في الاملاء ، لاميتهم وبداتهم ، وبعدهم عن العلوم والفنون ، كانت كتابتهم للمصحف الشريف سقيمة الوضع ، غير محكمة الصنع ، فجاءت الكتبة الاولى مزيجاً من اخطاء فاحشة ومناقضات متباينة في الهجاء والرسم (٣) .

\* \* \*

هذا .. وقد اغرب محمد طاهر الكردي - وهو يستطلع القرن الخامس عشر الهجري - فراجع القهقرا ، واخذ في الغلو الفاحش بشأن الرسم العثماني القديم! قال - بعد استعراض جملة من اخطاء الرسم العثماني والتناقض الموجود فيه بصورة غريبة - : «بقي علينا ان نعرف لما ذالم يكتب الكتبة الاولى المصحف على قواعد الكتابة الصحيحة ، ولماذا لم يمشوا في كتابته على وتيرة واحدة؟» «هذا سؤال يجب ان يوجه الى الذين كتبوه بامر عثمان ، وانى يكون ذلك وقد دفنهم التراب؟ ومن هنا يقول العلماء : ان رسم المصحف سر من الاسرار لا يطلع

١ - مباحث في علوم القرآن ص ٢٧٧

٢ - المقدمة باب ٥ فصل ٣٠ ص ٤١٩ راجع : باب ٦ فصل ٥ ص ٤٣٨

٣ - الفرقان لابن الخطيب ص ٥٧

عليه احد ...!»

قال : «ولاتوهمن عليهم السهو او الخطاء او الجهل باصول الكتابة ، ان هذا وهم باطل ... ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً بان الصحابة كانوا يعرفون قواعد الاملاء والكتابة حق المعرفة . ونستدل على قولنا هذا استدلالاً فنياً بثلاثة امور :

الاول : ان العلامة الالوسى قال فى تفسيره روح المعانى : الظاهر ان الصحابة كانوا متقنين رسم الخط ، عازفين بقواعد الكتابة ، غير انهم خالفوا القواعد فى بعض المواضع عن قصد ، لحكمة .. ( !! ولعله يريد تمحلات المراكشى الانفة ) .

قال : فالالوسى - وهو العالم المتبحر وصاحب التفسير الكبير - لا يقول هذا الا بعد النظر والتحقيق ، وان لم يذكر شواهد تؤيد قوله (!!!)

الثانى : انهم كانوا يرسلون الملوك والامراء فلا بد من اتقان كتابتهم .

الثالث : انه قد مر على نشر الكتابة فى الجزيرة الى عهد عثمان اكثر من ربع

قرن ، فهل يعقل ان الصحابة لم يتقنوا الكتابة فى هذه الفترة الطويلة .. ( ١ )

قلت : ويكفينا جواباً عن سفاشفه ما ذكره العلامة ابن خلدون : ولانلفتن الى

ما يزعمه بعض المغفلين ... ( ٢ )

وقد اسهب ابن الخطيب فى الرد على هذه المزعومة الفاضحة ، واتى بالكلام

مستوفى . نقتط منه ما يلى :

قال : قال الجعبرى فى سياق كلامه عن هجاء المصحف : «واعظم فوائده انه

حجاب يمنع اهل الكتاب ان يقرأوه على وجهه» ( ٣ ) .

قال : وبمثل هذا الهراء ينطق احد ائمة القراء . وبمثل هذا الكلام يحتج

١- تاريخ القرآن : محمد طاهر الكردي ص ١٠١ - ١٢٠

٢- تقدم فى صفحة : ٣٣٠

٣- راجع : الزرقانى - مناهل العرفان ج ١ ص ٣٦٦ فانه ايضاً اتى بسفاشف زعمها

فوائد مترتبة على الرسم العثمانى القديم !



القائلون بوجوب الهجاء القديم . مع ان هذا القول واضح البطلان بادی الخسران .  
وفى القرآن آيات كثيرة تخاطب اهل الكتاب وتدعوهم الى الايمان فكيف  
عن تلاوته يحجبون !؟

ثم قال : ومن اشنع ما يتصف به انسان سليم العقل ، صحيح العرفان ما ذكره  
الصباغ : « ان فوائد هذا الرسم كثيرة واسراره شتى ، منها عدم الاهتداء الى تلاوته  
على حقه الابموقف ، شأن كل علم نفيس يتحفظ عليه » .

فقال : باللداهية الدهياء ، لقد صار القرآن مثل علم اليازرجات واللوغارتمات  
والطلسمات والاصطرلابات وضرب الرمل والتنجيم وماشاكل ذلك من العلوم  
يزعمون نفاستها لما تحتويه من اسرار لاتنال الابجهد جهيد وتلق طويل الامد .

هذا .. وقد قال تعالى : ولقد يسرنا القرآن للذكر (١) وانتم تقولون انه ابعدهم  
منه واضلهم عنه ! فما اكبر هذا الزعم ! وما اعظم هذه القرية !

قال : ولو تساء لنا : هل وضع رسم المصحف ليقرأ او ليكون رمزاً ويظل طلسماً ،  
يتناقله القراء وحدهم : وبلقنونه لمن يريدون تلقينه ، ممن يتزلف اليهم بماله ونفسه  
ويمنعونه عن يرون منعه ممن لم يرزق جاهاً ولا مالاً !

قال : ولقد رأيت بعينى وسمعت باذنى ، كثيراً من ذوى الثقافات والادب  
يلحنون فى قراءة القرآن ، لعدم انسهم بهذا الرسم الغريب وعدم معرفتهم باساليب  
القراءة على وجهها الماثور (٢) .

## الرأى الحاسم :

مكذا يرجح ابن الخطيب تصحيح رسم المصحف الى ما يعرفه جمهور الناس  
واستقر عليه اصطلاح ارباب الثقافة اليوم .  
وهذا راى جمهور المحققين ، ذهبوا الى جواز تبديل الرسم القديم الى الرسم

١- سورة القمر : ١٧

٢- الفرقان لابن الخطيب ص ٦٣- ٨٦

الحاضر بعدان لم يكن رسم السلف عن توقيف ، و انما هو اصطلاح منهم او كانت الكتابة فى بداية امرها غير متقنة ، اما مع تقدم اساليب الكتابة وفيها من التوضيح ما يجعل امر القراءة سهلا على الجميع ، فلا بد من تغيير ذلك الرسم الى المصطلح الحاضر الذى يعرفه كافة الاوساط و ليكون القرآن فى متناول عامة الناس ، وفى ذلك تحقيق للغرض الذى نزل لاجله هذا الكتاب الخالد ليكون هدى للناس جميعاً مع الابد .

وبهذا الصدد يقول القاضى محمد بن الطيب ابو بكر الباقلانى (توفى سنة ٤٠٣ هـ) فى كتابه «الانتصار» : واما الكتابة فلم يفرض الله على الامة فيها شيئاً ، اذ لم يأخذ على كتاب القرآن و خطاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره اوجه عليهم وترك ما عداه ، اذ وجوب ذلك لا يدرك الا بالسمع والتوقيف . وليس فى نصوص الكتاب ولا مفهومه ، ان رسم القرآن وضبطه لا يجوز الاعلى وجه مخصوص وحد محدود ولا يجوز تجاوزه . ولا فى نص السنة ما يوجب ذلك ويبدل عليه . ولا فى اجماع الامة ما يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية .

بل السنة دلت على جواز رسمه باى وجه سهل ، لان رسول الله - ص - كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً ، ولانهى احداً عن كتابته ، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف . فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ، ومنهم من كان يزيد و ينقص لعلمه بان ذلك اصطلاح وان الناس لا يخفى عليهم الحال . ولاجل هذا بعينه جاز ان يكتب بالحروف الكوفية والخط الاول ، وان يجعل اللام على صورة الكاف ، وان تعوج الالفات ، وان يكتب على غير هذه الوجوه ، و جازان يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين ، و جازان يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة ، و جازان يكتب بين ذلك .

و اذا كانت خطوط المصاحف و كثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة ، وكان الناس قد اجازوا ذلك ، و اجازوا ان يكتب كل واحد منهم بما هو عادته ، وما

هو سهل واشهر و اولى ، من غير تأييد ولا تناكر ، علم انه لم يؤخذ فى ذلك على الناس حد محدود مخصوص ، كما اخذ عليهم فى القراءة والاذان .

والسبب فى ذلك ان الخطوط انما هى علامات ورسوم تجرى مجرى الاشارات والعقود والرموز ، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته و تصويب الكاتب به على اى صورة كانت .

وبالجملة فكل من ادعى انه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه ان يقيم الحجة على دعواه وانى له ذلك ؟ . . انتهى . هذا ما لخصه الشيخ عبدالعظيم الزرقانى من كلام القاضى ابى بكر الباقلانى ، لكنه تابعه بالرد عليه من وجوه ونقول لا يخفى وهنها وضعفها تجاه هذا التحقيق المنيع (١) .

ومن ثم قال الدكتور صبحى صالح تعقيباً على هذا الكلام :- وان رأى القاضى ابى بكر لجدير ان يؤخذه ، وحجته ظاهرة ، ونظره بعيد ، فهو لم يخلط بين عاطفة الاجلال للسلف وبين التماس البرهان على قضية دينية تتعلق برسم كتاب الله . واما الذين ذهبوا الى ان الرسم القرآنى توقيفى ازلى فقد احتكموا فى ذلك الى عواطفهم ، واستسلموا استسلاماً شعرياً صوفياً الى ماذا ويقهم و مواجيدهم ، والاذواق نسبية لادخل لها فى الدين ، ولا يستنبط منها حقيقة شرعية (٢)

١- راجع : مناهل العرفان ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٨

٢- مباحث فى علوم القرآن ص ٢٧٩



## سبعة آلاف لحن !

قد يستغرب الباحث اذا ما عثر على نيف وسبعة آلاف خطأ املائي فى الرسم العثمانى القديم ، ويعدده رقماً كبيراً اذا ما قاسه الى عدد آى القرآن ، وهى نيف وستة آلاف آية .! لكن الحقيقة تشهد بذاتها على صحة هذا الرقم الضخم . واليك عدد ما فى كل سورة من خطأ املائي جاء فى الرسم القديم :

الفاتحة : ٤	يونس : ١٣٦
البقرة : ٤٨٠	هود : ١٣٦
آل عمران : ٣٣٠	يوسف : ١٥٣
النساء : ٢٩٢	الرعد : ٧٢
المائدة : ٢٢٥	ابراهيم : ٦٠
الانعام : ٢٣٨	الحجر : ٧٥
الاعراف : ٣٠٣	النحل : ١٥٩
الانفال : ٦٨	الاسراء : ١٤٢
براءة : ٢١٨	الكهف : ١١٦

الشورى : ٦٧	مريم : ٩٢
الزخرف : ٩٠	طه : ١١٤
الدخان : ٣٧	الانبياء : ١٧٠
الجاثية : ٥٣	الحجج : ١٠٤
الاحقاف : ٥٨	المؤمنون : ١٢٥
محمد : ٥٣	النور : ١٣٦
الفتح : ٣٧	الفرقان : ٧٨
الحجرات : ٣٠	الشعراء : ١١٠
ق : ٢٦	النمل : ١٠٧
الذاريات : ٣٤	القصص : ١٣٩
الطور : ٢٧	العنكبوت : ١٠٨
النجم : ٣٠	الروم : ٨٠
القمر : ٢٥	لقمان : ٤٨
الرحمان : ٣٠	السجدة : ٤١
الواقعة : ٤٥	الاحزاب : ١٤٤
الحديد : ٥٨	سبأ : ٧٣
المجادلة : ٤٥	فاطر : ٥٢
الحشر : ٥٨	يس : ٧٤
المتحنة : ٣٥	الصافات : ١٠٦
الصف : ٢٧	ص : ٧٠
الجمعة : ٢١	الزمر : ١٠٠
المنافقون : ١٨	غافر : ١١٥
التغابن : ١٧	فصلت : ٧٤

الاعلى : ٣	الطلاق : ٢٢
الغاشية : ٦	التحريم : ٣٢
الفجر : ١١	الملك : ٢٠
البلد : ٨	القلم : ٤٢
الشمس : ١٧	الحاقة : ٢١
الليل : ٣	المعارج : ٢٤
الضحى : ٦	نوح : ١٦
الشرح : ...	الجن : ٢٠
التين : ٦	المزمل : ١٢
العلق : ٣	المدثر : ١٦
القدر : ٤	القيامة : ١٢
البينة : ٩	الانسان : ٢١
الزلزلة : ٢	المرسلات : ١٨
العاديات : ٤	النبا : ٢٢
القارعة : ٤	النازعات : ٣٣
التكاثر : ٢	عبس : ٥
العصر : ٣	التكوير : ٦
الهمزة : ١	الانفطار : ٦
الفيل : ١	المطففين : ١١
قريش : ٣	الانشقاق : ٧
الماعون : ١	البروج : ١١
الكوثر : ١	الطارق : ٥



الاخلاص : ...

القلق : ١

الناس : ١

الكافرون : ٣

النصر : ...

المسد : ...

تلك ستة آلاف وسبعمأة وسبعة وسبعون لحنا (٦٧٧٧) جاءت في رسم المصحف العثماني ، موزعة على السور .

وإذا أضفنا الى هذا العدد ، حذف الالف من «بسم» و«الرحمن» في البسمة ، وهي مكررة في القرآن (١١٤) مرة ، فيرتفع الرقم الى (٧١٠٥) .

هذا مع غض النظر عن حذف الالف من لفظ الجلالة ، وهو مكرر في القرآن (٢٥٥٠) مرة . وفي البسمة (١١٤) مرة . فيبلغ عدد اخطاء الرسم القديم الى تسعة آلاف وستمأة وتسع وستين (٩٦٦٩) . وهو عدد كبير جداً . وللعثور على مواضع هذه الاخطاء ، بدقة وتفصيل ، راجع : البرهان للزركشى ج١ ص ٣٨٠-٣٣١ والمصحف الميسر ، تنظيم الاستاذ عبد الجليل عيسى ، شيخ كلية اصول الدين بالجامع الازهر . غير ان هذا الاخير اشبه في مواضع ، منها : ص ٧٧٥ رقم ٥ ، زعم «وأتوا» لحنا فصححه على «واوتوا» . وص ٧٩٤ رقم ١ ، صحح «المودة» على «المودة» !

وقد لخص جلال الدين هذه الاخطاء في قواعد ستة استوفى فيها جميع ما في الرسم العثماني من اخطاء املائية . ذكرها في الاتقان ج ٢ ص ١٦٦-١٧٠ . ونقلها الزرقاني برمتها في مناهل العرفان ج ١ ص ٣٦٢ - ٣٦٦ .

\* \* \*

واليك الان جدولاً تفصيلياً يقارن بين رسم الكلمة في املائها القديم ، ورسمها بالاملاء المعاصر . ماعدا حذف الالفات في مثل «الرحمن» و «العلمين» و «الصرط» وهي كثيرة في المصحف ، جاءت موافقة للخط الكوفي القديم المنحدر من خط السريان ، كانوا يكتبون الكلم بلاالف . وكذلك لم تتعرض لكلمات جاءت فيها الواو او الياء بدلا عن الالف كالصلوة والزكوة والتورية وهدين ، لكثرتها وتكررها .

كما ولم نذكر من الكلمة المتكررة سوى التي جاءت في اولى آية ، وتركتنا ذكرها  
في آيات وسور تالية ، وارمزنا لذلك بعلامة «ك» .  
ونبدأ بالكلمة على املائها القديم ، ثم نقابلها باملائها المعاصر ، مرتبة حسب  
ترتيب السور في المصحف الشريف .

## جدول تفصيلي

يقارن بين رسم الكلمة باملانها القديم ورسمها بالاملاء المعاصر

رقم الاية	(من سورة البقرة)	
٣٣	يادم (١)	يا آدم
٤٠	اسراييل «ك»	اسرائيل
٧١	الن «ك» (٢)	الان
٨٧	عيسى ابن مريم	عيسى بن مريم
٩٠	بشس ما «ك»	بشما
١٤٤	الليل «ك»	الليل
٢٢٦	فاؤ	فاؤوا
٢٤٠	فى ما «ك»	فيما
٢٧٥	الربوا «ك»	الربا
٢٨٥	تسموا (٣)	تسأموا

١- برسم همزة فوق الالف

٢- برسم همزة امام اللام

٣- برسم همزة فوق الميم



	(سورة آل عمران)	رقم الآية
امرأة	امرات «ك»	٣٥
الامين	الامين (١)	٧٥
ربانيين	ربنين (٢)	٧٩
افان	افاين «ك»	١٤٤
تلون	تلون (٣)	١٥٣
	(سورة النساء)	
اللذان	الذان	١٦
اللاتى	التى «ك»	٢٣
فمما	فمن ما «ك»	٢٥
فما لهؤلاء	فمال هؤلاء «ك»	٧٨
	(سورة المائدة)	
ابناء	ابنوا	١٨
جزاء	جزوا «ك»	٢٩
سواة	سوءة	٣٠
	(سورة الانعام)	
انباء	انبوا «ك»	٥
نبأ	نباى	٣٤
بالغداة	بالغدوة (٤)	٥٢

١- برسم باء كوفية صغيرة فوق الباء

٢- » » » »

٣- برسم واو صغيرة فوق الواو

٤- برسم الف صغيرة فوق الواو

		رقم الآية
شركاء	شركوا «ك»	٩٢
كلمة	كلمت «ك»	١١٥
ام ما	اما «ك»	١٤٢
(سورة الاعراف)		
فلنسالن	فلنسلن (١)	٦
ماورى	ماورى (٢)	٩
رحمة	رحمت «ك»	٥٦
بسطة	بصطة (٣)	٦٩
الا	ان لا	١٠٥
نستحى	نستحى	١٢٧
(سورة الانفال)		
سنة	سنت	٣٨
(سورة التوبة)		
ولاوضعوا	ولاوضعوا	٤٧
(سورة يونس)		
تلقاء	تلقاءى	١٥
يبدأ	يبدأوا	٣٤
ام من	أمن	٣٥
(سورة هود)		
بقية	بقيت	٨٦

١- برسم همزة فوق السين

٢- برسم واو صغيرة فوق الواو

٣- برسم سين صغيرة تحت الصاد

		رقم الآية
مانشأ	مانشؤا	٨٧
وملاءه	وملاءيه	٩٧
	(سورة يوسف)	
لدى	لدا	٢٥
تياسوا	تايسوا (١)	٨٧
يبأس	يايس (٢)	٨٧
ولى	ولى	١٠١
استياس	استيس (٣)	١١٠
	(سورة الرعد)	
يمحو	بمحو	٣٩
	(سورة ابراهيم)	
نبأ	نبؤا	٩
الضعفاء	الضعفؤا	٢١
	(سورة الحجر)	
المستهزئين	المستهزئين	٩٥
	(سورة النحل)	
فسألوا	فسلوا (٤)	٤٣
يتفياً	يتفيؤا	٤٨

١- برسم همزة فوق الياء

٢- » » »

٣- » » »

٤- برسم همزة قبل اللام



		رقم الآية
رأى	رءا «ك»	٨٦
وايتاء	وايتاءى	٩٠
	(سورة الاسراء)	
يدعو	يدع	١١
	(سورة الكهف)	
لشبيء	لشايء	٢٣
لكن	لكنا	٣٨
أن لن	ألن	٤٨
ارأيت	ارءيت	٦٣
لاتخذت	لتخذت	٧٧
الداعى	الداع	»
يرجو	يرجوا «ك»	١١٠
	(سورة مريم)	
ياأخت	يأخت	٢٨
ياأبت	يأبت	٤٤
يا ابراهيم	يا برهيم	٤٦
	(سورة طه)	
اتوكأ	اتوكؤا	١٨
يا ابن ام	بينؤم	٩٤
لانظماً	لانظمؤا	١١٩
سوء اتهما	سوء تهما (١)	١٢١

١- برسم الف صغيرة فوق الهمز

	رقم الآية	
آناء	١٣٠	ءاناءى (سورة الانبياء)
سأوريكم	٣٧	سأوريكم «ك» (سورة المؤمنون)
الملاء	٢٤	الملؤا «ك»
كلما	٤٤	كل ما «ك» (سورة النور)
ويدرأ	٨	ويدرؤا
جاؤا	١٣	جاو «ك»
عنمن	٤٣	عن من (سورة الفرقان)
وعتوا	٢١	وعتو
وئمود	٣٨	وئمودا «ك»
لنحى	٢٩	لنحى (٢) (سورة الشعراء)
اينما	٩٢	اينما
الغاوون	٩٤	الغاون «ك» (سورة النمل)
لاذبحنه	٢١	لاذبحنه
يبدأ	٤٤	يبدؤا «ك»

١- برسم الف صغيرة فوق الهمز

٢- برسم ياء صغيرة فوق الياء

اتلوا	اتلوا	٩٢
	(سورة القصص)	
نتلوا	نتلوا	٣
يستحيى	يستحيى «ك»	٤
قرة	قرت	٩
	(سورة الروم)	
شفعاء	شفعوا	١٣
لقاء	لقاءى	١٦
فيحيى	فيحيى	٢٤
فطرة	فطرت	٣٠
ليربوا	ليربوا «ك»	٣٩
	(سورة الاحزاب)	
لكيلا	لكي لا	٣٧
	(سورة سبأ)	
سعوا	سعو	٥
	(سورة غافر)	
التلاقى	التلاق	١٥
التنادى	التناد	٣٢
	(سورة فصلت)	
الذين	الذين (١)	٢٩
	(سورة الشورى)	
ويمحو	ويمح	٢٤
ويعفو	ويعفوا «ك»	٣٠



		رقم الآية
الجوارى	الجوار	٣٢
جزاء	جزؤا	٢٠
وراء	وراءى	٥١
	(سورة الدخان)	
شجرة	شجرت	٢٣
	(سورة الذاريات)	
يومهم	يوم هم	١٣
بايد	باييد	٤٧
	(سورة القمر)	
يدعو	يدع	٦
	(سورة المجادلة)	
معصية	معصيت	٩
	(سورة الممتحنة)	
براء	برءوا (١)	٢
	(سورة التحريم)	
امرأة	امرات	١١
بكلمات	بكلمت (٢)	١٢
	(سورة القلم)	
بايكم	باييكم	٦
	(سورة التكويد)	
الموودة	الموودة (٣)	٨

١- برسم الف صغيرة فوق الهمز

٢- برسم الف صغيرة فوق الميم

٣- برسم واو صغيرة بعد الهمز

		رقم الآية
	(سورة الانشقاق)	
يدعوا	يدعوا	١١
	(سورة الغاشية)	
بمسيطر	بمسيطر (١)	٢٢
	(سورة الفجر)	
ليسرى	ليسر	٤
وجيء	وجاء	٢٣
	(سورة قريش)	
ايلافهم	اي لفهم (٢)	٢

- 
- ١- برسم سين صغيرة تحت الصاد  
٢- برسم ياء كوفية صغيرة ومنفصلة قبل اللام

## ٤- اختلاف المصاحف :

كانت الغاية من ارسال مصاحف الى الافاق ، هي رعاية جانب وحدة الكلمة لثلا تختلف ، وليجتمع المسلمون على قراءة واحدة ونبذ ما سواها . فكان يجب ان تكون هذه المصاحف مستنسخة على نمط واحد ، وان تكون موحدة من جميع الوجوه . ومن ثم كان يجب على اعضاء المشروع ان يتحققوا من وحدتها ويقابلوا النسخ مع بعضها في دقة كاملة .

غير ان الواقعية بدت بوجه آخر ، وجاءت المصاحف يختلف مع بعضها البعض . كان المصحف المدني يختلف عن المصحف المكي ، والمصحف المكي يختلف عن الشامي ، وهذا عن البصرى والكوفى وهكذا . الامر الذى يدل بوضوح ان اللجنة تساهلت في امر المقابلة - ايضاً - فلم يأخذوا بالدقة الكاملة فى جانب توحيد المصاحف المرسله الى الافاق .

وصار هذا الاختلاف فى المصاحف ، من اهم اسباب نشوء الاختلاف القرائى فيما بعد ، وفتح باب جديد لاختلاف القراءات فى حياة المسلمين .

كان قارىء كل مصر ومقرئها يلتزم - طبعاً - بقراءة ما فى مصحفهم من نص . وكان عليه ايضاً ان يختار نوع الحرف والشكل حسب ما يبدو له من ظاهر الكلمة



المثبتة في المصحف بلا نقط ولا تشكيل . ومن ثم كانت السلايق والمداويق ، وكذلك  
الانظار والافهام تختلف في هذا الاختيار .

اما الرواية والسماع عن الشيخ ، فهي لاتنضبط تماماً وفي جميع الوجوه اذا  
لم تكن مثبتة في سجل او في نص المصحف ذاته . فلا بد ان يقع فيها خلط او اشتباه  
من جانب النقل او السماع ، ولا سيما اذا طالت الفترة بين الشيخ الاول والقارىء  
الاخير .

ومن ثم ظهرت قراءة مكة . وقراءة المدينة . وقراءة البصرة . وقراءة الكوفة .  
وقراءة الشام . وهكذا ... الامر الذي كان كراً على ما فروا منه !

وزعم الزرقاني : ان هذا الاختلاف في النص كان عن عمد منهم وعن قصد ،  
لحكمة تحمل اللفظ كل قراءة ممكنة . قال : وكتبوها متفاوتة في اثبات وحذف وبدل  
وغيرها ، لان عثمان قصد اشتغالها على الاحرف السبعة . فكانت بعض الكلمات يقرأ  
رسمها باكثر من وجه نحو «فتبينوا» و«ننشزها» .

اما الكلمات التي لاتحتمل اكثر من قراءة ، فانهم كانوا يرسموها في بعض  
المصاحف برسم وفي بعض آخر برسم آخر ، كوصى بالتضعيف واوصى بالهمز .  
وكذلك «تحتها الانهار» في مصحف و «من تحتها الانهار» بزيادة «من» في مصحف  
آخر !.. (١)

قلت : هذا تعليل عليل ، بعد ان كان الغرض من نسخ المصاحف وتوحيدها  
هورفع الاختلاف في القراءات . كان احدهم يقول : قراءتنا خير من قرائتكم . فلتلا  
يقع مثل هذا الجدل المرير تأسس المشروع المصاحفي باتفاق من آراء الصحابة .  
اما وبعد ان انجزت اللجنة مهمتها واذا بدواعي الاختلاف : الاختلاف في القراءة  
ذاتها ، موجودة .

اما قضية الاحرف السبعة المفسرة الى القراءات السبع ، فحديث مشتبهاً ربما

بلغ تفسيره الى اربعين معنى (١). واوهن المعانى هو تفسيره بالقراءات ، اذ لم يثبت ان النبي ﷺ قرأ القرآن على سبعة وجوه . كما ان لاختلاف القراء في قراءتهم عللا واسباباً تخصهم هم . وقد فصلها ابو محمد مكي بن ابي طالب في كتابه «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» فراجع . وقد تكلمنا عن حديث الاحرف السبع في فصل خاص يأتي انشاء الله .

هذا .. واما الاستاذ الايبارى فانه يرى ان هذا الاختلاف انما كان بين مصاحف سبقت مصحف عثمان . وجاء هذا الاخير ليرفع تلكم الاختلافات .. (٢) .  
لكنها نظرة تخالف النص القائل بان الاختلاف كان في نفس مصاحف عثمان (٣) .  
وعلى اية حال فان الاختلاف بين المصاحف المبعوثة الى الافاق ، شىء واقع ،  
ويؤسف عليه ، وكانت البذرة التي انبثقت منها اختلاف القراءات فيما بعد .  
وفيما يلي عرض نموذجي عن اختلاف مصاحف الافاق ، اعتمدنا فيه على نص ابن ابي داود في كتابه «المصاحف» ص : ٣٩ الى ٤٩ .

(ملحوظة) : مصحفنا اليوم يتوافق - اكثرياً - مع مصحف الكوفة ، سوى مواضع نرّمز اليها في الجدول التالي بعلامة «\*» .

غير ان مصحف البصرة كان ادق من سائر المصاحف - كما اشار اليه حديث الشامي الانف (٤) - . تدلنا على ذلك ، الاية : ٨٧ من سورة المؤمنون . انها في مصحف البصرة : «قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : الله» . وهي في مصحف الكوفة وغيرها : «سيقولون : لله» .

وكذلك الاية : ٨٩ من نفس السورة ، والاية : ٣٣ من سورة فاطر ، مثبتة في

١- راجع : الاتقان ج ١ ص ٤٥

٢- تاريخ القرآن : ابراهيم الايبارى ص ٩٩

٣- راجع : المصاحف ص ٣٩

٤- تقدم في صفحة : ٢٩٦

مصحف البصرة : «من ذهب ولؤلؤ» . وفي غيره : «ولؤلؤاً» .  
وهكذا الآية : ١٦ من سورة الانسان في مصحف البصرة : « قواريراً قوارير  
من فضة» . وفي غيره : «قواريراً قواريراً من فضة» ... الى غير ذلك .  
واليك جدولاً نموذجياً تعين مواضع الاختلاف من مصاحف الافاق : الشام ،  
الكوفة ، البصرة ، مكة . اهم البلاد التي ارسلت اليها المصاحف ، ومقارنتها مع  
المصحف الامام «مصحف المدينة» :







## القرآن في اطوار الاناقة والتجويد :

لم يزل القرآن - منذ الصدر الاول - في طور التجويد والتحسين ، لاسيما في ناحية كتابته وتجميل خطه من جميل الى أجمل . وقد أسهم الخطاطون الكبار في تجويد خط المصاحف وتحسين كتابتها .

واول من تنوق في كتابة المصاحف وتجويد خطها ، هو خالد بن ابى الهياج - صاحب امير المؤمنين على عليه السلام - (ت ح ٥١٠ هـ) وكان مشهوراً بجمال خطه واناقة ذوقه . ويقال : ان سعداً - مولى الوليد وحاجبه - اختاره لكتابة المصاحف والشعر والاحبار للوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦) فكان هو الذي خط قبلة المسجد النبوي بالمدينة بالذهب من سورة الشمس الى آخر القرآن . وكان قد جدد بناءه واوسعه عمر ابن عبدالعزيز واليا على المدينة من قبل الوليد وبأمر منه . وفرغ من بنائه سنة ٩٠ (١) . وطلب اليه عمر بن عبدالعزيز ان يكتب له مصحفاً على هذا المثال ، فكتب له مصحفاً تنوق فيه ، فاقبل عمر يقبله ويستحسنه ، ولكنه استكثر من ثمنه فرده عليه . والظاهر ان ذلك كان ايام خلافته (٩٩ - ١٠١) التي كان قد تزهد فيها .

قال محمد بن اسحاق - ابن النديم - : رأيت مصحفاً بخط خالد بن ابى الهياج ،



صاحب على عليه السلام ، وكان في مجموعة خطوط اثرية عند محمد بن الحسين المعروف بابن ابي بكرة ، ثم صار الى ابي عبد الله بن حانى رحمه الله (١) .

وقد ظل الخطاطون يكتبون المصاحف بالخط الكوفى ، حتى اواخر القرن الثالث الهجرى ، ثم حل محله خط النسخ الجميل فى اوائل القرن الرابع ، على يد الخطاط الشهير محمد بن على بن الحسين بن مقلة (٢٧٢ - ٣٢٨) .

قيل : انه اول من كتب خط الثلث والنسخ ، واول من هندس الحروف - اذ كان بارعاً فى علم الهندسة - ووضع قواعدها و اصول رسمها . واتفق الباحثون ان الفضل الاكبر فى تطوير وتحسين الخط العربى الاسلامى وتنويعه يرجع الى هذا الخطاط الماهر ، الذى لم تنجب الامة الاسلامية لحد الان خطاطاً بارعاً مثله .

وقد نسب عدد من المخطوطات الاثرية اليه ، كالمصحف الموجود فى متحف هراة بافغانستان . ويقال : انه كتب القرآن مرتين (٢) .

وقد بلغ خط النسخ العربى ذروته فى الجودة والحسن فى القرن السابع على يد الخطاط المستعصمى ياقوت بن عبد الله الموصلى (ت ٦٨٩) كتب سبع مصاحف بخطه الرائع الذى كان يجيده اجادة تامة ، ويكتب بانواعه المختلفة حتى صار مثلاً يقتدى به (٣) .

وهكذا صارت المصاحف تكتب على اسلوب خط ياقوت حتى القرن الحادى عشر ، ومنذ مفتتح القرن الثانى عشر اهتم الاتراك العثمانيون عنايتهم بالخط العربى الاسلامى لاسيما بعد فتح سلطان سليم مصر وزوال حكم المماليك عنها ، فجعل الخط العربى يتطور على ايدى الخطاطين الفرس الذين استخدمهم العثمانيون فى امبراطوريتهم . وقد نقل السلطان سليم جميع الخطاطين والرسميين والفنانين الى عاصمته ،

---

١- الفهرست الفن الاول من المقالة الاولى ص ٩ . والفن الاول من المقالة الثانية ص ٢٦

٢- تركى عطية : الخط العربى الاسلامى ص ١٥٥ . والخطاط البغدادى ص ١٦ .

٣- المصدر ص ١٧١ ومصور الخط العربى : ناجى المصرى ص ٩٢

واضافوا للخط العربي انواعاً جديدة ، لازالت تستعمل في الكتابات الدارجة ، كالخط الرقعى والخط الديوانى والخط الطغرائى والخط الاسلامبولى وغيرها .  
ومن الخطاطين العثمانيين الذين ذاع صيتهم : الحافظ عثمان (ت ١١١٠) .  
والسيد عبدالله افندى (ت ١١٤٤) . والاساذ راسم (ت ١١٦٩) . وابوبكر ممتاز بك مصطفى افندى الذى اخترع خط الرقعة ، وهو اسهل الخطوط العربية وابسطها استعمالاً ، وقد وضع قواعده وكتب به لأول مرة ، فى عهد السلطان عبدالمجيد خان سنة ١٢٨٠ هـ (١) .

اما طباعة المصحف الشريف فقد مرت - ككتابته خطأ - باطوار التجويد والتحسين . فلأول مرة ظهر القرآن مطبوعاً فى البندقية فى حدود سنة ٩٥٠ هـ = ١٥٣٠ م . لكن السلطات الكنسية اصدرت امراً باعدامه حال ظهوره .

ثم قام «هنلكمان» بطبع القرآن فى مدينة «هانبورغ» - ألمانيا - سنة ١١٠٤ هـ = ١٦٩٤ م . ثم تلاه «مراكى» بطبعه فى «بادو» سنة ١١٠٨ هـ = ١٦٩٨ م .  
وقام مولاى عثمان بطبع القرآن طبعة اسلامية خالصة ، فى مدينة «سانت بترسبورغ» - روسيا - سنة ١٢٠٠ هـ = ١٧٨٧ م . وظهر مثلها فى «قازان» .  
وقام «فلوجل» بطبعته الخاصة للقرآن فى مدينة «لينزبورغ» سنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٤ م . فتلهاها الاوروبيون بحماسة منقطة النظير ، بسبب املائها السهل . ولكنها - كسائر الطبعات الاوروبية - لم تنجح فى العالم الاسلامى .  
واول دولة اسلامية قامت بطبع القرآن ، فكان نصيبها النجاح ، هى ايران (١) . طبعت طبعتين حجريتين جميلتين ومنقحتين فى حجم كبير ، مع ترجمة موضوعة

١- الخط العربى الاسلامى ص ١٢٣

٢- الدكتور صبغى صالح : مباحث فى علوم القرآن ص ٩٩ . وينقل عن المستشرق

«بلاشير» معلومات هامة بهذا الصدد ، اعتمداها فى هذا العرض .

تحت كل سطر من القرآن ، ومفهرستين بعدة فهارس . احدهما كانت في طهران  
سنة ١٢٤٣ هـ = ١٨٢٨ م والآخرى في تبريز ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٣ م .  
وظهرت في الهند - في هذا العهد - ايضاً عدة طبعات .  
ثم عنيت الاستانة - تركيا العثمانية - ابتداء من سنة ١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ م  
بطبع القرآن طبعات انيقة ومتقنة جداً .

وقامت روسيا الملكية عام ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م بطبع قرآن كتب بخط كوفي  
قديم ، في حجم كبير ، يظن انه احد المصاحف العثمانية الاولى ، خال عن النقط  
والتشكيل ، سقطت من اوله ورقات ، وناقص من آخره ايضاً . يتدى من قوله تعالى :  
«ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » سورة البقرة : ٨ .  
وينتهي الى قوله : « وانه في ام الكتاب لدينا لعلى حكيم » سورة الزخرف : ٤ .  
عثروا عليه في سمرقند ، فامتلكته المكتبة الملكية في بتر سبورغ . ثم تولى معهد  
الانارفي طشقند طبعه طبعة فتوغرافية على نفس الرسم والحجم في خمسين نسخة ، واهداهما  
الى اهم جامعات البلاد الاسلامية . ومنها نسخة في مكتبة جامعة طهران ، مسجلة برقم  
المطبوعات : DSS / ١٤٤٠٣ .

وأخيراً قامت مصر بطبعة ممتازة للمصحف الشريف سنة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣ م ،  
تحت اشراف مشيخة الازهر . وباقرار لجنة عينتها وزارة الاوقاف . وقد تلقى العالم  
الاسلامى هذه الطبعة بالقبول ، وجرت عليها سائر الطبعات .  
كما ظهرت في العراق سنة ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م طبعة بارزة انيقة للقرآن .  
وهكذا اهتمت الامم الاسلامية في مختلف الاقطار بطبع هذا الكتاب ونشره على احسن  
اسلوب واجمل طراز ، ولاتزال .

والحمد لله اولاً واخيراً حمداً لانهاية له ولازوال

قم المقدسة - محمد هادي معرفة

شوال المكرم ١٣٩٦ هـ



# فهرس الموضوعات

## المقدمة

### (أ - يو)

- \* ميزات بارزة فى القرآن تجعله من الاهمية جديراً بعناية بالغة منذ الصدر الاول فالى الابدية .
- \* سلسلة تاريخية عن كتب باحثة عن مختلف شؤون القرآن ، مرتبة حسب توالى القرون .
- \* حظى القرنان ٨ - ٩ بموسوعات حاولة بشتى علوم القرآن .
- \* مواكبة علماء الافرنج لعلماء المسلمين منذ القرن ١٢ فى البحث عن شؤون القرآن .
- \* سبب تأليف الكتاب والسرفى تسميته تمهيداً .
- \* شكر وتقدير .

# الوحى والقرآن

## ٢-١

الصفحة

### ١ - ظاهرة الوحى (١ - ٧٠)

٢	الوحى فى اللغة
٣	الوحى فى القرآن
٦	الوحى الرسالى
٨	امكان الوحى
٩	مناشئ فكرة انكار الوحى

\* \* \*

١٠	جانب روحانية الانسان
١١	براهين فلسفية تثبت وجود النفس
١١	الانسان فى كينونة ذاته
١٣	الانسان فى صفاته وغرائزه
١٥	الانسان وظاهرة الادراك
١٨	ادلة حديثة تثبت وجود الروح
٢٦	فذلكة البحث
٢٦	الوحى عند فلاسفة الغرب

\* \* \*

٣٠	انحاء الوحى الرسالى
----	---------------------

الصفحة

- ٣١ الرؤيا الصادقة
- ٣٢ نزول جبرئيل
- ٣٦ تمثل جبرئيل بصورة دحية وسر هذا التمثل
- ٣٧ نزول الملك على رسول الله ﷺ من غير ان يراه
- ٣٨ الوحي المباشر
- ٣٩ الحالة الشديدة التي كانت تعترى رسول الله ﷺ عند نزول الوحي عليه
- ٤١ وصف هذه الحالة عن لسانه ﷺ
- ٤٢ شدة وقع الوحي
- ٤٣ اختصاص هذا النوع من الوحي بما اذا كان مباشراً وبدون توسط ملك
- \* \* \*
- ٤٤ هل كان النبي ﷺ يفقد وعيه حالة نزول الوحي عليه ؟
- ٤٥ تجربة روحية تثبت امكان التأثير على عقلية الانسان بصورة دائمة او موقته
- \* \* \*
- ٤٧ موقف النبي ﷺ من الوحي
- ٤٨ ١- النبوة مقرونة بدلائل نيرة
- ٤٩ مقتضى قاعدة اللطف
- ٥٢ قصة ورقة بن نوفل
- ٥٤ تزييف هذه القصة
- \* \* \*
- ٥٦ ٢- الوحي لا يحتمل التباساً
- ٥٩ اسطورة الغرائق



الصفحة

٦١	نقد الاسطورة سنداً
٦٢	نقدها مدلولاً
٦٥	مناقضتها مع القرآن
٦٧	منافاتها لمقام العصمة
٦٨	تهافتها مع آي السورة
٦٩	مقال للاستاذ هيكل حول هذه الاسطورة

## ٢- نزول القرآن (٧١-٢٠٣)

٧٢	بدء نزول الوحي
٧٦	تعيين يوم المبعث المبارك
٧٩	بدء نزول القرآن
٨١	فترة انقطاع الوحي
٨٣	آراء وتأويلات حول نزول القرآن ليلة القدر
٩٢	تحقيق للشيخ المفيد

\* \* \*

٩٣	اول ما نزل
٩٦	آخر ما نزل
٩٩	المكي والمدني
١٠١	الطريق الى معرفة ذلك
١٠٣	ترتيب نزول السور
١٠٤	جدول ترتيب السور المكية

الصفحة

١٠٤	جدول ترتيب السور المدنية
١٠٧	جدول مرتب حسب حروف المعجم
* * *	
١١٤	سور مختلف فيها
١٣٨	آيات مستثنيات
١٣٨	تزييف القول بالاستثناء اطلاقاً
١٣٩	استثناءات من سور مكية
١٩١	استثناءات من سور مدنية

## تاريخ القرآن

### ٢-١

#### ١- دور جمع القرآن (٢٠٨ - ٢٧٤)

٢٠٨	مقدمة تمهيدية
٢١٠	نظم كلمات القرآن ضمن كل آية آية ، شىء حصل بالوحي فقط
	تأليف آى القرآن ضمن كل سورة سورة ، شىء حصل بالوحي - اكثرياً -
٢١٢	وبتصريح من النبي ﷺ الخاص - احياناً -
٢١٨	ترتيب السور بين الدفتين ، شىء حصل بعد وفاة النبي ﷺ
٢٢٠	تمحيص الرأى المعارض

\* \* \*

الصفحة

٢٢٥	جمع على بن ابيطالب <small>عليه السلام</small>
٢٢٨	وصف مصحف على <small>عليه السلام</small>
٢٣١	أمد مصحف على <small>عليه السلام</small>

\* \* \*

٢٣٤	جمع زيد بن ثابت
٢٣٦	منهج زيد في جمع القرآن
٢٣٧	زيد لم ينظم السور
٢٣٨	آخر سورة براءة كانت مع خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين
٢٣٩	ماذا كان يعنى بالشاهدين ؟
٢٤٠	شكوك واعتراضات
٢٤١	الاجابة على هذه الشكوك
٢٤٢	مبلغ كفاءة زيد

\* \* \*

٢٤٦	مصاحف اخرى للمصاحبة
٢٤٧	امد هذه المصاحف
٢٥١	وصف عام عن مصاحف الصحابة
٢٥٢	وصف مصحف عبدالله بن مسعود
٢٦٤	وصف مصحف ابي بن كعب
٢٦٨	جدول يقارن بين هذه المصاحف

## ٢- دور توحيد المصاحف (٢٧٥ - ٣٥٣)

٢٧٦	عوامل فكرة التوحيد
-----	--------------------



الصفحة

٢٧٧	اختلاف المصاحف
٢٧٧	نماذج من اختلاف العامة
٢٨٠	قدوم حذيفة الى المدينة
٢٨٠	عثمان يأتمر الصحابة
٢٨١	عقد لجنة مصاحفية
٢٨٢	شخصية الاعضاء الاولين
٢٨٦	السر في انتداب هؤلاء
٢٨٨	موقف الصحابة تجاه المشروع
٢٨٩	موقف علي <small>عليه السلام</small> الخاص
٢٩٠	مخالفة ابن مسعود لم تكن جوهرية

\* \* \*

٢٩١	عام تاسيس اللجنة
٢٩٤	منجزات المشروع
٢٩٧	عدد المصاحف العثمانية
٢٩٩	من شهد هذه المصاحف في العصور المتأخرة

\* \* \*

٣٠٢	تعريف عام بالمصاحف العثمانية
٣٠٥	١- النقط والتشكيل
٣٠٧	نشأة الخط العربي
٣٠٩	اول من نقط المصحف
٣١٠	اول من شكل المصحف
٣١٢	تحسينات وتفصيل متأخرة

٣١٣ ارقام عن تفاصيل القرآن

\* \* \*

٣١٥ ٢- اخطاء املائية

٣١٧ وجود الاخطاء فى المصحف لا يضر بتواتر القرآن

٣١٨ آراء الصحابة فى لحن المصحف

٣٢٣ نماذج من اخطاء الرسم العثمانى

\* \* \*

٣٢٥ ٣- مناقضات فى الرسم العثمانى

٣٢٧ غلوفاحش بشأن الاخطاء

٣٣٢ الرأى الحاسم

٣٣٥ سبعة آلاف لحن ا

٣٣٥ عدد ما فى كل سورة من لحن

٣٤٠ جدول تفصيلى يقارن بين املاء الكلمة برسمها القديم واملائها بالرسم المعاصر

\* \* \*

٣٤٩ ٤- اختلاف مصاحف الافاق

جدول نموذجى عن مواضع الاختلاف بين مصاحف اهم البلاد التى

٣٥٣ ارسلت اليها المصاحف الموحدة

\* \* \*

٣٥٥ القرآن فى طور الاناقة والتجويد

٣٥٧ القرآن فى دور الطباعة

٣٥٧ تسلسل تاريخى لطباعة القرآن

٣٥٧ اول دولة اسلامية قامت بطبع القرآن : ايران

## يرجى تصحيح الخطاء المطبعية التالية

### قبل مطالعة الكتاب

صواب	خطاء	س	ص
مقاييس	مقاييس	١٦	٢
المقاييس	المقاييس	١٢	٩
غرائز	غرائز	١	١٤
وهذا	وهذا	١٢	١٧
كان	كان ،	٢١	١٧
فلابدان	فلابدن	٢	٢٣
اشرفنا	اشرفنا	١٢	٢٨
بعثته	بعثه	٧	٣٢
بواسطة	بواسطية	٩	٣٣
جبرائيل	جبرائيل	»	»
والذؤابة	ولذؤابة	٢٣	٣٩
فترغوا	فترغوا	٧	٤٠
ترغوا	غوترة	١٨	»
تفتل	ثفتل	»	»
فخذة	فخده	٨	٤١
اللذين	الذين	١٧	٤٣
انفذه	انقذه	٨	٤٤
جبرئيل	بجبرئيل	١٠	»
تخلوا	تخلوا	٢٢	٤٦
الصلقوه	الصلقوه	٤	٤٨



صواب	خطاء	س	ص
تكن	يكن	١٩	٤٣
ملاء	ملا	٩	٨١
»	»	١٣	»
سائر	سائر	١١	٢١١
الخوئي	الخوئي	١٠	٢٢١
يوماً	يوماً	٨	٢٢٣
شرائط	شرائط	١٠	٢٢٢
يتنافى	يننافى	٧	٢٤٠
قوله هذا	قوله	١٥	٢٨٢
اذكان	اذاكان	١	٢٩٣
بانهما	بانها	١٢	٣٠٢
بناءى	بناءى	١٨	٣١٨
يسر	ليسر	٧	٣٤٨
يسرى	ليسرى	»	»
يعين	تعين	٤	٣٥٢

استدارك : سقط فى الطبع من ص ٨٥ سطر ٢ تعيين الحزء والصفحة من كتاب  
متشابهات القرآن لابن شهر آشوب الذى نقلنا عنه هناك . وهو : الجزء الاول صفحة : ٤٣

ملحوظة : وقعت الارقام الفارسية التالية بدلا عن ارقام عربية لم تكن متوفرة .

( ٤ : ٤ - ٤ : ٦ )









Princeton University Library



32101 055469876